Hisham Abu Hakmeh

هشام محمد أبو حاكمة

الأساطير المؤسسة للتاريخ الإسرائيلي القديم





إصدار
دار الجليل للنشر

هشام أبو حاكمة

الاساطير المؤسسة

للتاريخ الاسرءيلي القديم

رقم التصنيف: 933
المؤلف ومن هو في حكمه: هشام محمد أبو حاكمة
عنوان الكتاب : الاساطير المؤسسة للتاريخ الاسرعيلي القديم / هشام محمد أبو حاكمة
بيانات الناشر : عمان : دار الجليل 2007
(318)ص
ر.إ:(2006/9/2489).
الواصفات : تاريخ إسرائيل//اسرائيل//تاريخ فلسطين //فلسطين // التاريخ القديم /

* تم إعداد بيانات الفهرسة والتصنيف الأولية من قبل دائرة المكتبة الوطنية.

رقم الإجازة المتسلسل:

2006/9/3148

رقم الايداع لدى دائرة المكتبة الوطنية

2006/9/2489

الطبعة الأولى

2007

دار الجليل
للنشر والدراسات والأبحاث الفلسطينية
هاتف: 5157627- فاكس:5153668
ص.ب 8972 - عمان 11121
E-mail:darjalil@nets.com.jo

تنويه

* الاراء والمعلومات الواردة في هذا الكتاب تعبر عن رأي مؤلفه، ولا تمثل بحال رأي دار الجليل للنشر

* لقد كتب الاسم (اسرعيل) كما هو في الرسم القرآني فرقا بين مدلوله في التاريخ القديم، ومدلوله بالرسم المختلف (إسرائيل) في التاريخ الحديث.

طبع في شركة الشرق الأوسط للطباعة - تلفاكس ٤٨٩٤٩٤١ ص ب ١٥٢٨٦ عمان - الأردن

هشام محمد أبو حاكمة

الاساطير المؤسسة
للتاريخ الاسرئيلي القديم



اصدار
دار الجليل للنشر
والدراسات والأبحاث الفلسطينية
هاتف : ٥١٥٥٦٢٧ / ٥١٥٧٦٢٧
فاكس : ٥١٥٣٦٦٨ - ص.ب ٨٩٧٢ - رمز بريدي ١١١٢١
E-Mail: darjalil@nets.com.jo

عمان 2007

الفهرس

المقدمة

نحمده تعالى أن أرشدنا إلى صراطه المستقيم ، وهدانا بكتابه الكريم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ، ولا من خلفه ، تنزيل من رب عزيز حكيم . لقد أنزل الله تعالى كتابه التوراة على نبيه موسى عليه السلام ، فيها هدى ورحمة ، ولكن أعداء الله كهنة بني إسرعيل قاموا بتزوير ما ورد فيها من حقائق ، وأضافوا كثيرا من الأساطير إليها ، ثم نسبوها إلى الله تعالى . قال تعالى : " **فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمنا قليلا فويل مما كتبت أيديهم وويل لهم مما يكسبون** . " البقرة 79 .

بين يدي القارئ في هذا الكتاب مجموعة من الإدعاءات التي ضمنها كهنة بني إسرعيل في العهد القديم ، واعتبروها جزءا منه ، وجزءا من تاريخ بني إسرعيل القديم . وقد ثبت بما لا يدع مجالا للشك من أكثر من مصدر ، بأن هذه الإدعاءات ما هي إلاّ أساطير اختلقها ، أو نقلها هؤلاء الكتبة ، من أجل بعث روح العظمة والكبرياء ، وحب الوطن ، وترسيخ الإيمان الوثني في نفوس بني إسرعيل المرتدين الذين تحطمت معنوياتهم ، وانكسرت نفوسهم نتيجة للتهجير الاشوري والبابلي .

هذه الروايات والأساطير اعتبرت مصدرا من مصادر التأريخ القديم لبني إسرعيل ، ولولا وجودها في كتاب العهد القديم لما اهتم بها أحد ، ونحن لا يهمنا ما يقوله علماء بني إسرعيل ، ومن وقف معهم ، من أصحاب العقول المغسولة ، إذا ما حاولنا كتابة التاريخ القديم للمنطقة ، بل المهم أن لا تتعارض هذه المرويات مع ما قالته السجلات التاريخية القديمة الموثوقة ، وما أظهرته التنقيبات الآثارية فى المنطقة .

ولا شك في أن الوعد الإلهي المزعوم ، بأن تكون الأرض المقدسة هي ميراث بني إسرعيل الأبدي ، وورود ذلك في العديد من المواقع في العهد القديم ، يعتبر من أهم الأساطير التي تمسك بها الإسرعيليون على مر العصور ، وقد كتب في هذا الموضوع عدد كبير من العلماء والمؤرخين والكتاب ، وقد فنّدوا جميعا هذه الأسطورة ، وأعطوها حقها من الشرح والتفصيل . ويمكن القارئ الرجوع إلى هذه المصادر للاطلاع عليها،ولهذا فنحن لم نتطرق إلى هذه الأسطورة في هذا الكتاب .

لقد بات من المؤكد أن كتبة العهد القديم في بابل ، وبعدها ، قد سرقوا كثيرا من أساطير الشعوب القديمة ، واعتبروها تاريخا لهم ، ومن هذه الأساطير ما هو مصري ، ومنها الكنعاني ، ومنها البابلي ، وغيرها .

ولست الوحيد الذي يؤكد عدم صدقية ، أو تاريخية كثير من مرويات العهد القديم ، فقد أشار إلى ذلك عدد كبير من علماء ومؤرخين أجانب ، في الوقت الذي يقوم فيه المؤلفون العرب بالنقل عن كتاب العهد القديم ، وعن كتب التاريخ الإسرعيلية المنحازة ، واعتمادها كمصادر لكتابة التاريخ القديم للمنطقة وشعوبها .

ورغم ردود الفعل الإسرعيلية والصهيونية التي تقف في مواجهة أولئك العلماء الصادقين ، سواء بطردهم من وظائفهم أو محاكمتهم بتهم شتى ، أو مصادرة مطبوعاتهم ، أو رفض طباعة كتبهم ، فإننا لا نزال نجد أن أفكار هذه المجموعة تزداد باستمرار ، وأصبح لها تيار لا يمكن إنكاره .

إن هؤلاء الذين يؤيدون أساطير العهد القديم ، وعلاقتها بالتاريخ القديم لبني إسرعيل ، والتي تم قبولها واعتمادها عبر فترة طويلة من الزمن ، يتخوفون من أي نقد لهذه الأفكار ، من أن يؤدي ذلك إلى إسكات التاريخ الإسرعيلي القديم ، وذلك لمصلحة التاريخ الفلسطيني القديم .

لقد بدأ هذا النقاش يظهر بوضوح ويتصاعد على صفحات الصحف والمجلات الإسرعيلية وغيرها ، هذا الجدال الأكاديمي التاريخي ، والذي يتجه إلى

إظهار الحقائق التاريخية القديمة والتي تنفي أن تكون مرويات العهد القديم تاريخا ، أصبح التخوف من أن يؤدي ذلك إلى فقدان ذلك التاريخ هويته القديمة ، التي تعتمد عليها إسرعيل كثيرا .

وإذا كانت إسرعيل قد فرضت حجرا على الدراسات والأبحاث المؤيدة للتاريخ الفلسطيني القديم ،إلى جانب عدم مصداقية الروايات التاريخية للعهد القديم ، فإن هذا الصراع القائم من أجل المحافظة على الأساطير القديمة للتاريخ الإسرعيلي قد بدأ ينهار ويتفكك – ولو أنه صراع لم ينته بعد – وأن وقت الحساب قد دنا ، وأن الوعي التاريخي قد بدأ يغزوعقول المؤرخين والعلماء على اختلاف أجناسهم ، وليس الوقت ببعيد إن شاء الله ، أن نسمع عن إعادة لكتابة تاريخ المنطقة القديم بناء على السجلات التاريخية ، والتنقيبات الآثارية ، والحقائق الدينية الثابتة فقط .

إننا نرفض بشدة ، أن يبقى تاريخ المنطقة القديم حكرا على هذه الأساطير المزعومة ، بسبب إيمان إسرعيل بها ، ووقوفها إلى جانبها . فكل الشعوب لها تاريخ ، وكل الشعوب تدفق وتراجع تاريخها بين الحين والآخر ، وإذا كانت الفترة الماضية قد شهدت انتصارا لهذه الأساطير ، فقد حان الوقت لاستبعادها من تاريخ المنطقة وتنقيته منها . صحيح أننا لا نستطيع أن نفعل ذلك بين يوم وليلة ، ولا حتى سنة أو سنوات ، لكن المفروض أن نبدأ ونتوكل على الله ، وإنا إن شاء الله لمهتدون .

لقد آن لعلمائنا ومؤرخينا خاصة أن يتحرّروا من سيطرة أساطير العهد القديم على عقولهم ، ومن الأحكام التوراتية المفروضة عليهم ، ومن هذه المفاهيم المغلوطة التي يرددونها صباح مساء ، هؤلاء الذين أسلمت لهم الأمة قيادها ، وأرست مراكبها بين أيديهم ، وعلى صفحات مخطوطاتهم ، وجعلتهم أمناء على هذا التاريخ ،فإما أن يكونوا على قدر المسؤولية والأمانة ، أو أن ينزووا ويبتعدوا .

وإذا كان التاريخ هو سلاح الوجود والبقاء الذي تحاربنا به إسرعيل ، معتمدة في ذلك على أساطير العهد القديم ، وأنها بناء على هذه الأساطير تنظر إلى فلسطين وكأنها أرض بلا شعب ، وإلى أنها وعد من الله وميراث أبدي لها ، فلماذا لا نحاول مجابهتهم بنفس السلاح ، ونفس العزيمة والتصميم ؟

لا بد من العودة إلى الأصول ، وبعثها من جديد ، لأن معرفة الأصول هي الأساس الذي تبنى عليه الحقائق التاريخية ، وأن نتعمق ونتعرف أكثر على الأصول التي انبعثت منها أساطير بني إسرعيل القديمة ، وتاريخهم الذي يعتبرونه مقدسا ، ونحاول تفنيدها وكشف أستارها .

إن الأساطير الواردة في هذا الكتاب ليست بالتأكيد هي جميع أساطير العهد القديم ، ولكنها بعض من هذه الأساطير التي كان لها دور كبير في رسم تاريخ إسرعيل القديم ، وتاريخ المنطقة أرضا وشعبا .

ولا بد لنا هنا من توضيح معاني بعض المصطلحات المستخدمة في هذا المؤلف ، وغيره ، والتي يكثر استعمالها بين الكتاب والناس في حياتهم العامة ، ومع الأسف فإن الكثير من هذا الاستعمال يكتنفه الخطأ .

ففي أثناء القراءة يصادف القارئ مصطلحان ، هما (اليهوذيّون) ، و (اليهويّون) ، وهذه المصطلحات تعني :

اليهوذِيّون : وهم عبارة عن سكان منطقة أو إقليم أو مملكة (يهُوذَا) ، وتشمل أورشالم ، فنطلق عليهم اسم (اليهوذِيّون) ، وقسم كبير من هؤلاء كانوا على ديانة الإله (يهوه) ، وخاصة بعد وفاة سليمان عليه السلام .

اليهوِيّون : وهم أتباع عبادة الإله (يهوه) ، وكان أغلبهم يسكن أورشالم ، ومنطقة يهوذا .

أما مصطلح (بنو إسرعيل) فقد تم استعماله في هذا المؤلف بكثرة ، وليس من المستبعد أن يكون قد حصل تضارب في استعماله سهوا . وعلى كل فإن (بنو إسرعيل) هم أبناء يعقوب عليه السلام ، وأتباعهم ، ومن كان يتبع ديانتهم وهي ديانة التوحيد ، وقد بقي ذلك ساريا في عهد يعقوب ويوسف وموسى عليهم السلام ، ولا شك في أن ردة قد حدثت في بني إسرعيل وهم في طريقهم إلى الأرض المقدسة ، واستمر هذا المصطلح مقبولا في عهد كل من يوشع وداود وسليمان عليهم السلام ، أما بعد موت سليمان عليه السلام ، فقد حصلت ردة كبيرة في بني إسرعيل ، فعبدوا الإله (يهوه) وغيره . ولهذا فليس من الدقة أن نطلق على هؤلاء اسم (بنو إسرعيل) بعد سليمان عليه السلام .

كما فضلنا أن نكتب كلمة (إسرعيل) بالرسم القرآني ، للدلالة على إسرعيل المقصودة تاريخيا ، وهي القديمة ، وذلك للتفريق بينها ، وبين إسرائيل السياسية الحالية ، والتي في رأينا لا تمت إلى إسرعيل القديمة بأية صلة .

وختاما فإنني أتقدم بالشكر الجزيل إلى كل من مد يد العون والمساعدة في تأليف هذا الكتاب . والله أسأل أن يهدينا جميعا إلى طريق الإيمان السليم ، والخير العميم .

هشام محمد أبو حاكمة

الفصل الأول

ما هي الأساطير ؟

نشأة الأسطورة :

نشأت الأسطورة في البداية للرد على تساؤلات الإنسان ، وتلبية احتياجاته . وعادة ما يتساءل الإنسان أو يطلب ما هو غير متيسر له للحصول عليه ،أي خارج عن نطاق سيطرته ، " ومن هنا تألفت الأساطير من قصص الأرباب القادرين ، أو المنهزمين أمام أرباب آخرين أكثر قوة وأقوى عزيمة ، وأقدر على بعث الرعب في النفوس ، أو تخليص النفوس من رعب سيطر عليها مدة من الزمن . " **(ميخائيل مسعود ،الأساطير والمعتقدات العربية قبل الإسلام ، ص 25) .**

وكثيرا ما يكون الخوف هو أساس الأسطورة ، لأن الإنسان يضفي صفات البطولة والألوهية على ما يخاف منه ، ويعتبره الأقوى .

وإذا كانت الأسطورة ترتبط ارتباطا وثيقا بالإنسان ، بمصيره وتفكيره ، وتفسيره للكون ، وأصول العقائد ، والأماكن المقدسة ، والأبطال ، فقد تركت أثرا كبيرا علي سلوكياته في سبيل معرفة الإجابة عن كل الأسئلة المتصلة بهذه الظواهر .

وكثيرا ما يستخدم الإنسان (الرمز) للوصول إلى بعض المفاهيم ، التي يستحيل الوصول إليها بالأسلوب العادي الواضح . فهذا الرمز هو الذي يحقق المقصود ، أو يقف حائلا دون تحقيق المطلوب . ودخول الرمز إلى الأسطورة يعتبر قديما ، وقد استخدمه المصريون القدماء ، وبنو إسرعيل في حلهم وترحالهم وحروبهم . كما أن الفكرة السائدة من الأساطير أنها قصص رمزية في مضامينها

وأبعادها القدسية ، فلا عجب إذن أن نرى الرمز يسعى دائما إلى تحقيق ما هو مقدس .

تعريف الأسطورة :

تعتبر الأسطورة مظهرا من مظاهر الثقافة الإنسانية ، في مرحلة من مراحل تطورها . وهي تقدم للباحث في كثير من المجالات مادة غنية تساعده على فهم وتفسير كثير من الظواهر الثقافية والحضارية الإنسانية . فقد استعان بها هيرودوت وثيكوديدس في كتاباتهم ، كما استعان بها الشعراء والأدباء في أعمالهم ، مثل الإلياذة ، والأوديسّة ، وغيرها .

كما أن الأساطير تعتبر مصدرا من مصادر المعرفة ، وهي مرتبطة بالإنسان منذ وجوده ، وعلى مر الزمن فقد أمدّت الدراسات الإنسانية على اختلاف فروعها بالكثير من الظواهر والمعارف .

وقد عرّف فراس السوّاح الأسطورة بأنها " حكاية مقدسة ، ذات مضمون عميق يشفّ عن معاني ذات صلة بالكون والوجود ، وحياة الإنسان ."(**فراس السواح ، الأسطورة ، ص 14**) . وعلى هذا الأساس فهي تختلف بعض الشيء عن القصة الخرافية ، أو الحكاية البطولية ، أو الحكاية الشعبية .

ويرى أن أهم ما يميز الأسطورة هو ما يلي :

1- الأسطورة هي قصة تحكمها مبادئ السرد القصصي من حبكة وعقدة وشخصيات ، ويمكن ترتيلها في المناسبات الطقسية وتداولها شفاهة .

2- يحافظ النص الأسطوري على ثباته عبر فترة طويلة من الزمن ، ولكن بدون تجمد ، لأن الفكر الأسطوري يتابع على الدوام خلق أساطير جديدة .

3- لا يعرف للأسطورة مؤلف معين ، لأنها ليست نتــاج خيــال فــردي ،لظاهرة جمعية يخلقها الخيال المشترك للجماعة وعواطفها وتأملاتها .

4- تلعب الآلهة وأنصاف الآلهة الأدوار الرئيسة في الأسطورة ، فــإذا ظهــر الإنسان على مسرح الأحداث كان ظهوره مكملا لا رئيسا .

5- تتميز الموضوعات التي تدور حولها الأسطورة بالجديــة والــشمولية ، وذلك مثل التكوين والأصول ، والموت ، والعالم الآخر ، ومعنى الحياة وسر الوجود ، وغيرها .

6- تجري أحداث الأسطورة في زمن مقدس هو غير الزمن الحالي ، ومع ذلك فإن مضامينها أكثر صدقا وحقيقة بالنسبة للمؤمن ، من مــضامين الروايات التاريخية .

7- ترتبط الأسطورة بنظام ديني معين وتعمل علــى توضــيح معتقداتــه وتدخل في صلب طقوسه . وهي تفقد كل مقوماتها كأسطورة إذا انهــار هــذا النظام الديني ، وتتحول إلى حكاية دنيوية تنتمي إلى نــوع آخــر من الأنواع الشبيهة بالأسطورة .

8- تتمتع الأسطورة بقدسية وبسلطة عظيمة على عقول الناس ونفوسهم . **(فراس السواح ، الأسطورة ، ص 12 – 14 بتصرف)** .

أما (جيرالد لارسون) ، فقد عرّف الأسطورة " بأنها حكاية أو مجموعــة من الحكايات أو الروايات المنسوجة عن الآلهة أو القوى الغيبيــة والمتداولــة بــين الناس في العشيرة أو القبيلة أو الجماعة العرقية لغرض تفسير تجاربهــا وعالمهــا فرديا أو جماعيا . " (**قيس النوري ، الأساطير وعلم الأجناس ، ص 10**) .

وفي العصور الحديثة ، أصبح مصطلح (الأسطورة) له مدلولات معيبة ، بوصفه نوعا من الخيال الفكري وغير الواقعي .

وكثيرا ما يلجأ المجتمع إلى اختلاق الأساطير للحصول على تفسيرات لبعض ظواهر المجتمع ، وكثيرا ما يربطها بالناحية الدينية ، ليبرر وجودها وقبوله بها . ولهذا فإن الأساطير " بمضامينها الروحية تعمل على دعم وترسيخ النظام الاجتماعي في الجماعات البدائية ، حيث أن هناك ترابط بين النظام الديني والميثولوجيا وأن الاثنين يضمنان القيم الجماعية الممثلة للجماعة كلها. " (**قيس النوري ،الأساطير وعلم الأجناس،ص 27**) .

وإذا كانت الأسطورة هي نتاج العقل الإنساني ، في بيئة تختلف عن البيئة التي نعيشها الآن ، فهي تمثل نوعا من ذلك الفكر السائد في ذلك المجتمع الذي وجدت فيه ، في ذلك العصر ، ولهذا علينا أن ننظر إليها بعين الاعتبار ، ونحلل ونستنتج ما جاءت به من أفكار ومعان .

أنواع الأساطير :

تتناول الأساطير كثيرا من المفاهيم التي يمكن اعتبار كل واحد منها نوعا خاصا به من الأساطير . ولكن أهم هذه الأنواع هي :

1- أساطير الطقوس الدينية .
2- الأساطير التعليلية .
3- الأساطير الرمزية .
4- الأساطير التاريخية .
5- أسطورة البطل الإله .

وتحت هذه الأنواع الرئيسة الخمسة ، يندرج عدد كبير من الأساطير ، بحيث يشمل كل النشاطات والأفكار في المجتمع ، الدينية ، والاقتصادية ، والسكانية ، والحضارية ، والاجتماعية ، وغيرها .

الأسطورة والتاريخ :

سؤال يتبادر إلى الذهن عند قراءة الأسطورة وهو : هل الأسطورة تاريخ ؟ أو هل تصلح الأسطورة لأن تكون تاريخا ؟

ليس من المفروض أن الذين كتبوا الأسطورة يؤمنون بهـــا ، فقــد تكـــون الظروف هي التي أملت عليهم كتابة مثل هذه الأساطير ، لتحقيق غرض مـــا ، أو لإيصال فكرة ما إلى المجتمع الذي كانوا يعيشون فيه . وبالتالي فليس من الضرورة أن تكون الأسطورة تمثل واقعا تاريخيا عاشه المؤلف ، أو أشـــخاص أســـطورته . ولكنه استخدم المعاني الدينية ، والأفكار القدسية ، لأن الأمور الدينية كثيرا ما تكون سيطرتها على العقل البشري أكثر من غيرها، وبالتالي تكون مدعاة أســـرع إلـــى التصديق والإيمان بما جاءت به هذه الأساطير .

وحرصا من هؤلاء على أهمية الأساطير ، وحقيقتها ، فإنهم يـــرون أنهـــا تاريخية ، وإذ يصفونها بالقدسية ، فإن ذلك يزيد من أهميتهـــا ، ووجـــوب ســـرعة تصديقها .

وكلما ازداد ارتباط الأسطورة بالدين والقداسة ، كلما ســـاعد ذلـــك علـــى ديمومة الأسطورة ، وسرعة انتشارها . ولكن هذا لا يمكن اعتباره بأي حال مـــن الأحوال دليلا على صدقية وتاريخية هذه الأسطورة .

ولكن ما من شك في أن الأسطورة تزود الـــذاكرة الإنـــسانية ، ببعـــــض المشاهد والأحداث التاريخية القديمة . والتي قد تلقي بعض الأدلـــة علـــى الواقـــع التاريخي المعاصر لكتابة تلك الأساطير .

صحيح أن التاريخ الأسطوري يخلط الأحـــداث التاريخيـــة بعـــالم الآلهـــة والقداسة ، في حين أن التاريخ العادي ، يربطها بالإنسان وسلوكياته ، والتي قد لا تشكل أهمية فيما بعد ، وبالتالي فلا داعي للاحتفاظ بها . ولكـــن إذا مـــا أريـــد

للحدث التاريخي أن يدوم فيجب ربطه بمفهوم ديني . وكلما كان هذا المفهوم الديني شائعا ، كان الحدث التاريخي المرتبط به أكثر عمقا ، وامتدادا في عمر التاريخ .

وإذا ما تصفحنا التاريخ القديم ، نجد أنه تم إضفاء الصبغة الدينية على مجمل أحداث تاريخ ذلك الزمن . ويعود سبب ذلك إلى أن الملوك والذين كانوا يصنعون التاريخ في حينه ، كانت لهم صفة الألوهية والقدسية ، ويتبع ذلك أن كل عمل يقومون به لا بد وأن تكون له هذه الصبغة . فالإله (الملك) هو الذي يصنع تلك الأحداث ، ولهذا يجب أن يخلّد .

إن هذه النظرة إلى التاريخ القديم المقدس ، تجعل الإنسان العادي خارج الزمن الماضي ، وأنه لا قيمة تاريخية له في بعده عن الأمور الدينية وعدم التزامه بها .

وليس هذا فحسب ، بل أن المعتقدات الأخرى سواء ما يتعلق منها بالبيع أو الشراء ، أو الطقس ، أو الحرب ، أو الخلق ، يجب ربطها بالأمور الدينية ، أو على الأقل إيجاد ما يربطها دينيا بالفكر الديني المتبع ، إذا ما أريد لها أن تصبح أحكاما يتبعها الناس .

منطق الأسطورة :

سبق أن قلنا بأن الأسطورة لها علاقة بالمقدسات ، والمبادئ الدينية ، ولهذا فهي إن تحدثت عن التاريخ ، فإنما تربط هذا التاريخ بالواقع الديني الذي وجدت فيه الأسطورة مع إدخال عناصر التشويق ، والترغيب والترهيب ، والخوارق ، والأعاجيب ، والتي هي غالبا ما تقع خارج نطاق التاريخ .

وإذا كانت الأسطورة عملا من الأعمال التراثية ، فلا عجب أن نجد كثيرا من الشعوب يهتمون بها ، ويفردون لها مكانا خاصا في أدبياتهم التاريخية .

وعلى الأغلب فإن للأسطورة أساسا تعتمد عليه ، أي لا بد أن يكون هناك واقع قد حدث ، تكونت على إثره الأسطورة التي وضعت في قالب أدبي ، اختلطت فيه الحقيقة بالخيال .

ولهذا فإن المنطق الذي يغلب على الأسطورة ، ليس هو منطق العلم ، ولا منطق الفن ، إنه منطق ديني اجتماعي ، يغلب عليه طابع الخير والشر . الخير إن تم اتباع تعاليم وأحكام الإله . والشر إن تمت مخالفتها . فمنطق الأسطورة يرى أن كل شيء مباح للآلهة أولا ، ثم الملوك والكهنة ، والسحرة ، وحتى الأب والأم أحيانا . وأن مخالفة هؤلاء جميعا تقود إلى الهلاك والدمار .

وإذا كانت الأسطورة ، والتي انتقلت عبر التاريخ ، تسجل بعض شواهد التاريخ وتحفظها ، فليس بكثير أن نقول أنها الصياغة الأولى لكتابة التاريخ .

الأسطورة والخرافة :

تتضمن الخرافة مجموعة من الأخبار تتصل بتجارب الإنسانية منذ القدم ، وهي تنتقل من جيل إلى آخر ، وفي انتقالها هذا لا بد وأن يطرأ عليها بعض التغيير والتبديل ، أو الإضافة ، أو الحذف . وهي لا تعتمد على الحدث أساسا لها . وإنما تعتمد على البطل . وتختار من الأحداث ما يلقي الضوء على شخصيته ويؤثر في حركته ، ويكمن الأساس في الخرافة في معناها العميق .

ويذهب البعض إلى اعتبار الحكاية الخرافية لونا من ألوان الأساطير . في حين أن البعض يرفض ذلك . ومهما كان الأمر ، فلا شك من وجود تلازم بين الأساطير والحكايات الخرافية . ومما يلاحظ على الحكاية الخرافية أنها في أغلب الأحيان ليس لها مصدر ديني ، وأكثر اعتمادها على عنصر الخير والشر . وإذا ما تضمنت الحكايات الخرافية موضوعا دينيا فمن الممكن اعتبارها أساطير إلهية .

ونظرا للارتباط الوثيق بين الأسطورة والخرافة ، فلم يفرق بعض القدماء بينهما ، ومن هؤلاء (أرسطو) ، والذي قد توحي كتاباته إلى أنه اعتبرهما شيئا واحدا .

ولكن من المؤكد أن الأسطورة والخرافة ، كل منهما بعيد عن التاريخ الحقيقي، الذي يمكن الاعتماد عليه .

الأساطير والعهد القديم :

إذا كان من المؤكد أن الأسطورة لا بد وأن تكون ذات مبعث ديني ، فإن العهد القديم ، والذي يعتبر كتابا دينيا ، وليس تاريخيا ، مليء بالأساطير التي لها ارتباط وثيق بهذا المبعث الذي كان سببا في وجودها وخلودها .

لقد حرص كتبة العهد القديم على صياغة هذه الأساطير في قالب ديني ، وإيجاد علاقة وثيقة بينهما ، اعتقادا بأن إيمان الشعوب بالأحداث التي لها علاقة بالأمور الدينية يكون أكثر من غيرها . ونظرا لأنهم كانوا لاهوتيين وليسوا مؤرخين ، لهذا كانوا ينظرون إلى التاريخ من الزاوية التي تحقق لهم ما يهدفون إليه ، أي من الزاوية الدينية فقط .

وقد ساعد العهد القديم على حفظ الأساطير الإسرعيلية ، من خلال تدوينها وترتيبها وفهرستها ، وربطها مع بعضها البعض ، وجعلها منهاجا متسلسلا.

كما نجد أيضا أن العهد القديم في كل مرة يتناول فيها حدثا ما ، يعتمد على الفعل الإعجازي ، حيث يتطلب القيام بهذا الحدث فعلا إعجازيا من البشر ، كما حصل في مقتل جالوت من قبل داود عليه السلام بحجر من مقلاعه . وليس من الغريب أن يلجأ كتبة العهد القديم إلى استبدال العنصر البشري ، بعنصر إلهي للقيام بهذا الحدث ، معتبرين أن ذلك الحدث يقع خارج نطاق الإمكانية البشرية ، مما يستدعي تدخل الآلهة ، وبطريقة أخرى تدخل العامل الديني في تنفيذ ذاك الحدث

ولهذا نرى تدخل الإله (يهوه) في كثير من الأمور شيئا مألوفا في أساطير العهد القديم ، فما أن يصادف القائد ،أو الكاهن ، أو الملك ، معضلة ولا يستطيع حلها ، يتدخل الإله يهوه ، وتنتهي المشكلة . ويقينا فإن الهدف من وراء ذلك إنما هو ترسيخ المفهوم الديني لدى الأفراد ، وأنه لا مناص من الاعتماد على الإله يهوه في كل أمور الحياة .

فالإله (يهوه) هو الذي ساعد بني إسرعيل على الخروج من مصر ، ويهوه هو الذي كان يمشي أمامهم نهارا في عمود من سحاب ، وليلا في عمود من نار يضيء لهم الطريق . وهو الذي جعل يشوع ينتصر في حروبه المزعومة . وهو الذي نصر القاضي جدعون ، وهزم شاؤول لأن أحد جنوده خالف تعاليمه (يهوه) . وكثيرا ما نجد المؤلفين يزعمون أن (يهوه يقول . . .) و (يهوه يتكلم . . .) و (يهوه يطلب . . .) و (يهوه يختار . . .) .

ولا شك أن من أهم مبادئ الأسطورة الناجحة هو الاعتماد على الأسماء ذات المكانة البارزة ،والقدرة الخارقة ، كأن يكونوا أنبياء ، مثل يعقوب ويوسف وموسى وداود وسليمان عليهم السلام .أو كما في أسطورة النبية دبورة التي تتحدث باسم الرب . أو يكونوا من أصحاب القوة مثل (شمشون) . أو أن يكونوا كهنة مثل أبياثار الكاهن .

وليس من الضرورة أن تتبع الأسطورة التسلسل المنطقي في سرد حوادثها بل كثيرا ما تلجأ إلى اتباع ما يراه قائد الأسطورة مناسبا ، وهذا ما نجده غالبا على أحداث العهد القديم الأسطورية .

ومن الأمور المهمة التي تركز عليها أساطير العهد القديم كثيرا ، هي (الإله والطاعة) ، فكثير من هذه الأساطير تقع بسبب مخالفة الإله (يهوه) . وإذا كان من الأهداف الأساسية للعهد القديم هو تأكيد أن شعب بني إسرعيل هم (شعب الله المختار) حسب تفسيرهم لهذا المفهوم ، ونتيجة لهذا الاختيار

فقــد وعدهــم بالأرض المقدسة ، ولمحبة الله لهم ، فقد ميزهم عن غيرهم وجعلهم شعبا مختارا ،وسمح لهم بطرد الشعوب الأخرى ، وحتى إبادتها إن لــزم الأمــر، ليعيش الشعب المختار في رغد العيش ونعيمه . وبالطبع فإن ذلك يتطلــب إطاعــة أوامر الإله يهوه ، واجتناب نواهيه .

وكذلك فإننا نجد بعض أساطير العهد القديم ، ليس لها زمــن محــدد ، ولا مكان يستدل عليها به . فالخروج من مصر لم يعرف في عهد أي من الملوك قد تم، وملكة سبأ وما يحيط بها غموض لا زال لم يتضح بعد .

إن العالم الأسطوري الذي يتحدث عنه العهد القديم ليس له مثيل في الواقــع التاريخي لبني إسرعيل . إنه عالم اختلقه الكتبة لدعم ادعاءاتهم وأكــاذيبهم فــي الأمور التي تحدثوا عنها .

ويقينا فإن الوضع اللامنتمي الذي كان يعيشه بنو إسرعيل في بابل ، حيــث لا أصول عرقية معروفة لهم ، ونظرا لاختلاطهم مع غيرهم من الــشعوب ، فقــد دفعهم ذلك إلى اختلاق أصول عرقية لهم ، تتحدث عن الآباء الأوائل ، والذين هــم حقا لا ينتسبون إليهم ، وذلك من أجل الرد على الآخرين ، ومحاولــة إلــى إزالــة الشكوك التي تحيط بأصولهم العرقية . وقد دفعهم ذلك إلى وضع أســاطير الآبــاء الأوائل المزعومين في مقدمة كتابهم المزعوم ، حرصا على أهمية هــذا الادعــاء بالنسبة لهم ، مع تلفيقهم الوعود الكاذبة ، والتي اعتبروهــــا قطعيــــة التاريــــخ والاستحقاق ، على اعتبار أنها وعود إلهية لشعب مختار (شعب إسرعيل) .

ونحن هنا لسنا بصدد الحديث عن قصص العهد القديم ومقارنتها بالتاريخ ، إذ أن هذا الموضوع يتطلب دراسات طويلة ، وعقد مقارنات تتطلب جهدا كبيرا . ولكننا نأخذ مثالا على ذلك بعضا من قصص العهد القديم ، ونرى كيف يعالجها ، ونتناول أبعادها دون تفصيل ، ومدى علاقتها بالأسطورة أو التاريخ ، لنستخلص من ذلك أن قصص العهد القديم هي أقرب إلى الأساطير منها إلى التاريخ ، وليس

ذلك بعيدا لأن هذه القصص كتبت تاريخا من وجهة نظر دينية . هذا بالإضافة إلى وجود كثير من المتناقضات بين قصص العهد القديم ، ويرجع سبب ذلك وجود مصادر مختلفة استخدمت في تأليف النص . وكذلك التعديلات التي أدخلت على نصوص العهد القديم لاحقا ، ثم اعتبرت كنصوص أصلية فيما بعد .

القصة الأولى هي قصة الطوفان . وقد وردت في الإصحاحات 6 ، 7 ، 8 من سفر التكوين . وهناك للطوفان في العهد القديم روايتان . وبالرجوع إلى هذه النصوص نجد فيها اختلافات جذرية قد تؤثر على موضوع القصة من أساسه . مثل الاختلاف في من ركب السفينة ، وماء الطوفان ، هل هو ماء المطر ، أم ماء الينابيع ؟ أم الاثنين معا ؟ وللطوفان أيضا مدتان : أحدهما أربعون يوما ، والأخرى مائة وخمسون يوما ، وغيرها .

ولا شك في أن اختلاف الموضوع يعود إلى المصدر الذي نقل عنه النص، حيث يوجد لذلك روايتان : الرواية اليهوية ، والتي ترجع إلى القرن التاسع قبل الميلاد . والرواية الكهنوتية ، والتي ترجع إلى القرن السادس قبل الميلاد .

وإذا كان هذا من حيث الرواية ، فإن ما جاء في هذه الأسطورة بشكلها الحالي يتعارض مع المعارف العلمية الحديثة . ونحن وإن كنا لا نشك في حصول الطوفان ، لكنه بالتأكيد لم يكن كما جاءت روايته في العهد القديم ، تلك الرواية الدينية لا التاريخية .

والقصة الثانية ، هي قصة مصارعة يعقوب عليه السلام ، لله تعالى ، والواردة في العهد القديم ، (سفر التكوين 35 : 9 – 15) . وقليل من العقل والتفكير لدى أي إنسان عاقل ، يتوصل إلى أن هذه القصة الخيالية لا يمكن أن تحصل بأي شكل من الأشكال ، وهي مشابهة للأساطير الإغريقية التي كانت

منتشرة حين كتابة العهد القديم ، وكيف يعقل أن يقوم إنسان بمصارعة الإله فيصرعه ؟ إلا أن تكون من ذلك القبيل .

والقصة الثالثة ، وهي قصة يكفي أن تقرأها مرة واحدة حتى تعرف أنها أسطورة تهدف إلى تهويل وتعظيم الأمور ، من أجل تحقيق هدف ما . هذه القصة هي قصة الجواسيس المذكورة في سفر العدد (الإصحاح 13، 14) . حيث تتحدث هذه القصة الأسطورة عن ما شاهده هؤلاء الجواسيس في أرض كنعان ، ففي وادي أشكول " وقطعوا من هناك زرجونة بعنقود واحد من العنب وحمله بالدقرانة بين اثنين مع شيء من الرمان والتين . " العدد 13 : 23 . أما سكانها " وجميع الشعب الذي رأينا فيها أناس طوال القامة . وقد رأينا هناك الجبابرة من بني عناق من الجبابرة . " العدد 13 : 32 ، 33 . هذه الأرض التي تفيض لبنا وعسلا ، هي أرض أيضا تأكل سكانها . ولا شك في أن عدم المصداقية في هذا الوصف ، يجعل القصة تخرج من إطار التاريخ إلى إطـــار الأسطورة . قد يكون الجواسيس ذهبوا إلى أرض كنعان حقا ، ولكن من المستبعد أن يكون ما شاهدوه هو الذي قالوه ، إنما هي إرادة كتبة العهد القديم ، وذلك من أجل تبرير عدم الدخول إلى كنعان في حينه ، خوفا منهم ، وتهيئة لما سيحصل فيما بعد .

وكذلك قصة اللاوي الذي حل ضيفا مع أمته على رجل من سبط بنيامين ، فتجمع سبعمائة رجل على باب ذلك الرجل ، واختطفوا الأمة ، وظلوا يزنون بها حتى الصباح فماتت من كثرة الاغتصاب ، فقطعها اللاوي إلى اثنتا عشرة قطعة ، ووزعها على أسباط بني إسرعيل .

إن هذه القصص وغيرها ، والتي يتناقلها مؤيدو العهد القديم على أنها تاريخ ، وفي الواقع أنها ليست روايات لماض تاريخي ، بل هي تراث يهدف إلى معان أدبية وأخلاقية ، والتاريخ في واقعه لا يعالج مشاكل أدبيـــة وأخلاقيـــة ،

ومعنوية ، بل يهتم بالواقع وما يطرأ عليه ، ويقوم بسرد الحقائق كما وجدت في حينه . في حين أن الأسطورة أو القصة الخرافية تفرض على الواقع تغييرات حتى تتناسب مع الهدف الأخلاقي النهائي لها .

ونحن باستخدامنا هذه الأساطير والقصص الخرافية العديدة في العهد القديم ، عند كتابة تاريخ قديم لبني إسرعيل والمنطقة ، يظهر لنا انعدام الترابط التاريخي بين هذه الأساطير ، وبين التاريخ الواقعي .

وإذا ما حاولنا إيجاد رابط مشترك بينهما ، فإننا نصطدم بالمشكوك فيه ، واللامعقول والمستحيل أحيانا من جانب مرويات العهد القديم ، وذلك لعدة أسباب ، منها :

1- أن الكتاب قد كتب من قبل عدة أشخاص ، ثم جمعت هذه الكتابات في كتاب واحد ، وقد ضمّن كل كاتب وجهة نظره فيما كتب .
2- خضوع الكتاب في مراحله على مر الزمن لعدة إضافات وتغييرات والتي قد تتعارض أحيانا مع ما تم تثبيته من قبل ، ومع التاريخ الواقعي أحيانا .
3- إرضاء الإله يهوه في كثير من الروايات التوراتية ، وبالتالي فإن نسق الكتابة لا بد وأن يكون مناسبا لطريقة الإرضاء ، وهدفه .
4- إخفاء كثير من الحقائق والتي قد تتعارض مع تاريخ بني إسرعيل القديم وتضخيم بعض الأحداث لكسب عطف وتأييد أصحاب اتخاذ القرار في زمن وقوع الأحداث ، أو كتابتها .

الفصل الثاني

هل كتاب العهد القديم كتاب تاريخ ؟

ظهور كتاب العهد القديم :

لقد بات من المؤكد أن العهد القديم ليس كلام الله تعالى ، ولا حتى الأسفار الخمسة الأولى منه ، التي يطلق عليها اسم (التوراة) ، وهي أسفار النبي موسى عليه السلام كما يدعون . فبعد كثير من الدراسات التي قام بها العلماء والمؤرخون ، أصبحوا على يقين بأن تأليف العهد القديم ،قد بدأ في بابل ، أثناء التهجير البابلي لبني إسرعيل . كما يرى البعض أنه بدأ قبل ذلك .

ولسنا هنا بصدد الحديث عن أسفار العهد القديم ومصادره وطرق كتابته ، ولكن ما يهمنا هو تاريخية العهد القديم ، أي هل يمكن الاعتماد عليه عند كتابة التاريخ القديم للمنطقة عامة ؟ ولبني إسرعيل خاصة ؟

وحتى الآن لم تثبت الاكتشافات الآثارية التي تطورت وتقدمت بشكل لم يسبق له مثيل ، صدقية مرويات العهد القديم ، وقد أصبح بإمكاننا أن نتعرف على ما كان يجري في العصور القديمة ، إذا ما تم اكتشاف ولو أثر بسيط ، له علاقة بذلك الزمن . ولم يعد المطلوب إيجاد علاقة بين النص التوراتي ، والمكان على الطبيعة إن وجد ، لتأكيد الحدث . بل أصبحت المكتشفات المستخرجة من الموقع الأثري ، والنماذج المعمارية ، وبقايا العظام الحيوانية ، والبذور ، والتحليلات الكيميائية لعينات التربة ، وغيرها ، أصبح تحليل هذه المكتشفات ، واستخراج المعلومات منها هو الدليل على مدى صدقة الرواية في العهد القديم .

وبعد دراسة كل المكتشفات التي تم التوصل إليها ، " أصبح واضحا – الآن – أن العديد من أحداث التاريخ التوراتي لم تحدث لا في المكان ، ولا

بالطريقة والأوصاف التي رويت في الكتاب المقدس العبري ، بـل بعـض أشـهر الحوادث في العهد القديم لم تحدث مطلقا أصلا . " (**فينكلشتاين ، التوراة اليهودية مكشوفة على حقيقتها ، ص 28**) .

وإذا كان الهدف الرئيس من العهد القديم هو إظهار بني إسرعيل ، من أنهم هم الشعب المختار ، والموعود بالأرض المقدسة ،وعلاقتهم المميزة مع الله تعالى ، وسرد قصص أنبيائهم وحكمائهم وملوكهم ، والمآسي التي حلّت بهم ، نتيجة مخالفة أوامر الله تعالى ، وبعدهم عن الدين . . . الخ ، هذه الأحداث وغيرها ، وبالـشكل الذي جاءت به في العهد القديم لم يعد سرا أن يقال أن أغلبها أساطير خيالية .

وإذا كان من الشائع حتى قرون قليلة ، أن العهد القديم ما هو إلا وحـي ، أوحى به الله تعالى إلى أنبيائه من بني إسرعيل ، وإلى كهنـتهم وعلمـائهم ، فقـد بـات واضحا أن الكثير من أسفاره تم تجميعها وتأليفها أثناء التهجير البابلي وبعـد العودة منه ، أي في القرنين السادس والخامس قبل الميلاد ، والـبعض منهـا فـي القرن الرابع قبل الميلاد ، وغيره .

ولكن لماذا تم تأليف العهد القديم ؟

اختلف العلماء في الأصل الذي جاءت منه قصص العهد القديم ، فمنهم من يرى أن هذه القصص قد بدأت من الحكايات الشعبية ، ثم أصبحت بالتدريج على مر الزمن أكثر فأكثر تاريخية . ومنهم من يرى أنها كانت أحداث فعلية ، كتبت عنهـا روايات في قالب قصصي . وعلى هذا الأساس تكون روايات الفريق الأول أقرب إلى الأساطير التاريخية ، والثاني أقرب إلى القصة التاريخية .

ونحن نتعامل مع نصوص العهد القديم مع ما فيها من خيال جامح أحيانا ، وطقوس عجيبة ، وشخصيات غريبة ، وروايات خيالية ، حقا لنشعر بأن ذلك ليس هو التاريخ الواقعي، وإنما هي أساطير كغيرها من الأساطير والقصص الشعبية

التي تفخر بها الشعوب في تاريخ حياتها ،ولكن الشيء الوحيد الذي يميز روايات العهد القديم عن تلك ، هو الطابع الديني الذي يغلب عليها .

و " لكي نفهم كيف تتحدث القصص حول أي عالم حقيقي ممكن من التاريخ ينبغي علينا أن ننظر إلى سياقها وإلى النص ، أيا كان النص الذي يمكن أن يشير إليه . وينبغي علينا أن نعترف بأن معظم قصص الكتاب ليست تأليفات كاملة ولا أصلية . فهي لم تركب كأوصاف حكائية للماضي ، بل كمجموعات من التراثات المتشظية التي نجت من الماضي . " **(طومسون ، الماضي الخرافي التوراة والتاريخ ، ص 132) .**

وهذا يقودنا إلى الاعتراف بأن جامعي هذه القصص مختلفون ، نظرا لاختلاف ما تم جمعه . وأن كل واحد منهم يمثل وجهة نظر الجماعة التي يتمي إليها ، دينيا ، أو فكريا ، أو اجتماعيا ، وغيرها .

ولهذا ، فإن الحديث عن التاريخ القديم لبني إسرعيل لا يمكن أن يكون من خلال مرويات العهد القديم ، التي لا تمثل الواقع الإسرعيلي في حينه .

هذه القصص التي تتعامل مع أنبياء الله تعالى إبراهيم واسحق ويعقوب . . . على أنهم بشر يعبدون الإله يهوه ، ونحن نعرف أنهم أنبياء الله تعالى معصومون عن الكفر والشرك ، فكيف نوفق بين مفهوم العهد القديم لهؤلاء ، ومفهوم القرآن الكريم الذي يكرمهم وينزههم عن الشرك والكفر ؟

من المؤكد أن كهنة بني إسرعيل كتبة العهد القديم ، لم يكن هدفهم من ذلك كتابة تاريخ صادق واقعي لبني إسرعيل ، يتناول ما مر معهم ، سواء كان لهم أم عليهم ، وذلك بصدق ومسؤولية . ولكن الهدف الأساس من ذلك كان هو وعظ وإرشاد وتعليم بني إسرعيل . وما هذا الأسلوب التاريخي الذي كتب به العهد القديم إلا وسيلة من أجل تحقيق الهدف المطلوب .

وحتى تتناسب القصص التاريخية مع التصورات الدينية التي كانوا يؤمنون بها ، كان لا بد من إجراء التغيير المناسب لخدمة هذا الغرض ، حتى لو تطلب الأمر إضافة بعض القصص الخيالية ، والأساطير الشعبية التي كانت سائدة في ذلك الوقت ، أو الاقتباس عنها ، حتى ولا مانع من استعارة القصص الأسطورية للشعوب الأخرى ، وتحويرها بحيث تظهر وكأنها قصة خاصة ببني إسرعيل .

لقد كانوا على قناعة تامة بأن هذا الأسلوب ، هو أقصر الطرق وأقربها إلى عقول بني قومهم ، خاصة وأنهم كانوا يريدون منهم الإيمان بذلك ، استعدادا للعودة إلى أورشالم .

والتاريخ هنا يعيد نفسه ، فقد عاش بنو إسرعيل في مصر في غربة ، وكانوا ينتظرون من يخرج بهم إلى الأرض المقدسة ، ومستعدين لفعل أي شيء مقابل ذلك . وهكذا كان الوضع في بابل ، فكانوا أغلبهم يستمعون إلى كهنتهم وهم يصورون لهم النعيم الذي كان يعيشه أجدادهم في أورشالم والسامرة ، وغيرها ، مما جعل هؤلاء الكهنة يسترسلون في السرد التاريخي القصصي الشعبي المشوق على حساب الحقيقة .

كما أن جهل هؤلاء الكهنة بالتاريخ ، سواء كان ذلك بالوقائع التاريخية ، أو أبطالها ، أو أماكنها ، قد انعكس سلبا على هذه الروايات التي جاءت مليئة بالأخطاء الساذجة في كثير من الأحيان . وكما قال زينون كوسيدوفسكي " لكن الحقيقة أن الكهنة غيّروا شكل النصوص ، وأدخلوا عليها بعض السخافات ولكن عددها ليس بالكبير . " (**زينون كوسيدوفسكي ، الأسطورة والحقيقة ، ص 56**) .

ويقينا فإن كهنة التوراة لم يكونوا مؤرخين ، بل كانوا لاهوتيين ينظرون إلى التاريخ نظرة دينية ، فاختلط التاريخ بالدين ، وأصبح من الصعب التفريق بينهما ، حتى أن المؤرخين الحاليين كثيرا ما وقعوا في إشكالات كتابية تاريخية ، لم تظهر لهم عدم صدقيتها إلا فيما بعد .

ويعلق فينكلشتاين على تاريخية العهد القديم ، فيقول :

" وسنـــثبت بأن الجوهر التاريخي للكتاب المقدس إنما ظهر للوجـــود انطلاقـــا من ظروف روحية واجتماعية وسياسية واضحة وشكّلته خلاّقية وبصيرة نساء ورجال استثنائيين معظم ما أخذ عموما على أنه تاريخي صحيح ودقيق مسلم بـــه – كقـــصص الآبـــاء ، والخروج ، وغزو كنعان ، وحتى قصة الحكم الملكي المتحد المجيـــد لـــداود وسليمان – ليس – في الواقع – سوى تعبيرات خلاّقة أبدعتها حركة الإصلاح الـــديني القوية التي ازدهرت في مملكة يهوذا في العصر الحديدي المتأخر . " (**فينكلشتاين ، التـــوراة اليهوديـــة مكشوفة على حقيقتها ، ص 51**) .

ولهذا يمكننا القول بعد العديد من الدراسات التي أجريت *على العهد القديم ، أن رواياته قد كتبت في زمن معين من التاريخ ، وكان لها جمهورهـــا الخـــاص ، ولديه الاستعداد إلى الاستماع لمثل هذه الروايات ، والتفاعل معها .

وإن كتابة تاريخ قديم لبني إسرعيل يتطلب منا أن لا نبحث عن ذلك في مرويات العهد القديم ، فتاريخ الماضي لا يوجد في الكتب الدينية وحدها ، فكيف إذا كانت قد خضعت للتغيير والتبديل أكثر من مرة ؟ إنما التاريخ القديم يوجد في السجلات التاريخية ، وفي الآثار التي يخلفها أصحابها لنستدل بها عليهم . ولهذا إذا عدنا إلى هذين المصدرين ، فإننا بالكاد نجد شيئا ذا قيمة عن بني إسرعيل نستطيع من خلاله أن نكتب تاريخا عنهم .

إن تاريخ بني إسرعيل القديم الكتابي يعتبر عنصرا من عناصر التراث والقصة ، ذلك التراث الذي يعتبرون فيه إبراهيم عليه السلام أبا لهم ، بالرغم من كونه أبا لجميع الأنبياء وأتباعهم من بعده . ثم لا يلبثون أن يروا في يعقوب وأبنائه الاثنى عشر ، آباءا لبني إسرعيل ، ذلك الخيال الذي لم يعد مقبولا بعد قضائهم في

التيه ، وما صراع بني إسرعيل بعد ذلك التاريخ مع الغير ، إلا صراع بين من ارتد منهم وعبد الإله يهوه ، مع الشعوب والقبائل التي كانت تعبد الآلهة الأخرى . إنه صراع ديني وثني ليس له علاقة بتاريخ بني إسرعيل الموحدين الذين نسيهم التاريخ نظرا لعدم ورود ذكرهم في العهد القديم .

والذي نعرفه أن الاسم (إسرعيل) " ظهــر لأول مرة في أثناء العهــد الفارسي المتأخر أو الهلنستي المتأخر،ولم يطور بشكل كامل قبل زمن المكابيين . " (**طومسون ، التوراة والتاريخ ، ص 152**) . ففي عصر الحديد الأول عندما شكل داود عليه السلام مملكة في أورشالم ، لم تكن هذه مملكة إسرعيل بل (مملكة أورشالم) ، هكذا كانت ممالك فلسطين تسمي المملكة باسم عاصمتها . كما أن داود عليه السلام النبي المؤمن الموحد ما كان ليسمي دولته باسم (مملكة إسرعيل) لما في ذلك الاسم من عنصرية واضحة . وفي بعض الأحيان عندما كان الحكم وراثيا في بيت ما ، كانت المملكة تسمى باسم ذلك البيت مثل (بيت عُمري ، بيت لحياني ، بيت عديني ، . . .) ومن الممكن أن نطلق على مملكة داود عليه السلام أيضا اسم (مملكة بيت داود) .

ومن المؤكد أن داود عليه السلام ، وابنه سليمان من بعده كانوا على العكس تماما مما يصفهم به العهد القديم ، ولهذا فمن المجحف بحق هؤلاء أن نعتبر ما جاء في روايات العهد القديم هو وصف لهم ، ويمثل تاريخا للفترة التي عاشوا بها .

وبعد عودة المهجرين من بابل إلى أورشالم ، وحتى يوجد العائدون لأنفسهم تبريرا لوجودهم في هذا الموقع ، فقد ادعوا أنهم من بني إسرعيل ، وأنهم ما جاءوا إلاّ ليعيدوا أمجاد داود وسليمان عليهما السلام ، ذاك التراث الذي لا يستطيع أحد أن يصدقه بهذا الادعاء .

الاعتماد على كتاب العهد القديم :

يعتبر العهد القديم The Bible ، والذي يحتوي على مجموعة كبيرة من الأسفار ، هو الكتاب الديني الأول عند بني إسرعيل . وبعضهم يسميه بـ (الكتاب المقدس العبري The Hebrew Bible) . كما يسمى أيضا بـ (كتاب العهد القديم) .

ويتضمن القسم الأول من هذا الكتاب (التوراة Torah) وهي تشمل الأسفار الخمسة الأولى من الكتاب ، كما ويطلق عليها أحيانا (كتب موسى الخمسة) ، وهي في مجموعها عبارة عن قصص وأساطير ، وأحكام ، بات في حكم المؤكد أنه يغلب عليها طابع الإثارة والتهويل . وقد ساعد علم الآثار الحديث ، على اكتشاف كثير من المعطيات التي تنقض كثيرا من هذه القصص .

ومن الخطأ الاعتقاد بأن العهد القديم المتداول الآن ، أنه هو الكتاب الذي أنزل على موسى عليه السلام . ولا شك في أن توراة موسى عليه السلام أصغر من ذلك بكثير جدا ، فهي وحسب قول الخطاب التوراتي (لوحان) من الحجر : " ثم أعطى موسى عند فراغه من الكلام معه في جبل سيناء لوحي الشهادة لوحي حجر مكتوبين بإصبع الله . " الخروج 31: 18 .

وأيضا : " فانصرف موسى ونزل من الجبل ولوحا الشهادة في يده . لوحان مكتوبان على جانبيهما . ومن هنا ومن هنا كانا مكتوبين . واللوحان هما صنعة الله والكتابة كتابة الله منقوشة على اللوحين . " الخروج 32: 15، 16 .

وتم تداول ما جاء في هذين اللوحين منذ عهد موسى عليه السلام ، ووضعا في التابوت ، الذي أحضره داود عليه السلام ، ووضع في الخيمة التي نصبها حسب خطاب العهد القديم في (مدينة داود) . صموئيل الثاني 6 : 1- 12 .

وقيل بعد ذلك أنها وضعت في البيت الذي بناه سليمان عليه السلام ، ولم يعرف بعد ذلك أين ذهب هذان اللوحان . ولهذا فإنه لا يوجد سند متواتر عن وجود التوراة التي فقدت ، وعلى الأغلب في عهد من جاءوا بعد سليمان عليه السلام .

ومن المتفق عليه ، أن كثيرا من العهد القديم الحالي ، قد كتب من قبل عزرا في بابل ، وآخرين أثناء التهجير البابلي لأهالي أورشالم . ويقينا فإن التوراة التي نزلت على موسى عليه السلام ،لم تكن كتاب تاريخ ، وإنما هي عبارة عن مجموعة من الشرائع والأحكام كتبت على هذين اللوحين ، وبشكل مبسط وسهل ليتبعها أبناء بني إسرعيل الموحدين ، ومن تبعهم في ذلك الوقت ، وهي تعتبر كاملة وكافية لما كان عليه المجتمع حينذاك .

أما ما نقرأه اليوم في كتاب العهد القديم المزعوم ، من سلالات نسب ، وأحداث تاريخية ، وغيرها ، مبالغ في أكثرها ، ناهيك عن أنها وقعت بعد وفاة موسى عليه السلام بمئات السنين ، فلا شك أنها ليست هي التوراة الأصلية ، وأنه لا يمكن اعتبارها كتاب تاريخ صادق ، مثلها مثل كتب التاريخ التي قام بتأليفها (يوسيفوس) – كاتب إسرعيلي عديم المصداقية – إنها كتب تاريخ ولكن مشكوك جدا في صحتها .

اعتمد كثير من العلماء والمؤرخين الأجانب والعرب على العهد القديم ، عند كتابتهم لتاريخ إسرعيل القديم ، وحتى التاريخ الفلسطيني ، والتاريخ القديم للمنطقة بكاملها ، على اعتبار أن ما جاء في المرويات التوراتية حقائق ليست قابلة للنقاش أو النقض .

ولكن منذ أواخر القرن العشرين بدأت التأثيرات التوراتية تخف سيطرتها على المؤرخين ، الذين بدأوا يتنصلون من الاعتماد على الأحداث التي وردت بها ، ويشككون في معظم الروايات التي تتحدث عنها . ومن هؤلاء توماس طومسون ، وكيث وايتلام ، ويسرائيل فينكلشتاين ، وغاربيني ، وأوسيشكين ، وزئيف هيرتزوغ وغيرهم .

فمثلا يقول طومسون : " إن الكتاب ليس تاريخا على الإطلاق إنه مليء بالأمثولة وقصة العبرة ، إنه لاهوت ، إنه يختلق تراثا يحمل رسالة رؤية للماضي بوصفه إخفاقا،تراثا يمكن استخدامه دعما لآمال معقودة في المستقبل على الدوام . " **(طومسون ، الماضي الخرافي التوراة والتاريخ ، ص 27)** .

ولهذا فإن الاعتماد على مرويات العهد القديم لكتابة تاريخ إسرعيل القديم ، يقودنا إلى كتابة أساطير ليس لها وجود ، وبالتالي يصعب تطبيقها على الواقع . يقول فينكلشتاين : " لقد فقد كتاب التوراة أهميته كمصدر تاريخ وخصوصا فيما يتعلق بأصول إسرعيل . . . إن المصد ر التوراتي الذي تحكم بماضي البحث في أصول إسرعيل قد تراجعت أهميته إلى حد بعيد في الوقت الحاضر ، ولم يعد من المصادر الرئيسة المباشرة . " **(بشار خليف ، صحيفة تشرين السورية 2004/8/15م)** .

كما أكدت صحيفة (هاآرتس) الإسرعيلية على أن حكايات العهد القديم عن تأسيس إسرعيل مخالفة تماما للواقع الذي تم التوصل إليه . فتقول :

" إن أغلبية المنشغلين في النقاشات العلمية في مجال توراة وآثار تاريخ شعب إسرعيل الذين كانوا حتى الآن يبحثون في الأرض عن البراهين لدلائل للحكايات الواردة في العهد القديم ، يتفقون على أن مراحل تكون شعب إسرعيل كانت

مغايرة تماما لما جاء وصفه في التوراة . " (**صحيفة هآرتس الإسرعيلية ، 29 / 10 / 1999م .**) .

وقد قام (فيلهاوزن) بدراسة نقدية للأسفار الخمسة الأولى من التوراة ، وقد توصل هو وغيره من الباحثين الذين أصبحوا يعرفون باسم (أصحاب المدرسة النقدية) توصلوا :

" إلى أن العهد القديم هو مؤلف ديني روحاني تم تدوينه في فترة متأخرة تلت الأحداث الواردة فيه بمئات السنين ، وتحول بسبب دوره في خدمة الفكر الديني الإسرعيلي إلى مصدر تاريخي مشكوك فيه ، لأن الأحداث الواردة فيه لا تؤيدها براهين أخرى من مصادر أجنبية أو اكتشافات أثرية ، مما ألقى بظلال كثيفة حول المصداقية التاريخية المرتبطة بالخلفية الدينية وحول مزاعم الجماعة اليهودية حول الأرض والتراث والوعد الإلهي . . . الخ . " (**رشاد الشامي ، العبرانيون وبنو إسرعيل في العصور القديمة ، ص 33)** .

كما أن (ويلهاوزن) يرى أن هذه الأسفار الخمسة " يجب فهمها على أنها وثائق أدبية تم تأليفها وقت كتابتها ، ولذلك فهي كمواد مؤلفة تعكس فهم ومعرفة مؤلفيها وعالمهم . هذا الافتراض أدى إلى نتيجة مزعجة مفادها أنه لا يمكن أن تحصل منها على أي شيء تاريخي يعتمد عليه ، عن المراحل السابقة لتاريخ إسرعيل . " (**طومسون ، التاريخ القديم للشعب الإسرعيلي ، ص 10**) .

وعليه ، فإذا كانت مرويات العهد القديم ليست لها تاريخية ، فبالتالي فإن المكتشفات الآثارية كان لا بد لها أن لا تتفق مع هذه المرويات ، كما يقول

هيرتزوغ : " إن التنقيبات الأثرية المكتشفة في إسرعيل خلال القرن الماضي العشرين ، قد أوصلتنا إلى نتائج محبطة . فكل شيء مختلق ، لم نعثر على شيء يتفق والرواية التوراتية . " (**بشار خليف ، صحيفة تشرين السورية ، 2004/8/15م)** .

كما أن (ماير) أيضا قد توصل إلى نتيجة مفادها أن الأصل الذي استمدت منه معلومات العهد القديم ، ما هو إلا حكايات شعبية وأساطير وملاحم . وأن حكايات سفر التكوين فيها القليل مما له علاقة بالتاريخ ، وأن معظمها ينتمي إلى العالم الخيالي . وكذلك فينكلشتاين يرى " أنه لا يوجد عالم آثار يمكنه أن ينكر بأن الكتاب المقدس العبري يحتوي على أساطير ، وأشخاص ، وأجزاء لقصص تعود لعهد قديم جدا . " (**فينكلشتاين ، التوراة اليهودية مكشوفة على حقيقتها ، ص 51)** .

كما نجد أن (غونكيل) أيضا قد أيد ذلك باعترافه أن المرويات الشفهية والأدب الشعبي تشكل أساسا للحكايات التوراتية . وفي عدة دراسات توراتية خاصة ما يتعلق منها بالأسفار الخمسة الأولى في التوراة المزعومة ، توصل كثير من العلماء إلى نتيجة مفادها أن العهد القديم لم يكن تاريخا تحول إلى خيال ، بل خيال تحول إلى تاريخ .

فهو كتاب ليس له سند إلا الذاكرة ، كما يقول بوكاي : " كان الكتاب المقدس ، قبل أن يكون مجموعة أسفار ، تراثا شعبيا لا سند له إلا الذاكرة ، وهي العامل الوحيد الذي اعتمد عليه نقل الأفكار . " (**موريس بوكاي ، القرآن الكريم والتوراة والإنجيل والعلم ، ص 20)** .

وقد رفضت كثير من القصص التوراتية لاعتبارها أساطير لا يمكن تحقيقها ، فهي قصص إعجازية لا يمكن أن تكون تاريخا . ومن هذه القصص ، قصة الجواسيس الذين بعثهم موسى عليه السلام إلى أرض كنعان ، والذين عادوا

بوصف ما رأوه من أن الأرض تجري أنهارها بالحليب والعسل ، وأن عمالقة يقطنون بها ، والإسرعيليون بجانبهم كالجراد ، وأنهم عادوا بعنقود واحد من العنب يحمله اثنان . (سفر العدد / الإصحاح 13) . وقصة سقوط أسوار أريحا بعد الدوران حولها ، والنفخ في الأبواق . (سفر يشوع / الإصحاح 6) . وكذلك قصة إلقاء نبوخذنصر للثلاثة (شدرخ وميشخ وعبد نغو) في أتون محمى سبعة أضعاف أكثر مما كان معتادا أن يحمى ، ولكنهم لم يحترقوا ، بل خرجوا من النار سالمين ، بعد أن رآهم نبوخذنصر يتمشون وسط النار ، فنادى عليهم فخرجوا وما بهم من ضرر . (دانيال 3 : 13 – 30) .

وفي عام 1925م كتب (آلت Alt) مقالة استهلها بقوله : " طالما تواصل البحث لتوكيد تاريخ قبائل وشعب إسرعيل فقط ، وعلى أساس الروايات المناسبة في العهد القديم ، تبقى إمكانية جلاء النقاط الغامضة مشكوكا بها إلى حد كبير . " **(طومسون ، التاريخ القديم للشعب الإسرعيلي ، ص31)** .

وكان من رأيه أنه إذا دعمت (الطبوغرافيا والأركيولوجيا) ببيانات تؤكد ما جاء في الخطاب التوراتي ، عندها فقط نستطيع الاعتماد على تلك المرويات ، واعتبارها تاريخا .

وإذا كان كثير من العلماء والمؤرخين لا يرون في مرويات العهد القديم سندا تاريخيا يعتمد عليه ، فإننا نجد بعضهم من لا يعتقد ذلك ، أمثال (نلسون جلوك) وهو واحد من علماء الآثار الذين عملوا في فلسطين والأردن لسنين طويلة،حيث يقول : " " كلما كنت أذهب مستكشفا في وادي الأردن أو وادي عربة أو أي جزء من شرقي الأردن أو النقب كنت استعمل التوراة كدليل للآثار وأثق ثقة مطلقة بمعلوماتها وشواهدها وحتى تلميحاتها . " " **(محمود أبو طالب ، آثار الأردن وفلسطين ، ص 21)** .

ونظرا لأن الكثير من علماء الآثار الإسرعيليين أمثال روني رايخ،وراني شكرون ، وجدعون آفني ، وغيرهم ، قد شككوا في صدقية المرويات التوراتية ، فقد رد عليهم (فعكين) أحد رجال الدين اليهود متهما الأعمال التي قام بها علماء الآثار بأنها : " أعمال هواة من الدرجة الأولى . والشيء الذي لا يقبل أي شك هو أنه لا يمكن إلغاء ولو حرف في التوراة ، من خلال هذه الاكتشافات أو غيرها . " **(صحيفة يديعوت أحرونوت الإسرعيلية ، 1998/7/23م) .**

ولهذا حاول كثير من علماء الآثار أن يشوهوا صورة المكتشفات الأثرية بحيث تتلاءم مع ما جاء في خطاب العهد القديم . فقد أكد الباحث الإيرلندي (ماك ألستر) في كتابه (نصف قرن من التنقيب في فلسطين) " على أن ثمة نزعة غير علمية تسود مبحث التنقيب هنا ، فالباحثون ينطلقون من فرضيات مسبقة ويحاولون التفتيش عن ما يدعمها في المواقع الأثرية،ويهملون في سعيهم كل الآثار المكتشفة التي لا تدعم فرضياتهم ، أو يختلقون قراءات للآثار المكتشفة تعزز ما في أذهانهم . " **(مجلة الحرية ، دمشق 2004/7/10م) .**

تاريخية العهود الإسرعيلية :

يعتبر بنو إسرعيل عهد إبراهيم عليه السلام ، من العهود الإسرعيلية التاريخية المبكرة ، وذلك على الرغم من أنه عليه السلام كما قال القرآن الكريم : **" ما كان إبراهيم يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما وما كان من المشركين . " آل عمران 67 .**

ومع هذا يضعونه تحت عنوان (تاريخ الآباء) أو (قصص البطاركة) ، والذي يشمل أيضا اسحق ، ويعقوب ، ويوسف عليهم السلام .

وقد تحدثت التوراة عن هؤلاء الآباء – والذين يشترك معهم فيهم المسلمون والنصارى – تحدثت عنهم وكأنهم حكام وملوك ، وليسوا أنبياء يوحى إليهم من الله

تعالى . فهم يشربون الخمر ، ويزنون ، ويسفكون الدماء ، ويعبدون الأصنام . ولا شك في أن ذلك يتناقض تماما مع وضع الأنبياء الذين أرسلهم الله تعالى هداية ورحمة للبشر .

ولا نجد في العهد القديم أي حديث عن هؤلاء الآباء الأنبياء ، يصفهم أنهم كانوا على دين التوحيد ، دين الله تعالى ، ولا أنهم كانوا يدعون إلى ذلك . فإبراهيم عليه السلام ، يكذب مرتين ، الأولى في مصر ، والثانية على الملك أبيمالك ملك جرار . وكذلك حصل مع اسحق عليه السلام ، وأن أحد أبنائه احتال عليه وأخذ منه البركة التي كانت مخصصة لأخيه .

ويعقوب عليه السلام قد صارع الله حتى صرعه . ويوسف عليه السلام في مصر اشترى أرض الشعب لفرعون ، وجعلهم عبيدا في هذه الأرض . وغير ذلك من القصص التي لا تتفق مع ما أرسل الأنبياء والرسل من أجله .

وأما إذا ما اعتبرناها أساطير ، وقصصا شعبية خيالية ، فإن للخيال هنا دورا لا يقف عند حد ، ويمكنه أن يتصور ما يشاء ، ليخرج بقصة يرضى عنها القارئ ، وتخدم مصلحة الكاتب على الأغلب .

وقد كتب كل من (هـ . فريس H. Friis ، وتوماس طومسون T. Tomson ، وفان سيتر J. V. Seter) وغيرهم ، عن هذه الفترة ، وقد تحدو جميعا روايات العهد القديم ، وأثبتوا أن هذه الروايات تتعارض مع المعطيات التاريخية لتلك الفترة .

وفي الفصول اللاحقة ، سوف يتبين لنا أيضا أن قصص العهد القديم عن حملة يشوع عليه السلام العسكرية ، قد أثبتت السجلات التاريخية المعاصرة ، والتنقيبات الآثارية ، عدم صحتها ، وأنها لا تعدو أكثر من آمال وخيالات لم تتحقق في يوم ما .

وفي تاريخية عصر القضاة ، والذي يرى بعض المؤرخين أنه جـزء مـن التاريخ الإسرعيلي القديم الصحيح ، فقد اعتبر أنه لا يمكن القبول بتاريخية الروايـة الواردة عن القضاة في العهد القديم ، كما قال (مايز A. Mayes) وذلـك لعـدم وجود بينة تاريخية على ذلك العصر .

وليس هناك ما يؤكد في التاريخ الإسرعيلي القديم على وجود فترة يمكـن أن نطلق عليها اسـم (فترة القضاة) كما يصورها العهد القديم ، حيث أنـه بعـد وفاة موسى ويوشع عليهما السلام ، عاش بنو إسرعيل في فوضى سياسية شـاملة ، لم تطل ، ولم يستطع النبي صموئيل قيادتهم في هذه الفترة ، فما كان مـنهم إلا أن طلبوا منه أن يسأل الله تعالى بأن يبعث لهم ملكا . قال تعالى : " **ألم تر إلى المـلأ من بني إسرعيل من بعد موسى إذ قالوا لنبي لهم ابعث لنا ملكا نقاتل فـي سـبيل الله . . . " البقرة 246 .**

فكان أن اختار النبي صموئيل لهم طالوت (شاؤول) ملكـا علـيهم ، ولا شك أن الحوادث المروية في العهد القديم عن طالوت (شاؤول) وسني حكمه ، لم يتمكن حتى الآن أحد من إيجاد جذور تاريخية لها .

وقد اعتبر (سوغين Soggin) أن كل تاريخ بني إسرعيل حتـى نهايـة عهد شاؤول كما جاء في العهد القديم هو عبارة عن أسـاطير لا يمكـن قبولـها تاريخيا . أمـا (ميلر Miller) فقد اعتبر أن السمة الأدبية اللاتاريخية للروايـات التوراتية عن شاؤول ، هي الأبرز والأجدر أن تعتمد .

وكذلك رأي (غاربيني) الذي يرفض ولايعتـرف أصـلا بمـا يـسمى الفتـرة البطريركية ، ولا فترة القضاة ، ولا غزو عسكري ، لأنه فـي رأيـه لا توجد بينات واضحة واقعية تثبت ما جاء في هذه المرويات عن تلـك الفتـرات . وغاربيني هو صاحب الرأي الذي لا يعتبر أي رواية توراتية موثوقة أو تاريخيـة ما لم تؤكدها بينة أخرى . بل ذهب إلى اعتبار " أن كل تاريخ بني إسرعيل القـديم

يجب أن يعتبر هيكلا مصطنعا شكلته دوافع لاحقة لأي بينة معروفة عن حوادثه . . . . " **(طومسون ، التاريخ القديم للشعب الإسرعيلي ، ص 83) .**

ثم جاء دواد وسليمان عليها السلام ، ومن بعدهما ما يسمى بدولة إسرعيل ويهوذا كما يزعمون ، وقد أثبتت السجلات التاريخية للممالك الكبرى المعاصرة ، والتنقيبات الآثارية سواء في فلسطين ، أو خارجها ، أن مرويات العهد القديم حول هذه الشخصيات ، أو الأحداث قد بالغت ، وضخمت كثيرا من الأمور ، مما جعل الاعتماد عليها كتاريخ غير ممكن . فقد صورت مرويات العهد القديم هـذه الشخصيات على أنها شخصيات قيادية أسطورية مؤسسة لعصر إسرعيلي ذهبي ، ولكن هذا العصر لم يكن في الواقع شيئا يذكر .

انهيار نظرية تاريخية العهد القديم :

حتى نحكم على صدقية الأحداث التوراتية ، ومعقولية روايتها ، ومن ثم اعتبارها كتاريخ ، لا بد من وجود أدلة منطقية على هذه الأحداث . وفي حالة انتفاء وجود هذه الأدلة ، تنتفي صدقية الأحداث تبعا لذلك . وهذا ما حصل في مرويات الخطاب التوراتي ، التي ينقصها الكثير من عقلانية الأدلة ومصداقيتها .

فقد أثبتت الاكتشافات الآثارية وجود تناقضات كبيرة بينها وبين قصص العهد القديم ، مما يجعلنا نؤكد أن ما تم وصفه في هذه القصص لا يمكن أن يكون بأي حال من الأحوال واقعا تاريخيا ، قد حصل في يوم من الأيام .

وإذا كان علماء الآثار في القرن التاسع عشر ، والنصف الأول من القرن العشرين ، يستخدمون الاكتشافات الآثارية في إيضاح نصوص العهد القديم ، ويهملون ما لا يتفق مع هذه النصوص ، فإنه ومنذ السبعينات في القرن الماضي ، بدأت تظهر اتجاهات جديدة على منهج التنقيب عن الآثار في المنطقة ، والحرص على استقلاليتها عن مرويات الخطاب التوراتي . قال فينكلشتاين :

" لم يعد التأكيد منصبا – فقط – على صلة الموقع بالأمكنة المذكورة في الكتاب المقدس العبري ، بل أصبحت المصنوعات اليدوية المستخرجة من الحفريات الأثرية ، والنماذج المعمارية ، وأنماط المستوطنات البشرية ، بالإضافة إلى بقايا العظام الحيوانية ، والبذور ، والتحليلات الكيميائية لعينات التربة ، والنماذج الانثروبولوجية (علم أصل الإنسان) المستخرجة – على مدى زمن طويل – من العديد من الثقافات العالمية ، أصبحت كل هذه المعلومات تستخدم كمفاتيح لإدراك التغيرات الأوسع في الاقتصاد ، والتاريخ السياسي ، والممارسات الدينية ، والكثافة السكانية ، والتركيبة السكانية ذاتها للمجتمع الإسرعيلي القديم . " (**فينكلشتاين ، التوراة اليهودية مكشوفة على حقيقتها ، ص 49، 50)** .

ويرى طومسون أن المدافعين عن الخطاب التوراتي باعتباره كتاب تاريخ ، يرجعون ذلك إلى دافعين : " الأول : سعي اللاهوت المحافظ ، الذي يمد جذوره في الأصولية والتبريرية المسيحية ، هذا اللاهوت المحافظ فهم حقيقة الكتاب أساسا بلغة التاريخ . . . . والثاني : أن الكتاب – التوراة – وفر لغة وصورة متماسكة للماضي كانت الآثاريات – الفلسطينية – تفتقر إليهما . " (**توماس طومسون ، الماضي الخرافي التوراة والتاريخ ، ص360)** .

وبالطبع فإن اللاهوت المحافظ يتمسك بحرفية العهد القديم ويعتبره صادقا في كل ما يقول ، مما جعله يحاول أن يربط ما جاء في الخطاب التوراتي بالأحداث التاريخية . ولكن حتى هذا المنحى قد فشل فشلا ذريعا في كثير من الأحداث التاريخية .

كما أن نظرة الخطاب التوراتي إلى التاريخ الإسرعيلي القديم ، جعلها تختلق هذا التاريخ على حساب تاريخ شعوب المنطقة ، وخاصة الشعب الفلسطيني القديم . وقد انهارت هذه النظرية بعد انهيار الدعم الأكاديمي للدراسات التوراتية

بعدما ثبت تحريفها ، وخاصة بعد ظهور كثير من المكتشفات الأثرية التـي تؤيـد كثيرا من الحقائق ووقائع التاريخ الفلسطيني القديم بعيدا عن الرواية التوراتية .

لقد حاول (ألبرايت Albright) التوفيـق بـين المرويـات التوراتيـة ، والبيانات غير التوراتية ، فيما يتعلق بتاريخ المنطقة ، من أجل دمج تاريخ إسرعيل القديم ، بالإطار العام لتاريخ الشرق الأدنى القديم . إلا أن هذا المفهوم يفتقـر إلـى المنهج الواضح في التحليل والتحقيق ، مما دعا طومسون إلى انتقاده ، واعتبـاره (ألبرايت) جامعا للآثار ، وليس مؤرخا ، ولا مفسرا للتوراة . وأنه " قد اعتقد بـأن المرويات التوراتية هي مبدئيا سرد تاريخي للماضـي . " (**طومـسون ، التـاريخ القديم للشعب الإسرعيلي ، ص 19)** . وقد أظهر ألبرايـت انحيـازه إلـى بعـض الروايات التوراتية المختارة واعتبرها تاريخا مؤكـدا ، كقصص غزوات يـشوع التوراتية .

فأولبرايت يعتقد " أن التوراة هي وثيقة تاريخية مـرت بالفعـل بمراحـل تحرير وتأليف ، إلا أنها في الأساس تعكس الواقع القديم . " (**صـحيفة هـآرتس الإسرعيلية ، 29 / 10 / 1999م)** .

ثم جاء (آلت Alt) وبدأ من حيث توقف ألبرايت ، حيث حـاول إثبـات تاريخية قصص عهد القضاة حتى نشوء الملكية ، وقد حاول التوفيق بين المـصادر التاريخية المختلفة ، والمفاهيم الإثنية التوراتية ، ولكن هـذا الأسـلوب صـادف اعتراضات عديدة من كثير من المؤرخين .

ثم جاء (نوت Noth) الذي كان يرى بأن المرويـات التوراتيـة هـي المصدر الرئيس لتاريخ إسرعيل القديم . أما المكتشفات الأثرية فـدورها ثـانوي ، ومحدود جدا .

وقد كان لـ (هـ . فريس) رأي واضح في تاريخية التوراة عنـدما رأت أن جزءا كبيرا منها كان من إنتاج فترة السبي – التهجير – ، وأنها اعتمـدت فـي

سردها لبعض القصص على الأساطير ، وقد طالبت بكتابة تاريخ مستقل لإسرعيل بعيدا عن المرويات التوراتية .

وقد قام (أ . مايز A. Mayes) بدراسة تاريخية عصر القضاة ، فتوصل إلى نتيجة مفادها أنه لا يمكن قبول الروايات الواردة في التوراة بخصوص عصر القضاة ، لعدم وجود بينة تاريخية على هذا العصر .

كما كتب (دوغيوس) أبحاثا مستقلة عن المرويات التوراتية ، ولهذا جاءت كتاباته متعارضة في أكثرها مع هذه الروايات .

وبدلا من التأريخ التوراتي والاعتماد عليه ، فإن (ليمخي Lemche) يرى أن الاعتماد على المصادر الأثرية في المنطقة ، سوف يكون مفيدا جدا في كتابة بعض مراحل تاريخ المنطقة .

ويرى (سوغين) أن ما يعتبر تاريخ (المملكة المتحدة الإسرعيلية) ما هو إلا قصص تعتمد على الأدب الشعبي ، وأنها ليست تاريخ يعتمد عليها .

وفي دراسة لـ (هالبرن Halpern) حاول فيها الكتابة عن موضوعية التراث التوراتي ، يرى أنه من الأفضل مقارنة الرواية التوراتية مع مصادرها، للتحقق من مدى صدقيتها ، ومع اعترافه بأن هذه المصادر غير موجودة ، لذا فهو يرى أنه لا بد من اللجوء إلى (الطبيعة المرجحة للمصادر) في هذه الحالة . وقد انتقد المؤرخين التوراتيين المحدثين – في الغرب خاصة – بأنهم أحفاد لهؤلاء المؤرخين القدماء ، الذين اعتمدوا في كتاباتهم على الخطاب التوراتي غير الصادق في كثير من رواياته .

وهناك من العلماء من تطرق مباشرة إلى نقد مرويات العهد القديم في بعض مراحلها التي تتحدث عن بني إسرعيل ، أمثال (هيوز Hughes) الذي يرى " أن التسلسل الزمني في سفري القضاة ، وصموئيل هو خيال محض اخترعه اليهود في المنفى لكي يمدونا بمشروع فارغ عمره 1000 سنة يغطي تاريخ وجود

إسرعيل في أرض كنعان . وهكذا ، لا يمكن الاعتماد على هذه الرواية لتزويدنا بتسلسل تاريخ إسرعيل . " **(كيث وايتلام ، اختلاق إسرعيل ، ص 67)** .

ومن هنا نجد أن مساهمات عدد كبير من العلماء والمؤرخين في كتابة تاريخ قديم للمنطقة بعيدا عن المرويات التوراتية قد " كشفت إجماعا على أن مرويات العهد القديم هي في أفضل الفروض مصدر غير مناسب للمعرفة التاريخية . "**(طومسون ، التاريخ القديم للشعب الإسرعيلي ، ص 73)** .

وفي مثل هذا أيضا يقول وايتلام : " لا يعدو تصور تاريخ إسرعيل القديم كما ورد في القسم الأكبر من التوراة العبرية أن يكون قصة خيالية ، وهو بمنزلة اختلاق للتاريخ شأنه شأن معظم رؤى الماضي التي كونتها المجتمعات القديمة ، بل والحديثة أيضا . " **(كيث وايتلام ، اختلاق إسرعيل ، ص 59)** .

هذا هو رأي العلماء والمؤرخين في المرويات التوراتية كمصدر من مصادر التأريخ ، وغيرهم كثير ، وللخروج من هذا المأزق يرى (مايكل برايور) أن " كتابة تاريخ لأصول بني إسرعيل يعتمد فقط أو بشكل أساسي على قصص التوراة،هي كتابة تأتي على شكل تكوين مصطنع تقرره دوافع دينية معينة . أما الأمر الأقوم فهو كتابة تاريخ شامل مستقل للشرق الأدنى يدخل فيه تاريخ أصول بني إسرعيل . " **(مايكل برايور ، ندوة يوم القدس 1996م ، المركز الثقافي ، عمان ، ص 133)** .

ولهذا نجد الآن كثيرا من العلماء والمؤرخين الإسرعيليين بعدما تبين لهم أسطورية مرويات العهد القديم ، نراهم ينادون بكتابة تاريخ جديد لبني إسرعيل لا يعتمد على الخطاب التوراتي . فقد قال البروفيسور (ناداف نئمان) في محاضرة له : " الأبحاث الأثرية تشير إلى وجود هوة لا يمكن جسرها بين الصورة التوراتية للممالك التي شيدها كل من داود وسليمان ، وبين الواقع التاريخي . " **(صحيفة الرأي الأردنية ، 2001/5/12م)** . ولا شك في أن الوعي التاريخي الصادق عند

المؤرخين سيغير من نظرتهم إلى التوراة ، ويسهم بشكل كبير ولو تـدريجي فـي حدوث تغيير باتجاه نظرتهم إلى العهد القديم، كمصدر من مصادر التاريخ الأساسية وكذلك ارتفاع عدد المؤرخين القائلين بمحدودية النص التوراتي التأريخية .

وليس من غريب القول إذا قلنا بأن المرويات التوراتية ، قـد كتبـت فـي مرحلة معينة من مراحل التاريخ ، كان لها جمهورها الخاص ، وهدفها الخـاص ، وسواء تحقق هـذا الهدف ، أم لم يتحقق في حينه ، فقد انتهت فعالية هذه المرويات بانتهاء ذلك الوقت ، ومن الظلم تعميمها ، واعتبارها أساسا لكتابة التاريخ .

وإن التعامل مع هذه النصوص المنحازة قديمها وحديثها ، لا يوفر لنا دليلا واضحا ومقنعا للمرحلة التي تتحدث عنها . وسواء كـان الحـديث عـن الأسـفار الخمسة الأولى ، التي تتحدث عن إبراهيم عليه السلام ورحلاتـه ، وعائلتـه ، والدخول والخروج من مصر ، وغير ذلك ، أو ما يتبعها من أسفار تتحدث عـن القضاة والملوك وأنبياء بني إسرعيل ، وغيرها ، فإن كل هذه التـواريخ المتداعيـة التي لم تثبت صدقيتها ، فعند ظهـور أول مكتشف أثري بدأت تتهاوى واحدة بعـد الأخرى ، وما نظن إلا أن التاريـخ الـذي تتحدث عنه أسهل وأصغر وأقل أحداثا وتعقيدا مما جاء فيها .

ما من شك في أن القرن التاسع عشر ، والربع الأول من القرن العشرين ، الذي شهد رواجا للاستعمار الأوروبي ، وبالتالي فهو المنتصر ، وعادة ما يـصنع المنتصر التاريخ الذي يريده ، فقد أيد هؤلاء المنتصرون الدراسـات التوراتيـة ، ودعموها بالمال ، ولهذا شهدت هذه الدراسات رواجا لم يسبق له مثيـل فـي تلـك الفترة ، واستمرت كذلك لعدة عقود ، حيث وجدت من يدعمها ويقف إلى جانبها ، من أجل مصالح استعمارية في الدرجة الأولى .

وما أن تقدم الزمن ، وفي الربع الأخير من القرن العشرين ، بـدأت هـذه الدراسات تتحول من دراسات مؤيدة ، إلى دارسات ناقدة ، بل ومعارضة أحيانـا ،

وبدأ عقـد الإجماع ينفرط ، والحقائق تظهر . ولهذا فرضت على بعض العلمـــاء القيود المادية والجسدية من أجل تغيير آرائهم وأفكارهم لمصلحة الخطاب التـوراتي ولكن كثيرا منها لم تنجح . فكانت هذه الدراسات إيذانا باندحار التـاريخ التـوراتي ليحل محله التاريخ الأثري ، الذي أثرى هذه الدراسات بكثير من الحقائق .

وفي خضم هذه الصحوة التاريخية ، بدأ التاريخ الفلـسطيني القـديم يأخـذ مكانته في التاريخ ، مستقلا عن التاريخ القديم لإسرعيل ، بل العكس مـن ذلـك ، حيث أصبح التاريخ الإسرعيلي القديم ، يعتبر جزءا من تاريخ فلـسطين والـشرق الأدنى القديم ، وليس مهيمنا عليه كما كان من قبل .

وبمراجعة شاملة للمرويات التوراتية ، نرى أنهـا أقحمـت نفـسها فـي صراعات تاريخية ، تركت آثارا واضحة المعالم على المصالح السياسية والتاريخية الحديثة ، وأوقعت شعوب المنطقة ، وخاصة الفلسطينيين في مظالم لا زالت ترسي بثقلها عليهم ، وعلى تاريخهم الماضي والحاضـر . وإن ادعـاء هـذه المرويـات بالحيادية ، وأنها لم تقدم إلا تاريخا واقعيا كان في المنطقة في يوم ما ، لـم يكـن صحيحا ، فإن هدفها كان منذ البداية ، هو إيجاد وطن لمن لا وَطن لـه ، اعتمـادا على مرويات كتبها مجموعة من رجال الدين ، خدمة لأسـيادهم الفـرس ، الـذين أمدوهم بالمال والسلاح والرجال ، من أجل تحقيق هذه المصالح .

والشيء الذي يبدو واضحا للباحث التاريخي ، أن الوجود الإسرعيلي منـذ القدم، وحتى العصر الحالي ، كان مرتبطا ارتباطا وثيقا ، ومعتمدا اعتمادا كليا على مرويات العهد القديم ، ولولاها لما كان هناك كل هذا التاريخ المضلل الذي سـكبت أطنان من الحبر لكتابته . ويعترف (برايت Bright) بذلك صراحة حين يقول : " " أما العامل المميز الذي جعل من إسرعيل تلك الحالة الفريدة التي كانـت الـسبب في تكوين مجتمعها وكانت العامل المهيمن في تاريخها ، فقـد كـان بـالطبع هـو عقيدتها الدينية . " " **(كيث وايتلام ، اختلاق إسرعيل ، ص 165)** .

فهذا الطابع الديني الذي صبغ تاريخ بني إسرعيل منذ أقدم العصور ، كانت من ورائه المرويات التوراتية تمده وتدعمه بالصمود والتحدي على مر العصور .

فقد استمد بنو إسرعيل من التوراة حقهم في الاحتلال ، وفي قتل الشعوب ، وسفك دمائها ، وإهانة رموزها الدينية ، وممارسة الإرهاب بمختلف أنواعه ، فقد اعتمدوا العهد القديم العبري كدستور للاضطهاد في الماضي والحاضر ، ويظهر هذا جليا في العصر الحاضر في المجزرة التي قام بها باروخ غولد شتاين في الحرم الإبراهيمي في الخليل . ومن قبل المجازر التي قامت بها إسرائيل ، ولا زالت في جميع أنحاء فلسطين .

ويقينا فإن الأطماع الإسرائيلية لم تتحقق بكاملها ، اعتمادا على خطاب العهد القديم اللامحدود الأطماع ، وأنها لن تتوانى يوما عن تحقيق المزيد كلما رأت الفرصة مناسبة لذلك . وقد نقل عن بن غوريون قوله : " " سوف نقبل بحدود الدولة كما ستحدد الآن ، ولكن حدود الآمال الصهيونية هي شأن الشعب اليهودي وحده ولن يستطيع أي عامل خارجي الحد منها . " " (**كيث وايتلام ، اختلاق إسرعيل ، ص 207**) .

ونظرا لما في هذه المرويات من تزييف وتضليل ، وإسكات لحقوق الشعوب الأخرى ، ولا تعكس بالضرورة الوقائع التاريخية ، فإن(ليتش Leach) ينتقد هذه المرويات فيقول عنها : " " إنني شخصيا أجد هذه الأفكار غير قابلة للتصديق إلى حد بعيد . " " (**كيث وايتلام ، اختلاق إسرعيل ، ص 254**) .

ويقول طومسون : " إن كتاب العهد القديم يقدم لنا تاريخا لا يمكن الوثوق به ، وما صرنا الآن نعرفه عن تاريخ سورية الجنوبية ، وما نستطيع إعادة بنائه اعتمادا على الشواهد الأثرية ، يعطينا صورة مختلفة تماما عن الصورة التي تقدمها الروايات التوراتية لهذه المنطقة . " **(طومسون ، القدس أورشليم العصور القديمة ، ص 16**) .

الفصل الثالث

إقامة بني إسرعيل في مصر

" وأما إقامة بني إسرعيل التي أقاموها في مصر فكانت أربع مئة وثلاثين سنة ، وكان عند نهاية أربع مئة وثلاثين سنة في ذلك اليوم عينه أن جميع أجناد الرب خرجت من أرض مصر . " سفر الخروج 12: 40 ، 41

في هذا الفصل سوف نعالج المدة الزمنية التي أقامها بنو إسرعيل في مصر منذ دخولهم لها في زمن يعقوب عليه السلام ، إلى خروجهم منها بقيادة موسى وهارون عليهما السلام . وذلك من خلال السنوات الواردة في التوراة بدون التطرق إلى معرفة الزمن الذي دخلوا فيه مصر ، وذلك نظرا لعدم وجود مصدر آخر موثوق يمكن الاعتماد عليه في هذا الموضوع .

بداية الهجرة إلى مصر :

تعود بداية استقرار بني إسرعيل في مصر إلى ذلك الوقت الذي هاجر فيه يعقوب عليه السلام ، وبنوه وزوجاتهم وأبناؤهم من فلسطين إلى مصر . وكان قبل ذلك أن يوسف عليه السلام ابن يعقوب قد بيع في مصر ، ثم أصبح مسؤولا عن خزائنها ، وما لبث أن تعرّف على إخوانه التجار ، وعرّفهم على نفسه ، ثم طلب منهم إحضار جميع أفراد العائلة للإقامة في مصر .

وعلى هذا الأساس تحسب مدة إقامة بني إسرعيل بمصر ، منذ دخول يعقوب عليه السلام والأسباط وأبناؤهم مصر ، وإقامتهم فيها ، حتى خروجهم منها على يد موسى وهارون عليهما السلام بأمر من الله تعالى .

وقد حدد كتاب العهد القديم العبري هذه المدة حيث جاء فيه : " وأما إقامة بني إسرعيل التي أقاموها في مصر فكانت أربع مئة وثلاثين سنة . وكان عند نهاية أربع مئة وثلاثين سنة في ذلك اليوم عينه أن جميع أجناد الرب خرجت من أرض مصر . " سفر الخروج 12 : 40 ، 41 .

أما التوراة السامرية واليونانية فقد غيرت في هذه الرواية قليلا لتكون : " فكان جميع ما سكن **بنو إسرعيل وأباؤهم وأجدادهم في أرض كنعان** ، وأرض مصر أربعمائة وثلاثين سنة . " **(رحمة الله ، إظهار الحق ، ص 248)** . فقد زيد في هاتين النسختين الألفاظ (آباؤهم وأجدادهم ، وأرض كنعان) وفي ذلك فرق كبير عن ما جاء في التوراة العبرانية . فهما تحسبان المدة منذ دخول إبراهيم عليه السلام إلى أرض كنعان ، ومن بعده يعقوب إلى مصر ، حتى خروج موسى وهارون عليهما السلام منها .

وجاء أيضا في سفر الملوك الأول : " وكان في سنة الأربع مئة والثمانين لخروج بني إسرعيل من أرض مصر في السنة الرابعة لملك سليمان على إسرعيل في شهر زيو وهو الشهر الثاني أنه بنى البيت للرب . " الملوك الأول 6 : 1 ويعلق مالمات على هذا الرقم فيقول : " وهذا الرقم بالطبع ليس دقيقا لأن المقصود به وهو 12 جيلا وذلك على اعتبار أن الجيل هو 40 عاما وفق تحديد التوراة .ولكن إذا اعتبرنا أن الجيل هو 25 سنة ، فإن المقصود يكون ثلاثمائة عام 12 × 25 = 300 عام . وبموجب هذا يكون الخروج من مصر قد حدث في النصف الأول من القرن الثالث عشر ق. م. " **(مالمات ، العبرانيون وبنو إسرعيل ، ص 126)** .

كما ويرى بعضهم أن سليمان عليه السلام قد حكم حوالي سنة 1070 ق. م. وأن الخروج من مصر قد تم قبل ذلك بـ (300) سنة ، أي 1070 + 300 = 1370 ق. م. تاريخ خروج بني إسرعيل من مصر .

وإذا كانوا قد دخلوها على أبعد تقدير زمن الهكسوس 1675 ق. م. فمعنى ذلك أن بني إسرعيل قد أقاموا في مصر حوالي (300) سنة كما يدعي البعض .

ويعود اختلاف العلماء ، في تحديد وقت دخول الإسرعيليين إلى مصر لعدة أسباب ، أهمها :

- أن المرويات التوراتية الحالية ، والكتب الدينية الأخرى لم تحـدد هـذا التاريخ .
- عدم ذكر اسم الفرعون الذي دخل بنو إسرعيل في عهده إلى مصـر ، أو الفرعون الذي كان معاصرا ليوسف عليـه الـسلام ، ولا فـي أي مصدر .
- عدم وجود أية مصادر تاريخية ، أو أثرية ، تدل على ذلـك ، لا فـي مصر ، ولا في غيرها .

ولهذا فقد اختلف المؤرخون في ذلك ، وأورد كل صاحب رأي مـا يـراه مناسبا من الأدلة لدعم رأيه .

فمن هؤلاء المؤرخين من يرى أن دخول بني إسرعيل إلى مصر كان فـي عهد الهكسوس الذين حكموا مصر حوالي سنة (1675 – 1570 ق. م.) . ومنهم من يرى أن ذلك تم في عهد أمنحوتب الثاني (1448 – 1442 ق. م.) . ومـنهم من قال رمسيس الثاني (1250 – 1224 ق. م.) . ومنهم من قال فـي عهـد الفرعون مرنفتاح . وقيل غير ذلك .

ويرى زينون كوسيدوفسكي ، أنه لحسابات صعبة فقد " وجدت فكرة مفادها أن يعقوب عاش بعد إبراهيم بمائتين وخمسين سنة ، وهذا أمر شـبه ثابـت بـين العلماء ، وإذا كان هذا صحيحا ، فإن يوسف يكون قد عاش تقريبا في القرن السابع

عشر ق. م. والتواريخ التي ثبت عليها العلماء تتراوح بين 1730 – و 1630 ق. م . " (**زينون كوسيدوفسكي ، الأسطورة والحقيقة ، ص 83**) .

وبما أن أحدا لم يحدد في عهد من دخل بنو إسرعيل مصر ، وما من أمر جازم في هذا الموضوع ، فليس من الدقة الاعتماد على مثل هذه الطريقة للاستدلال بها على مدة إقامة بني إسرعيل في مصر .

وهناك إشارة أخرى في التوراة إلى بني إسرعيل ، تقول بأنهم سوف يعيشون في مصر لمدة (400) سنة ، وأنهم سيخرجون في الجيل الرابع : " فقال لأبرام اعلم يقينا أن نسلك سيكون غريبا في أرض ليست لهم ويستعبدون لهم ، فيذلونهم أربع مائة سنة . ثم الأمة التي يستعبدون لها أدينها ، وبعد ذلك يخرجون بأملاك جزيلة . وأما أنت فتمضي إلى آبائك بسلام وتدفن بشيبة صالحة . وفي الجيل الرابع يرجعون إلى ههنا . " سفر التكوين 15 : 13 – 16 . وسوف يناقش هذا القول في الصفحات القادمة .

وسواء كانت 400 سنة ، أو 430 سنة ، فهي أساطير غير قابلة للتصديق كما سنرى لاحقا .

الطرق المتبعة لتحديد الدخول إلى مصر :

يلجأ كثير من العلماء والمؤرخين ، إلى اتباع طرق تعتمد على جمع المدد الزمنية الواردة في التوراة ، وفي بعض كتب التاريخ لتحديد تاريخ دخول بني إسرعيل إلى مصر ، وذلك كما في الطرق التالية .

الطريقة الأولى :

تعتمد هذه الطريقة على جمع المدد الزمنية الواردة في التوراة ، باعتماد أن التهجير البابلي قد تم في 586 ق. م. ، باعتباره تاريخا عليه اتفاق كبير ، فيقولون:

تاريخ التهجير البابلي	586 ق. م.
مدة عصر ملوك بني إسرعيل	475 سنة
مدة عصر القضاة	394 سنة
فترة التيه	40 سنة
مدة الإقامة في مصر	430 سنة
المجموع	1926 سنة

فيقولون أن دخول بني إسرعيل إلى مصر كان في حدود سنة 1926 ق. م. وبالطبع فإن هذا التاريخ من المستبعد أن يكون هو التاريخ المتفق عليه نظرا لعدم اتفاقها مع الوقائع التاريخية .

الطريقة الثانية :

وتعتمد على بعض الحوادث التاريخية الثابتة ، وجعلها أساسا يعتمد عليه لتحديد تاريخ دخول بني إسرعيل إلى مصر ، ومنها :

دخول الهكسوس إلى مصر سنة 1675 ق. م.

حيث يرى أصحاب هذا الرأي أن وجود الهكسوس في مصر ، قد ساعد على دخول بني إسرعيل إلى مصر في تلك الفترة .

ومنها (نقش مرنفتاح) والذي ظهر فيه اسم إسرعيل لأول مـــرة ، وذلـــك حوالي سنة 1220 ق. م. ويضيفون إليه مدة إقامة بني إسرعيل في مـــصر حـــسب الرواية التوراتية وهي (430 سنة) ، فيقولون :

1220 + 430 = 1650 ق. م.

تاريخ الخروج كما جاء في كتب التوراة الثلاث :

	التوراة العبرانية	التوراة السامرية	التوراة اليونانية
المدة من آدم عليه السلام حتى ميلاد عيسى عليه السلام	4163	4249	5434 ق. م.
المدة من آدم عليه السلام حتى بداية الطوفان	1656	1307	2262 سنة
المدة من آدم عليه السلام حتى مولد إبراهيم عليه السلام	1948	2249	3434 سنة
المدة من مولد آدم عليه السلام حتى دخول يعقوب مصر	2238	2539	3724 سنة
المدة من آدم عليه السلام حتى خروج موسى عليه السلام من مصر	2668	2754	3939 سنة

وعليه يكون تاريخ الخروج من مصر حسب رواية التوراة العبرية هو :

4163 - 2668 = 1495 ق. م.

التوراة السامرية :

4249 -2754 = 1495 ق. م.

التوراة اليونانية :

5434 - 3939 = 1495 ق. م.

سلالة آدم عليه السلام :

المواليد من آدم عليه السلام إلى إبراهيم عليه السلام
كما جاءت في التوراة العبرية
(الأرقام بعدد السنين)

الاسم	سن الإنجاب	المدة التي عاشها بعد الإنجاب	العمر	تاريخ الميلاد بعد خلق آدم	تاريخ الوفاة بعد خلق آدم
مولد آدم 0	--	--	--	--	--
آدم	130	800	930	0	930

شيث	105	807	912	130	1042
أنوش	90	815	905	235	1140
قينان	70	840	910	325	1235
مهللئيل	65	830	895	395	1290
يارد	162	800	962	460	1422
أخنوخ	65	300	365	622	987
متوشالح	187	782	969	687	1656
لامك	182	595	777	874	1651
نوح	500	450	950	1056	2006
سام	100	500	600	1558	2156

الطوفان 1056 + 600 = 1656 سنة من مولد آدم عليه السلام

أرفكشاد	35	403	438	1658	2096
شالح	30	403	433	1693	2126
عابر	34	430	464	1723	2187
فالج	30	209	239	1757	1996
رعو	32	207	239	1787	2026
سروج	30	200	230	1819	2049
ناحور	29	119	148	1849	1997
تارح	70	135	205	1878	2083

إبراهيم	175	1948	2123

ملاحظة : أخذت هذه الأرقام من (آدم – لامك) من سفر التكوين ، الإصحاح الخامس ، والتاسع والحادي عشر . أما بالنسبة لإبراهيم عليه السلام فهي سفر التكوين 25 : 7 .

مما سبق نستنتج ما يلي :

1- أن الطوفان في التوراة العبرية ، قد وقع بعد 1656 سنة من مولـد آدم عليه السلام .
2- بناء على ذلك يكون مولد إبراهيم عليه السلام بعد الطوفان بـــ 292 سنة حسب التوراة العبرية أيضا .
3- أن المدة الزمنية من مولد آدم عليه السلام ، حتى مولد إبــراهيم عليــه السلام ، حسب التوراة العبرانية هي (1948 سنة) .

وبعد إبراهيم عليه السلام ، وبالرجوع إلى التوراة العبرية ، نجد فيها ما يلي :

كان عمر إبراهيم عليه السلام عندما هاجر من حاران إلى أرض كنعان 75 سنة
ولد إسماعيل بعد إقامة إبراهيم عليه السلام في أرض كنعان بـــ 11 سنة
كان عمر إبراهيم عليه السلام عندما ولد له إسماعيل عليه السلام هو 86 سنة
ولد إسحق عليه السلام عندما كان عمر إبراهيم عليه السلام 100 سنة

توفي إبراهيم عليه السلام وكان عمره	175 سنة

عاش إسماعيل عليه السلام	137 سنة
عندما تزوج إسحق عليه السلام المرة الأولى كان عمره	40 سنة
كان عمر إسحق عليه السلام عندما ولد له التوأم (عيسو ويعقوب) هو	60 سنة
عندما تزوج يعقوب عليه السلام من ليئة وراحيل كان عمره	85 سنة
ولد يوسف عليه السلام عندما كان عمر يعقوب عليه السلام	92 سنة

توفي إسحق عليه السلام وكان عمره	180 سنة
كان عمر يوسف عليه السلام عندما رمي في البئر ودخوله مصر	17 سنة
كان عمر يعقوب عليه السلام عندما دخل يوسف عليه السلام مصر	109 سنة
كان عمر يوسف عليه السلام عندما عين عزيزا في مصر	30 سنة
دخل يعقوب إلى مصر وكان عمره	130 سنة

كان عمر يوسف عليه السلام عندما دخل يعقوب عليه السلام إلى مصر	38 سنة
توفي يعقوب عليه السلام في مصر وكان عمره	147 سنة
عاش يوسف عليه السلام بعد دخول بني إسرعيل إلى مصر	72 سنة
زواج يوسف عليه السلام من (أسنات بنت فوطي) وكان عمره	30 سنة
توفي يوسف عليه السلام في مصر وعمره	110 سنة

ملاحظة : ورد كثير من هذه السنوات في أسفار التكوين 12 ، 16، 25 ، 35، 41 ، 47 ، 50 مع استنتاج بعض الأرقام .

وبعد تفريغ بعض المعلومات السابقة في جدول ، نحصل على ما يلي :

الحدث	عدد السنين من مولد آدم	حسب التوراة العبرانية
مولد آدم	0 سنة	4163 ق. م.
وفاة آدم	930 سنة	3234 ق. م.
مولد نوح	1056 سنة	3108 ق. م.
مولد سام	1558 سنة	2606 ق. م.
الطوفان	1656 سنة	2507 ق. م.
مولد إبراهيم	1948 سنة	2215 ق. م.
موت إبراهيم	2123 سنة	2040 ق.م .
مولد إسحق	2048 سنة	2115 ق. م.
مولد عيسو ويعقوب	2108 سنة	2055 ق. م.
دخول يعقوب مصر	2238 سنة	1925 ق. م.

وبالرجوع إلى كتاب (إظهار الحق) للشيخ رحمة الله ، صفحة (248 ، 249) نستخلص منه ما يلي :

- ادعاء التوراة بأن بني إسرعيل قد أقاموا في مصر مدة 430 سنة ، ويفسر ذلك كما يلي :

- المدة منذ دخول إبراهيم عليه السلام أرض كنعان إلى

ولادة إسحق عليه السلام هي : 25 سنة

- كان عمر إسحق حين ولد يعقوب عليه السلام 60 سنة
- دخول يعقوب عليه السلام إلى مصر وكان عمره 130 سنة

إذن ، المدة منذ دخول إبراهيم عليه السلام أرض كنعان إلى دخول يعقوب عليه السلام إلى مصر ، هي :

25 + 60 + 130 = 215 سنة

يضاف إليها مدة إقامة بني إسرعيل في مصر ، وهي 215 سنة

إذن ، المجموع 215 + 215 = 430 سنة

ومن الذين يرون أن إقامة بني إسرعيل في مصر كانت (215 سنة) هارفي بورتر ، الذي يقول :

" ودليل ذلك أن إبراهيم كان حين مجيئه إلى أرض كنعان ابن 75 سنة ، وصار العهد وهو ابن 100 سنة حين ولادة اسحق ، وكان اسحق ابن ستين سنة حين ولادة يعقوب ، وكان يعقوب ابن 130 سنة حين نزوله إلى مصر و 25 + 60 + 130 = 215 و 215 من 430 = 215 وذلك زمن غربتهم في مصر . " **(هارفي بورتر ، موسوعة مختصر العالم القديم ، ص 117) .**

وهكذا يكون أمامنا (4) تقديرات لإقامة بني إسرعيل في مصر ، على الأقل وهي :

130 سنة 215 سنة

400 سنة 430 سنة

كما قيل غير ذلك . فقد نقل غطاس الخشبة عن ابن البطريق قوله :

" وكان عدد بني إسرعيل وقت دخولهم إلى مصر سبعين نفسا ، سكنوا بمصر مائتين وسبع عشرة سنة يستعبدهم الفراعنة ، فإذا قال قائل : إنه مكتوب في التوراة ، أن بني إبراهيم أو بني إسرعيل يستعبدون أربع مائة سنة ، فكيف نقول : إنما استعبدوا 217 سنة ؟ قلنا : إنك لم تعلم في أي وقت ينبغي لك أن تحسب حتى تتم أربع مائة سنة ، إنه في السفر الأول من التوراة مكتوب : إن الله قال لإبراهيم : انظر إلى السماء إن استطعت أن تعد نجومها ، فإن زرعك يكون هكذا ، فمنذ ذلك الوقت إلى خروج بني إسرعيل تحسب الأربع مائة سنة . " **(غطاس الخشبة ، رحلة بني إسرعيل إلى مصر الفرعونية والخروج ، ص 184) .**

كما ينقل عن البيروني قوله :

" ودخل يعقوب مصر مع بنيه وقد أتى له مائة وثلاثون سنة . وعاش بعد ذلك سبع عشرة سنة ، فيكون مكث بني إسرعيل بمصر مائتين وعشر سنين ، على قياس قولهم ، إن من ولادة إبراهيم إلى موسى ، عليهما السلام ، أربع مائة وعشرين سنة ، وإنه خرج من مصر ببني إسرعيل وقد مضى من عمره ثمانون سنة ، غير أن في السفر الثاني من توراتهم : أن جميع ما سكن بنو إسرعيل بمصر أربع مائة وثلاثون سنة ، فإذا سئلوا عن ذلك زعموا أن تلك المدة معدودة من يوم أقام الله مع إبراهيم الميثاق ، ووعده أن يجعله أبا لكثير من الشعوب ويورث بنيه أرض كنعان ، والله أعلم بقولهم . . . . " **(غطاس الخشبة ، رحلة بني إسرعيل إلى مصر الفرعونية والخروج ، ص 184)**

وكتب فراس السواح عن هذا الموضوع فقال :

" وفي نهاية قصة يوسف ، لدينا إشارة واضحة إلى أن فترة الإقامة في مصر لم تتجاوز حياة جيل واحد فقط من أحفاد يوسف . ففي سنوات حياتـــه الأخيـــرة يـــشهد يوسف ولادة أحفاده : " وأولاد ماكير بن منسى أيضا ولدوا على ركبتـــي يوســـف ." التكوين 50 : 23 . ولكننا ما نلبث أن نرى أولاد ماكير هؤلاء الذين ولدوا على ركبتي يوسف في مصر ، يحاربون مع يشوع في كنعان (يـــشوع 13: 31 ، 17 : 1) ، وهذا يعني أن المـــدة الفاصلة بين موت يوسف ودخول كنعان ، بما فيها فترة الإقامـــة في مصر وفترة الخروج ، لم تتجاوز المئة سنة على أبعد تقدير ، وأن الذين ولدوا فـــي حياة يوسف هم الذين استعبدوا من قبل المصريين وهم الذين خرجوا أيضا مع موسى ، ودخلوا مـــع يشـــوع . " **(فراس السواح ، آرام دمشق وإسرعيل ، ص 65، 66) .**

أسطورة الجيل الرابع :

كما جاء سابقا من أن بني إسرعيل سيقيمون في مصر حتى الجيل الرابع ، ثم يخرجون منها (التكوين 15 : 13 – 16) ، وقد احتسب بعضهم مدة الجيل بـــ (100) سنة ، ولهذا يرى أن إقامة بني إسرعيل في مصر كانت (400 ســـنة) . وسنرى فيما يلي عدم صحة هذا الادعاء .

بالرجوع إلى الشكل السابق ، نرى أن الأجيال التي ولدت في مصر بعد دخول بني إسرعيل إليها كمثال ، وحتى الخروج ما يلي :

	سلالة لاوي		سلالة يهوذا		سلالة يوسف	
1	عمرام	رام	كالب		ماكير	تاحن
2	هارون	عميناداب	حوز		جلعاد	أليشمع
3	أليعازر	نحشون	أوري		حافر	عميهود
4	فينحاس	سلمون	بصلئيل		صلفحاد	نون
5	---	بوعز	---		---	يوشع

وعليه :

- فإن سلالة لاوي لها أربعة أجيال ولدوا جميعا في مصر قبل الخروج ، وأن موسى وهارون عليهما السلام كانا أحد أفراد الجيل الثاني من هذه السلالة .
- أن سلالة يهوذا ويوسف قد أنجبتا أربعة وخمسة أجيال ولدوا في مصر .

وقد جاء في العهد القديم أن :

عمر موسى عليه السلام عند الخروج من مصر كان	80 سنة
وعمر هارون عليه السلام عند الخروج من مصر كان	83 سنة

وأيضا :

أن لاوي عندما توفي كان عمره	137 سنة
وأن قهات عندما توفي كان عمره	133 سنة
وأن عمرام عندما توفي كان عمره	137 سنة
وأن هارون عندما توفي كان عمره	123 سنة
وأن يوسف عندما توفي كان عمره	110 سنة

وأن يوشع عندما توفي كان عمره   110 سنة

وأن لاوي عندما دخل مصر كان عمره   42 سنة

وعليه نقول :

أن لاوي عاش في مصر   137 - 42 = 95 سنة

لاوي + قهات + عمرام + موسى = 4 أجيال

95 + 133 + 137 + 80 = 445 سنة

هذه أربعة أجيال ، ولكن هل حياة (قهات) بدأت بعد وفاة لاوي مباشرة ؟ وهل حياة (عمرام) بدأت بعد وفاة قهات أيضا مباشرة ؟ وهكذا موسى عليه السلام . بالطبع هذا غير صحيح لأن تداخل الأعمار كان موجودا بينهم ولا شك . وهذا ينطبق أيضا على باقي سلالات الأسباط .

إذن ، فمقولة الأربعة أجيال ، والتي تعادل (400 سنة) أو أكثر بقليـــل ، هي مقولة خاطئة ، ولا يمكن الاعتماد عليها .

وبناء على ما جاء في التوراة العبرانية من أنه قيل لإبراهيم عليه السلام : " فقال لأبرام اعلم يقينا أن نسلك سيكون غريبا في أرض ليست لهم ويستعبدون لهم ، فيذلونهم أربع مئة سنة . . . وفي الجيل الرابع يرجعون إلى ههنا . " التكوين 15 : 13 - 16

فقد افترضت التوراة أن كل جيل (100 سنة) وهذا افتراض خاطئ ، لأن جيل بنـــي إسرعيـــل في ذلك الوقت ، وخاصة بعد يعقوب عليه السلام لم يزد عن

(30 سنة) بأي حال من الأحوال . وكما لاحظنا في الشكل السابق فإن موسى عليه السلام هو من الجيل الثاني بعد دخول بني إسرعيل إلى مصر .

وحتى لو كان المقصود بالجيل الرابع بالنسبة لإبراهيم عليه السـلام ، فنقـول (إبراهيم – إسحق – يعقوب – لاوي – عمرام – موسى) ، فيكون موسى هنا في الجيل السادس ، أو الخامس من بعد إبراهيم عليه السلام ، ولهذا فإن تقبل فرضية 400 سنة ، أو 430 سنة ، أو الجيل الرابع هي كلها فرضيات غير صحيحة .

ولكن لماذا يصر بنو إسرعيل على أن إقامتهم في مصر كانت (430 سنة) ؟

إن ذلك مرتبط بعدد بني إسرعيل الذين خرجوا من مصر كما تقول المرويات التوراتية وعددهم يزيد عن 600000 رجل ، وقد تم إثبات بطلان ذلك في الفصل التالي ، ولكن إذا كان بنو إسرعيل يصرون على إقامتهم في مصر 430 سنة ، وأن ذلك كان تقريبا منذ زمن الهكسوس حوالي 1675 ق. م. ، يضاف لها 400 سنة أو 430 سنة ، أي إلى حوالي سنة 1245 ق. م. (1675 – 1245 ق. م.) . ومن المعروف أنه في هذه الفترة كانت هناك نهضة عمرانية كبيرة في مصر ، ولهذا يدعي بنو إسرعيل أنهم بإقامتهم الطويلة في مصر وبعددهم الكبير قد ساهموا في هذه النهضة العمرانية ، سواء في بناء المـدن ، أو المقابـر، أو الأهرامات .

ولكن مما لا شك فيه أن كل ذلك لا يؤيده تاريخ ، ولا آثار ، ولا منطق ، وإنما هي افتراءات وأساطير ابتدعها كتبة العهد القديم ، وتبناها من بعد من يؤيدون هذا النهج من الأساطير .

فترة التيه :

جاء في العهد القديم العبري :

كان عمر موسى عليه السلام عند الخروج من مصر	80 سنة
وكان عمر هارون عليه السلام عند الخروج من مصر	83 سنة
مدة فترة التيه	40 سنة
توفي موسى عليه السلام وكان عمره	120 سنة

ونجد أيضا في العهد القديم العبري أن التيه لم يحصل لا في السنة الأولى ، ولا فـــي النصف الأول من السنة الثانية ، وعلى الأغلب أنه وقع في السنة الثالثة من الخروج . وإذا كانت فترة التيه (40) سنة ثابتة كما جاء في القرآن الكريم ، فمعنى ذلك أنه لا بد من تعديل أحد الرقمين في عمر موسى (80 ، أو 120) حتى يستقيم الوضع ، ونحن نرى ما يلي :

كان عمر موسى عليه السلام عند الخروج من مصر	78 سنة
وكان عمر هارون عليه السلام عند الخروج من مصر	81 سنة
المدة التي قضاها بنو إسرعيل في الطريق قبل التيه	2 سنة
مدة فترة التيه	40 سنة
توفي موسى عليه السلام وكان عمره	120 سنة

- يعقوب
  - يوسف
    - افرايم
      - تاحن
        - اليشع
          - عميهود
            - نون
              - يوشع
    - منسي
      - ماكير
        - جلعاد
          - حافر
            - صلفحاد
  - يهوذا
    - فارص
      - حصرون
        - رام
          - عميناداب
            - نحشون
              - سلمون
                - بوعز
        - كالب
          - حور
            - اوري
              - بصلئيل
  - لاوي
    - قهات
      - عمرام
        - موسى
          - جرشوم
          - اليعازر
        - هارون
          - ناداب
          - ابيهو
          - اليعازر
            - فينحاس
          - ايثامار
        - مريم
      - يصهار
        - قورح
          - اسير
          - القانة
      - عزئيل



فترة القضاة :

تولى القضاة الحكم بين بني إسرعيل بعد وفاة يوشع عليه السلام ، وقبل أن يتولى طالوت (شاؤول) الحكم .

وإذا كان موسى عليه السلام قد توفي بعد انتهاء فترة التيه (40) عاما تقريبا ، وذلك حوالي سنة1181 ق. م. ، وأن الروايات يرى أغلبها أن طالوت قد بدأ حكمه حوالي سنة 1025 ق. م. فمعنى ذلك أن فترة حكم يوشع ، والقضاة تقع بين :

1181 - 1025 = 156 سنة

وإذا كان موسى عليه السلام عندما خرج من مصر عمره 78 سنة
وكان يوشع عليه السلام عند الخروج من مصر عمره حوالي 30 سنة

وأن يوشع قد حكم بني إسرعيل بعد وفاة موسى عليه السلام (أي بعد 40 سنة) من التيه ، و 42 سنة من الخروج من مصر ، فمعنى ذلك أن يوشع عليه السلام قد حكم بني إسرعيل وله من العمر (30 + 2 + 40 = 72 سنة)

وإذا كانت وفاته وله من العمر (110 سنة) يوشع 24 : 29
إذن يكون قد حكم بني إسرعيل (38 سنة) ، والباقي هي مدة حكم القضاة:

156 - 38 = 118 سنة مدة حكم القضاة

ومن المعلوم أن القضاة لم يكونوا متتالين ، يخلف بعضهم بعضا ، حيث أن كثيرا منهم قد قضوا في أوقات واحدة ، ولكن في أماكن مختلفة ، حيث كان لكل مدينة ، أو مجموعة منها ، قاضيها الخاص بها .

ولادة موسى عليه السلام :

ولمزيد من المعلومات والتواريخ فإننا نقول :

خروج بني إسرعيل من مصر كان سنة	1223 ق. م.
كان عمر موسى عليه السلام عند الخروج	78 سنة
إذن ولادة موسى عليه السلام : 1223 + 78 =	1301 ق. م.
وبما أن وفاة يوسف عليه السلام كانت سنة	1279 ق. م.

إذن 1301 - 1279 = 22 سنة هي الفرق بين ميلاد موسى عليه السلام ووفاة يوسف عليه السلام

وأيضا نقول :

1279 - 1223 = 56 سنة المدة التي قضاها بنو إسرعيل في مصر بعد وفاة يوسف عليه السلام

وأيضا :

إذا كان دخول يوسف عليه السلام إلى مصر 1372 ق. م.

وأن هارون عليه السلام قد ولد قبل موسى عليه السلام بـــ (2) سنة ، أي في سنة 1303 ق. م.

وعلى ما يبدو أن القوانين الفرعونية ، بقتل ذكور بني إسرعيل ، واستحياء نسائهم ، قد طبّقت بعد ولادة هارون عليه السلام ، وقبل ميلاد موسى عليه السلام ، أي بين سنة 1303 ق. م. و 1301 ق. م. ، وعليه تكون سنة تطبيق القوانين الفرعونية هي سنة (1302 ق. م.) .

والظاهر أن يوسف عليه السلام عند تطبيق هذه القوانين ، كان قد ترك العمل ، وعلى هذا الأساس يكون قد عمل في مصر مدة :

1372 - 1302 = 70 سنة

وإذا كان عمره عندما دخل مصر 17 سنة

إذن 70 + 17 = 87 سنة كان عمر يوسف عليه السلام عندما ترك العمل مع الحكومة الفرعونية .

وإذا كان قد توفي وله من العمر 110 سنة

إذن نقول : 110 - 87 = 23 سنة قضاها يوسف في مصر بعد انتهاء عمله وقبل وفاته عايش فيها الأحكام الفرعونية على بني إسرعيل .

وفي أوائل هذه المدة ولد موسى عليه السلام في مصر ، ولهذا فإن ولادة موسى عليه السلام قد وقعت بعد أن كان يوسف عليه السلام قد ترك العمل مع الحكومة الفرعونية .

جدول التواريخ المقترح :

يكاد ينحصر الخلاف في التواريخ الواردة في التوراة العبرية ، وبين التواريخ الواقعية المقترحة ، وذلك اعتبارا من مولد آدم عليه السلام ، وانتهاء بالتهجير البابلي ، في مدتين زمنيتين ، هما :

1- مدة إقامة بني إسرعيل في مصر .
2- المدة التي عاشها قضاة بني إسرعيل في فلسطين (فترة القضاة).

وبالرجوع إلى ما سبق ، وتعديل التواريخ حسب ما ظهر لنا منها ، نعيد صياغة جدول الأحداث (مقارنة بين التوراة والتعديل المقترح) ، منذ ميلاد آدم عليه السلام ، حتى سقوط أورشالم على يدي نبوخذ نصر البابلي سنة 586 ق. م. حيث أن هذا التاريخ متفق عليه تقريبا . الجدول التالي بدون تعديل فترة القضاة ، أو مدة التيه وما قبل الدخول فيه . على اعتبار أن آدم عليه السلام قد ولد سنة (4163) ق. م. كما يرى الكتاب المقدس العبري :

	حسب التوراة			حسب التعديل المقترح		
	المدة بالسنين	حسب السنين	حسب التوراة	المدة المقترحة	حسب السنين	حسب التوراة
بداية مولد آدم	0	0	4163	0	0	4163
من مولد آدم إلى الطوفان	1656	1656	2507	1656	1656	2507
من مولد آدم حتى مولد إبراهيم	---	1948	2215	---	1948	2215
من مولد آدم إلى وفاة إبراهيم	---	2123	2040	---	2123	2040

إلى دخول إبراهيم أرض كنعان	---	2023	2140	---	2023	2140
إلى ولادة إسحق	---	2048	2115	---	2048	2115
إلى ولادة يعقوب	---	2108	2055	---	2108	2055
إلى دخول يعقوب مصر	---	2238	1925	---	2238	1925
إلى وفاة إسحق وعمره	---	2228	1935	---	2228	1935
إلى ولادة يوسف	---	2200	1963	---	2200	1963
إلى ولادة موسى قبل وفاة يوسف بـ	---	2288	1875	---	2288	1875
إلى وفاة يوسف	---	2310	1853	---	2310	1853
إلى دخول يوسف إلى مصر	---	2217	1946	---	2217	1946
خروج بني إسرعيل من مصر بعد	430	2668	1495	128	2366	1797
فترة التيه مع المدة في الطريق	40	2708	1455	42	2408	1755
إلى فترة القضاة ومدتها	394	3102	1061	156	2564	1599
إلى بداية التهجير البابلي وفيها وفيها فترة الملوك	475	3577	586	439	3003	1160

وإذا كان التاريخ (586 ق. م.) هو تاريخ مؤكد تقريبا ، وقد نتج معنا في عدد السنين طبقا للرواية التوراتية ، فليس معناه أن هذا التاريخ هو الصحيح (التوراتي) لأنه قد جاء تبعا للمعطيات المبرمجة على أساسه ، لأن سنة الأساس عند البداية كانت واحدة عند المجموعتين فيه (0 ، 4163) .

وبالنظر إلى المجموعة الثانية فإن الرقم (1160 ق. م.) يفترض فيه أن يكـــون (586 ق. م.) وبالتالي فهو أعلى من الرقم بما يعادل :

1160 - 586 = 574 سنة

وعليه ، فإننا يجب أن نخصم هذا العدد (574 سنة) من الأعمدة الثانية حتى يستقيم الرقم ، وعند خصمه من سنة البداية يكون :

4163 - 574 = 3589 ق. م.

فتكون هذه هي بداية مولد آدم عليه السلام قبل الميلاد ، ولـــيس 4163 ق. م. وذلك حسب التوراة العبرية . وحسب هذا التصحيح ، نعيد صياغة التواريخ ، مقارنة بين عدد السنين ، وتاريخ قبل الميلاد :

	المدة بالسنين	حسب السنين		حسب التوراة بعد التصحيح ق. م.	
		من	إلـــى	من	إلـــى
بداية مولد آدم	0	0	0	0	3589
من مولد آدم إلى الطوفان	1656	0	1656	3589	1933
من الطوفان حتى مولد إبراهيم	292	1656	1948	1933	1641
من مولد إبراهيم إلى وفاته	175	1948	2123	1641	1466
دخول إبراهيم أرض كنعان وعمره 75		1948	2023	1641	1566

ولادة إسحق وعمر إبراهيم	100	1948	2048	1641	1541
ولادة يعقوب بعد مولد إسحق بـــ	60	2048	2108	1541	1481
ولادة يوسف وكان عمر يعقوب	92	2108	2200	1481	1389
دخول يوسف إلى مصر وكان عمره	17	2200	2217	1389	1372
وفاة إسحق وعمره	180	2048	2228	1541	1361
دخول يعقوب مصر وعمره	130	2108	2238	1481	1351
من مولد إبراهيم حتى دخول يعقوب مصر	290	1948	2238	1641	1351
ولادة موسى قبل وفاة يوسف بـــ	22	2200	2288	1389	1301
وفاة يوسف وعمره	110	2200	2310	1389	1279
خروج بني إسرعيل من مصر بعد	128	2238	2366	1351	1223
المدة بين الخروج من مصر والتيه	2	2366	2368	1223	1221
فترة التيه ومدتها	40	2368	2408	1221	1181
من نهاية فترة التيه إلى بداية فترة الملوك وتشمل فترة حكم يشوع والقضاة	156	2408	2564	1181	1025
من بداية فترة الملوك إلى التهجير البابلي	439	2564	3003	1025	586

وبإعادة صياغة الجدول السابق في شكل آخر ، نحصل على الشكل التـــالي والذي يمثل المدة (العمود الأول) بالـــسنين ، علـــى اعتبـــار أن ولادة آدم عليـــه

السلام كانت سنة (0) . ويقابلها في العمود الثاني معتمدين ما تم التوصل إليه سابقا من أن آدم عليه السلام قد ولد سنة (3589) قبل الميلاد (التاريخ الشائع) .

السنة	الحدث	قبل الميلاد
0	ولادة آدم	3589
1056	ولادة نوح	2533
1948	ولادة إبراهيم	1641
2048	ولادة اسحق ، عندما كان إبراهيم 100 سنة 2048 = 100 + 1948	1541
2108	ولادة يعقوب ، بعد مولد اسحق بـ 60 سنة 2108 = 60 + 2048	1481
2200	ولادة يوسف ، لما كان عمر يعقوب 92 سنة 2200 = 92 + 2108	1389
2217	دخول يوسف مصر ، لما كان عمره 17 سنة 2217 = 17 + 2200	1372
2238	دخول يعقوب مصر ، وكان عمره 130 سنة 2238 = 130 + 2108	1351
2255	وفاة يعقوب بمصر ، وكان عمره 147 سنة 2255 = 147 + 2108	1334
2310	وفاة يوسف بمصر ، وكان عمره 110 سنة 2310 = 110 + 2200	1279
2288	ولادة موسى بمصر ، قبل وفاة يوسف بـ22	1301

سنة : 2310 - 22 = 2288

2366 الخروج من مصر ، عندما كان عمر موسى 1223

78 سنة : 2288 + 78 = 2366

إذن مدة الإقامة بمصر .

2366 - 2238 = 128 سنة

أو 1351 - 1223 = 128 سنة

2408 مدة الطريق إلى الأرض المقدسة مع فترة التيه 1181

وهي 42 سنة : 2366 + 42 = 2408

2408 وفاة موسى عليه السلام وكان عمر 120 سنة 1181

2288 + 120 = 2408

2564 نهاية فترة يشوع والقضاة ومدتها 156 سنة 1025

2408 + 156 = 2564

3003 نهاية فترة حكم الملوك وبداية التهجير البالي 586

ومدتها 439 سنة

2564 + 439 = 3003

3589 بداية السنة الميلادية الشائعة 0

3003 + 586 = 3589

وعلى هذا الأساس نقول :

عدد السنين من مولد آدم عليه السلام إلي مولد المسيح عليه السلام هو :

3003 + 586 = 3589 سنة

واختصارا لما جاء سابقا ، نورد الجدول التالي ، وذلك بعد إجراء التعديلات السابقة على كتاب العهد القديم العبري :

	كما جاء في التوراة		بعد التعديلات	
	حسب السنين ق. م.	حسب التوراة	حسب السنين ق. م.	حسب التوراة
من بداية آدم حتى الخروج من مصر	2668	1495	2366	1223
من بداية آدم حتى التهجير البابلي	3577	586	3003	586

وعلى هذا الأساس يكون آدم عليه السلام قد ولد حسب التوراة العبرية كما هي بدون تعديل :

2668 + 1495 = 4163 سنة ق. م.

أو 3577 + 586 = 4163 سنة ق. م.

حسب التعديل الثاني :

2366 + 1223 = 3589 سنة ق. م.

أو 3003 + 586 = 3589 سنة ق. م.

وهو ما نراه صحيحا .

مصداقية التواريخ في العهد القديم :

مما سبق نرى أن آدم عليه السلام قد ولد حسب مرويات كتب التوراة الثلاث :

التوراة العبرية 4163 ق. م.

التوراة السامرية 4249 ق. م.

التوراة اليونانية 5434 ق. م.

التوراة العبرية بعد التعديل 3589 ق. م.

وقيل غير ذلك .

وطبقا لهذه التواريخ ، فإن الحياة الإنسانية كانت معدومة على الأرض قبل 5434 سنة قبل الميلاد على أبعد تقدير . كما أن الخطاب التوراتي لم يعط أية دلالة صريحة على وجود حياة على الأرض قبل هذا التاريخ .

ولكن هذه المعلومات تتعارض كلية مع ما يقوله علماء الآثار ، وبما لديهم من طرق لتحديد ، وتقدير الأزمنة التي تواجد فيها الجنس البشري على سطح الأرض . إذ يقدمون لنا الدلائل على أن الإنسان قد سكن هذه الأرض قبل هذا التاريخ بآلاف السنين ، بل أحيانا بعشرات الآلاف من السنين .

ففي فلسطين مثلا ، ظهر وجود للإنسان الأول فيما يسمى بالحضارة الكبارية ، في العصر الحجري القديم الأخير ، وذلك قبل سنة 10000 ق. م. وكذلك ظهر إنسان الحضارة النطوفية حوالي سنة 10000 ق. م. وذلك شيء مؤكد علميا وتاريخيا . ولهذا لا يمكننا الاعتماد كلية على ما جاء في الخطاب التوراتي من تواريخ ، وتحديد أعمار ، وأزمان ، سواء في ميلاد آدم عليه السلام ، أو في الطوفان ، أو غيره . وحتى الآن لا يمكن إيجاد طريقة يمكن بواسطتها تحديد مثل هذه التواريخ بدقة ، ولا معرفة سلالة النسب بصدق من آدم إلى إبراهيم عليهم السلام .

الفصل الرابع
الخروج من مصر

أغنية الثورة على الظلم :

قال تعالى : " **وقال موسى يا فرعون إني رسول من رب العالمين . حقيق علي أن لا أقول على الله إلا الحق قد جئتكم ببينة من ربكم فأرسل معي بني إسرعيل . " الأعراف 104، 105**

وقال الله تعالى : " **وإذ نجيناكم من آل فرعون يسومونكم سوء العـــذاب يذبّحون أبناءكم ويستحيون نساءكم وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم . "البقرة 49 .**

فقصة وجود بني إسرعيل في مصر ، واستعباذهم من قبل الفراعنة ، وقتـل أبنائهم ، واستحياء نسائهم ، هي قصة حقيقية وليست أسطورة خياليـة . كمـا أن الخروج من مصر كان أيضا خروجا واقعيا ، ولو أنه لم توجد حتى الآن أية آثـار تدل على ذلك ، لا في مصر ، ولا في سيناء .

والجدير بالذكر أن ما حصل لبني إسرعيل في مصر ،وصبرهم على ذلك ، حتى جاء موعد الخروج،قد اتخذ مثالا من قبل الزنوج العبيد الأفريقيين في أمريكا ، الذين خطفوا من أوطانهم ، وأرسلوا إلى هناك لخدمة السيد الأبيض فـي مزارعـه ومصانعـه ومعاملـه ، وغيرها .

لقد اعتبر هؤلاء السود أن ما حصل من موسى عليه السـلام ، هـو تحـد لفرعون وجيشه ، وعليه ، فإن قادة هؤلاء العبيد قد اعتبروا موسى عليـه السـلام قدوة من أجل المطالبة بالحرية والمساواة . وقد اتخذوا مـن ذلـك أغنيـة كـانوا يرددونها على أمل أن يمن الله عليهم بإنهاء العبودية والتمييز العرقي الذي مورس عليهم في أشد صوره وأشكاله . تقول الأغنية (ارحل يا موسى) :

" ارحل يا موسى إلى أرض مصر

قل لفرعون : خل سبيل شعبي

حين سكن شعب إسرعيل مصر : خل سبيل شعبي

أرهقهم الاستبداد الغاشم : خل سبيل شعبي

ارحل يا موسى إلى أرض مصر

قل لفرعون : خل سبيل شعبي

" هكذا قال الرب " يقول موسى الشجاع : خل سبيل شعبي

" وإذا لم تفعل سأميت مولودك البكر " : خل سبيل شعبي

ارحل يا موسى إلى أرض مصر

قل لفرعون : خل سبيل شعبي

" ارحل يا موسى "

لن يرزحوا في العبودية بعد الآن : خل سبيل شعبي

دعهم يخرجوا بغنائم من مصر : خل سبيل شعبي

ارحل يا موسى إلى أرض مصر

قل لفرعون : خل سبيل شعبي " (**فؤاد شعبان ، من أجل صهيون ، ص 166**)

أمر الله تعالى :

تعتبر قصة موسى عليه السلام ، ووجوده في مصر ، وخروجه منها مع مجموعة صغيرة من بني إسرعيل ، من القصص التي أثيرت حولها كثير من الشبهات .

وهناك من يرى أن القصة كلها (بدايتها ونهايتها) ما هي إلا أسطورة توراتية ، كما جاء في كتاب (جدل حول صهيون) :

" . . . وبالتالي يتضح ومن وجهة النظر التاريخية أن الـسبي المـصري " وقتل كل المواليد الجدد في مصر " وكذلك الخروج من مصر واحتلال أرض الميعـاد ، هي فقط عبارة عن أساطير ، وعند البحث فيها يتضح بأنها خيال ولكن على الرغم مـن ذلك فقد أدخلت الانتقام إلى العقول ولا تزال هذه المهمة مستمرة إلى يومنـا هـذا . "

(دوغلاس ريد ، جدل حول صهيون ، ص 13) .

وكذلك يرى (فرويد) أن قصة موسى عليه السلام وخروجه من مصر مع بني إسرعيل ، أنها أسطورة تستمد جذورها من القدم ، فيقول : " إن أي مؤرخ لا يستطيع أن يرى في القصة التوراتية من حياة موسى و" الخروج " سوى أسطورة ورعة أدخلت تعديلا مغرضا على مأثور مغرق في القدم . " (**فرويد ، موسى والتوحيد ، ص 44**) . حتى أنه لا يعتبر موسى عليه السلام من بني إسرعيل " . . . فسيتجلى لنا فجـأة أن موسى كان فعلا مصريا . وفي غالب الظن مصريا نبيل الأصل . وقد جعلت الأسطورة من هذا المصري يهوديـا . " (**فرويد ، موسى والتوحيد ، ص 17**) .

ولكننا معشر المسلمين نقر ونعترف بأن موسى عليه السلام نبي من أنبيـاء الله تعالى ، وأن وجوده في مصر ، وخروجه منها مع جماعة بني إسرعيل ، حقيقة ثابتة ، ولو أن الدلائل عليها لا زالت غامضة ، وناقصة .

أمر الله تعالى موسى عليه السلام بأن يذهب إلى مصر ، لإخـراج بنـي إسرعيل منها ، بعد مغادرته (مَدين) هو وزوجته وأبناؤه ومواشيه ، ويقال أنـه كان قاصدا مصر بشكل متخف لزيارة أهله وأقاربه ، وكان الوقت ليلا ، والظـلام شديد ، والطقس بارد فـ " **قال لأهله امكثوا إني آنست نار لعلي آتيكم منها بخبر أو بجذوة من النار لعلكـم تصطلون . " القصص 29**

ولما وصل موسى عليه السلام إلى تلك النار التي رآها ، خاطبه الله تعـالى بقوله : " **وإذ نادى ربك موسى أن ائت القوم الظالمين . قوم فرعون ألا يتقون . قال ربي إني أخاف أن يكذبونِ . ويضيق صدري ولا ينطلق لساني فأرسـل إلـى هارون . ولهم علي ذنب فأخاف أن يقتلون . قال كلا فاذهبا بآياتنـا إنّـا معكـم مستمعون . فأتيا فرعون فقولا إنّا رسول رب العالمين . أن أرسـل معنـا بنـي إسرعيل . " الشعراء 10 – 17**

ومن هنا كانت دعوة الله تعالى إلى موسى عليه السلام بأن يرجع إلى مصر ويطلب من فرعون أن يرسل معه بني إسرعيل ، وقد شد الله تعـالى أزر موسـى عليه السلام بأخيه هارون عليه السلام لتنفيذ هذه المهمة .

فالأمر أمر الله تعالى ، والتدبير تدبيره ، وكل شيء تحت سمعه وبـصره ، وذلك كله من أجل " **يا قوم ادخلوا الأرض المقدسة التي كتب الله لكم ولا ترتـدوا على أدباركم فتنقلبوا خاسرين . " المائدة 21**

كما يقول في سورة طه : " **اذهب أنت وأخوك بآياتي ولا تنيا في ذكري . اذهبا إلى فرعون إنه طغى . فقولا له قولا لينا لعله يتذكر أو يخشى ، قـالا ربنـا إننا نخاف أن يفرط علينا أو أن يطغى ، قال لا تخافا إنني معكمـا أسـمع وأرى . فأتياه فقولا إنّا رسولا ربك فأرسل معنا بني إسرعيل ولا تعذبهم قد جئناك بآية من ربك والسلام على من اتبع الهدى . " طه 42 – 46**

الخروج عند بني إسرعيل :

لقد تحدثت المرويات التوراتية عن خروج بني إسرعيل من مصر في سـفر الخروج مطولا ، وبالرجوع إلى ذلك نرى أن الهدف ومجريات هذا الخروج كمـا أوردته هذه المرويات يعود إلى ما يلي :

1- من قراءتنا للخطاب التوراتي فإننا نستخلص سببين لخروج بني إسرعيل من مصر . الأول : هو أن طلب الله تعالى من بني إسرعيل الخروج من مصر ، ما كان إلا تنفيذا لوعد قطعه الله تعالى لأنبياء بني إسرعيل من قبل – إبراهيم واسحق ويعقوب ويوسف وموسى – عليه السلام ، بأن تكون الأرض المقدسة حكرا عليهم دون غيرهم ، فهي الأرض الموعودة حسب ادعاءاتهم دون قيد أو شرط ، وقد أثبت بطلان ذلك عدد كبير من المؤرخين والعلماء وهذا موجود في كثير من الكتب . والسبب الثاني ، كما تراه التوراة هو أن بني إسرعيل إنما طلبوا الخروج من مصر ، نظرا للظلم الواقع عليهم ، والأشغال الشاقة التي كانوا يمارسونها ، ففضلوا الخروج من مصر على البقاء في هذا الجحيم . وقد ظهر هذا الطلب واضحا عندما تجلى الرب لموسى عليه السلام – كما ترى التوراة – حيث قال له : " فقال الرب قد رأيت مذلة شعبي الذي في مصر ، وسمعت صراخهم من أجل مسخريهم . إن علمت أوجاعهم . فنزلت لأنقذهم من أيدي المصريين وأصعدهم من تلك الأرض إلى أرض تفيض لبنا وعسلا ، . . . . " الخروج 3: 7 ، 8

2- لقد حاول الخطاب التوراتي خلال هجرة موسى عليه السلام وبني إسرعيل من مصر إلى الأرض المقدسة ، أن يظهر عظمة وقوة وتصميم بني إسرعيل ، وحتى إخلاصهم لله تعالى ، وكل ذلك غير صحيح .

3- لقد كان موسى عليه السلام يعلم جيدا بأن فرعون مصر لن يسمح له بأن يأخذ بني إسرعيل معه ، ولهذا لجأ إلى طلب ذلك من فرعون بحجة أنه يريد بني إسرعيل للذهاب إلى الصحراء في رحلة تستغرق ثلاثة أيام ليقضوا العيد هناك : " وبعد ذلك دخل موسى وهارون وقالا لفرعون هكذا يقول الرب إله إسراعيل أطلق شعبي ليعيّدوا لي في البرية . . . فنذهب سفر ثلاثة أيام في البرية ونذبح للرب إلهنا . لئلا يصيبنا بالوباء أو بالسيف . " سفر الخروج 5: 1 ، 3 . وقد تكرر

مثل هذا الطلب في أكثر من موقع منه ، الخـــروج 7 : 16 ، 8: 1 ، 9 : 1 ، 9: 13 . وغيرها . وما كان لمثل هذا الطلب الحيلة أن يقنع فرعـــون بالـــسماح لبنـــي إسرعيل بالذهاب مع موسى عليه السلام ، فضلا عن أنه ليس من الممكن أن يشمل جميع بني إسرعيل .

4- أدرك فرعون بتفكيره ما يدبر له موسى عليه الســـلام وبنـــو إســـرعيل ، ونظـــرا لحاجته وشعبه إليهم للعمل لديهم كعبيد وعمال ، " ويذهب (كيلر) إلى أن الإسرعيليين إنما كانوا يكونون رصيدا هائلا مـــن الأيـــدي العاملـــة الرخيـــصة – والأجنبية كذلك – وما كان المصريون براغبين في تركهم يخرجون من البلاد . " (**محمد مهران ، بنو إسرعيل ، ص 1 /319**) ، لهذا أمر فرعون مصر بالـــضغط عليهم ، وزيادة القسوة في معاملتهم ، وتكليفهم بأعمـــال تتطلـــب جهـــدا أكبـــر ، وتخفيض أجورهم ، حتى لا يكونوا قادرين على الهرب ، والخروج مـــن مـــصر . ولهذا نجد موسى عليه السلام يخاطب الله تعالى بقولـــه : " فرجع موسى إلـــى الرب وقال يا سيد لماذا أسأت إلى هذا الشعب . لماذا أرسلتني . فإنه منذ دخلت إلى فرعون لأتكلم باسمك أساء إلى هذا الشعب . وأنت لم تخلص شـــعبك . " ســـفر الخروج 5 : 22، 23 .

وهكذا نجد موسى عليه السلام في الخطاب التوراتي يلقي اللـــوم علـــى الله سبحانه وتعالى فيما حصل لبني إسرعيل في مصر ، وحاشا لله أن يقـــول موســـى عليه السلام ذلك ، وهو القائل : " **سبحانك تبـــت إليـــك وأنـــا أول المـــؤمنين . " الأعراف 143 . وهو القائل أيضا : " قال ربنا الذي أعطى كل شيء خلقـــه ثـــم هدى . " طه 50 .** ويشكر الله على نعمه فيقول : " **إني لما أنزلت إلي من خيـــر فقير . " القصص 24**

5- يحدد الخطاب التوراتي عمر موسى عليه السلام بثمانين عاما ، وهارون عليه السلام بثلاث وثمانين عاما ، حينما كلما فرعون في أمر الخروج من مصر ، : " وكان موسى ابن ثمانين سنة وهارون ابن ثلاث وثمانين سنة حين كلما فرعون . " الخروج 7 : 7 .

6- تتحدث المرويات التوراتية عن المعجزات التي أتى بها موسى عليه السلام لإقناع فرعون بأنه مرسل من الله تعالى ، وأنه عليه السماح لبني إسرعيل بالخروج من مصر ومنها (عصا موسى) ، وكذلك عشر معجزات أخرى على شكل كوارث ألمت بمصر لرفض الفرعون طلب موسى عليه السلام ، وهي :

أ - تحويل ماء نهر النيل إلى دم ، فمات السمك ، وأنتن النهر ، فلم يقدر المصريون أن يشربوا ماء ، وكان الدم في كل أرض مصر

ب - خروج عدد كبير من الضفادع من الماء غطت أرض مصر .

ج - تحويل تراب أرض مصر إلى بعوض يهاجم الناس والحيوانات .

د - هجوم الذباب على الأرض والبيوت،مما أضر بالإنسان والحيوان .

هـ - موت كل الماشية التي يملكها المصريون فقط ، دون مواشي بني إسرعيل .

ز - ذر الرماد الذي تحول إلى غبار على كل أرض مصر ، أصاب الإنسان والحيوان بدمامل متفجرة .

ح - سقوط البرد الكبير الحجم على جميع أرض مصر ، باستثناء المنطقة التي يسكنها بنو إسرعيل ، فأمات كثيرا من الناس والحيوانات والنباتات .

ط – هجوم أسراب من الجراد غطت أرض مصر، تأكـل الأخـضـر واليابس وملأت جميع بيوت المصريين .

ي – تغطية أرض مصر بظلام دامس لمدة ثلاثة أيام متتالية ، حتى أنه ما كان لأحد أن يرى غير نفسه،ولا يستطيع أن يتحرك من مكانه . ولكن جميع بني إسرعيل كان لهم نور في مساكنهم .

ك – موت الأبكار من مواليد المصريين ، ومن مواليد حيواناتهم .

وبعد ظهور هذه المعجزات والكوارث العشر من الله تعالى ، تأييدا لموسى عليه السلام ، سمح لهم فرعون مصر أخيرا بالخروج مع بني إسرعيل من مصر .

7- يشير الخطاب التوراتي إلى أن الخروج قد تم من مصر بأمر من فرعون وموافقته ، وذلك بعد الكوارث التي حلت بمصر : " فدعا فرعون موسى وقال اذهبوا أعبدوا الرب غير أن غنمكم وبقركم تبقى . أولادكم أيضا تذهب معكم . " الخروج 7 : 24 . ولكن موسى عليه السلام يرفض الخروج من مصر مع بني إسرعيل بدون غنمهم ومواشيهم .

وفي مكان آخر ترى التوراة أن بني إسرعيل قد طردوا من مصر طردا : " وخبزوا العجين الذي أخرجوه من مصر ، خبز ملة فطيرا ، إذ كان لم يختمر ، لأنهم طردوا من مصر ولم يقدروا أن يتأخروا، فلم يصنعوا لأنفسهم زادا. " الخروج 12 : 39 ولا شك في أن كلا الأمرين مخالف لما جاء في القرآن الكريم .

الخروج في القرآن الكريم :

فيما سبق كانت رواية الخطاب التوراتي في أمر خروج بني إسرعيل من مصر . أما رواية القرآن الكريم فنجملها فيما يلي :

1- أمر الله تعالى موسى وهارون عليهما السلام أن يطلبا من فرعون أن يسمح لهما بإخراج بني إسرعيل مصر . قال تعالى : " **فأتياه فقولا إنّا رسولا ربك فأرسل معنا بني إسرعيل ولا تعذبهم قد جئناك بآية من ربك والسلام على من اتبع الهدى . " طه 47**

ولكن إلى أين ؟

قال تعالى : " **يا قوم ادخلوا الأرض المقدسة التي كتب الله لكم ولا ترتدوا على أدباركم فتنقلبوا خاسرين . " المائدة 21** . وبالطبع فإن هذا الوعد للذين يؤمنون بالله ، ويتبعون أوامره ، ويجتنبون نواهيه .

2- لقد كان خروج بني إسرعيل من مصر معجزة من الله تعالى ، ولم يكن للقوة أي دور في الموضوع ، خصوصا وأن بني إسرعيل في مصر ، لم يكن لهم بأس ولا قوة ، ولم يمارسوا أي نوع من القتال أو الاستعداد للحرب ، حيث عاشوا طيلة إقامتهم في مصر ،إما خدما في البيوت ،أو عمالا في الأرض والبناء .

3- لقد كان طلب موسى وهارون عليهما السلام من فرعون مصر مباشرا بأن يسمح لهما بإخراج بني إسرعيل من مصر وإلى الأبد ، دون استخدام أية حجة في ذلك ، وهذا ما جعل فرعون مصر يصر على رفض هذا الطلب ، نظرا لحاجته إليهم في مصر .

4 – أرسل الله موسى عليه السلام إلى فرعون ومعه معجزتان حسيتان ظاهرتان خاصتان به، وهما (العصا ، واليد البيضاء) ، قال تعالى : **" وأن ألق عصاك فلما رآها تهتز كأنها جان ولى مدبرا ولم يعقب يا موسى أقبل ولا تخف إنـك مـن الآمنين . اسلك يدك في جيبك تخرج بيضاء من غير سوء واضمم إليك جناحك من الرهب فذنك برهانان من ربك إلى فرعون وملائه إنهم كانوا قوما فاسقين . " القصص 31، 32** . هذا بالإضافة إلى سبع آيات أخرى ، من ضمنها الطوفان الذي لم يرد ذكره في المرويات التوراتية كمعجزة من معجزات موسى عليه السلام إلى فرعون . قال تعالى : **" وأدخل يدك في جيبك تخرج بيضا من غير سوء في تسع آيات إلى فرعون وقومه إنهم كانوا قوما فاسقين . " النمل 12**

وقوله تعالى : **" ولقد أخذنا آل فرعون بالسنين ونقص من الثمرات لعلهم يذكرون . فإذا جاءتهم الحسنة قالوا لنا هذه وإن تصبهم سيئة يطّيّروا بموسى ومن معه إلا إنما طائرهم عند الله ولكن أكثرهم لا يعلمون . وقالوا مهما تأتنا به من آية لتسحرنا بها فما نحن لك بمؤمنين . فأرسلنا عليهم الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم آيات مفصلات فاستكبروا وكانوا قوما مجرمين . " الأعراف 130 – 133** .

يقول ابن كثير عن المعجزات التسع : " قال ابن عباس أيضا ومجاهـد وعكرمة والشعبي وقتادة هي يده وعصاه والسنين ونقص الثمرات والطوفـان والجراد والقمل والضفادع والدم ، وهذا قول ظاهر جلي حسن قوي ."(**ابن كثير ، تفسير القرآن ، ص 70/3**) .

ومع وضوح الأمر ، بأن خروج بني إسرعيل من مصر لم يكن إلا بأمر من الله تعالى ، للذهاب بهم إلى الأرض المقدسة ، فقد حاول البعض أن يوجد سببا آخر للخروج من مصر . حيث يرى البعض أن الطاعون قد انتشر بين بني

إسرعيل ، وأن هذا الأمر يستدعي طردهم وإخراجهم من مصر للوقاية من انتشار هذا الوباء الخطير ، ولكن لا شيء يؤكد هذا الادعاء . كما قيلت أسباب أخرى لا داعي لذكرها .

وقد اختلف المؤرخون والعلماء كثيرا حول التاريخ الذي خرج فيه بنو إسرعيل من مصر . فمنهم من قال أنه في زمن الهكسوس عند خروجهم من مصر حوالي 1575 ق. م. وقيل في عهد تحتمس الثالث 1490 – 1436 ق. م. وقيل في عهد مرنفتاح 1224 – 1214 ق. م. وقيل في عهد رعمسيس الثالث 1182 – 1151 ق. م. وقيل في عهد أمنحوتب ، وغير ذلك كثير .

ومهما يكن الأمر ، وبما أن القرآن الكريم لم يحدد ذلك ، ولم يذكر اسم الفرعون الذي تم في عهده الخروج ، وكذلك في مرويات العهد القديم ، فإن هذا الموضوع لم يحسم بشكل نهائي ، وهو ليس موضوع حديثنا هنا .

5- كان خروج موسى عليه السلام وبني إسرعيل من مصر ليلا ، وبدون معرفة فرعون وموافقته ، قال تعالى : " **ولقد أوحينا إلى موسى أن أسر بعبادي فاضرب لهم طريقا في البحر يبسا لا تخاف دركا ولا تخشى** " . **طه 77** . وهكذا كان خروج بني إسرعيل من مصر هربا وليلا ، ولم يكن بموافقة فرعون ، ولا بطرد منه كما تدعي التوراة المزعومة .

الاستعداد للخروج من مصر :

اختلف العلماء والمؤرخون هنا أيضا في المكان الذي كانت منه بداية مسيرة الخروج من مصر ، ولن يكون هذا أيضا هو الخلاف الأخير في هذا الموضوع .

ومع أنه يكاد يكون هناك اتفاق على أن مدينة (بي رعمسيس) عاصمة الفراعنة في ذلك الوقت ، كانت بداية الخروج ، إلا أن الخلاف حول موقع هذه المدينة لم يزل جاريا . فمنهم من قال إنها قريبة من (بلوزيوم) ، ومنهم من قال أنها (تانيس) ،ومنهم من قال أنها (قنتير) ، ومنهم من قال إنها (تل الرطابة) ، وقيل غير ذلك .

" وعلى أي حال ، فإن العلماء إنما يجمعون الآن على استبعاد بلوزيوم وتل الرطابة ، ومن ثم فالمفاضلة إنما تدور بين تانيس وقنتير . " (**محمد مهران ، بنو إسرعيل ، ص 398/1**) . وقد أورد كل فريق حججه وأدلته في ذلك . وفي أي مكان كان الموقع فإن الخروج قد تم من مصر .

والاستعداد لهذا الخروج يختلف في التوراة ، عنه في القرآن الكريم ، وكذلك عنه في الأدلة الأثرية والتاريخية .

وقد ذكرت هذه الاستعدادات في سفر الخروج في الإصحاح الحادي عشر والثاني عشر والثالث عشر من كتاب العهد القديم .

فقد أوضح موسى عليه السلام ،كما يدعي العهد القديم ، بأن الله سوف يضرب أرض مصر نحو نصف الليل فيموت كل بكر في أرض مصر من إنسان وحيوان ، فيكون صراخ عظيم في جميع أنحاء البلاد ، وفي هذه الأثناء سوف يخرج بنو إسرعيل من مصر . " فحدث في نصف الليل أن الرب ضرب كل بكر في أرض مصر من بكر فرعون الجالس على كرسيه إلى بكر الأسير الذي في

السجن وكل بكر بهيمة . فقام فرعون ليلا هو وكل عبيده وجميع المصريين ، وكان صراخ عظيم في مصر ، لأنه لم يكن بيت ليس فيه ميت . فدعا موسى وهارون ليلا وقال قوموا اخرجوا من بين شعبي أنتما وبنو إسرعيل جميعا . واذهبوا اعبدوا الرب كما تكلمتم . خذوا غنمكم أيضا وبقركم كما تكلمتم واذهبوا. " الخروج 12: 29 – 33

وكان بنو إسرعيل قبل ذلك قد طلبوا من المصريين أمتعة فضة وأمتعة ذهب ، على سبيل الإعارة ، وهم يعلمون أنهم لن يرجعوا ذلك إليهم حسب ادعاءات الخطاب التوراتي .

وإذا كان ذلك هو بعض الاستعداد الذي أمر الله تعالى به بني إسرعيل قبل خروجهم من مصر حسبما جاء في العهد القديم ، فإننا نجد شيئا من هذا القبيل في القرآن الكريم . قال تعالى بعد هزيمته لسحرة فرعون : " **وأوحينا إلى موسى وأخيه أن تبوءا لقومكما بمصر بيوتا واجعلوا بيوتكم قبلة وأقيموا الصلاة وبشر المؤمنين** . " يونس 87 . وقال جماعة موسى عليه السلام بعد اتخاذهم العجل إلها في سيناء : " . . . **ولكنا حمّلنا أوزارا من زينة القوم فقذفناها فكذلك ألقى السامري** . " **طه 87**

فهذا هو طلب الله تعالى من موسى وبني إسرعيل ، أن يلزموا بيوتهم ويقيموا الصلاة بانتظار الأمر بالخروج من مصر ، وما كان الله تعالى ليطلب من بني إسرعيل أن يأخذوا من المصريين شيئا مهما كان سرقة وظلما وعدوانا .

عدد بني إسرعيل الخارجين من مصر :

يقول سفر الخروج " فارتحل بنو إسرعيل من رعمسيس إلى سكوت نحو ست مئة ألف ماش من الرجال عدا الأولاد . وصعد معهم لفيف كثير أيضا مع

غنم وبقر مواش وافرة جدا . وخبزوا العجين الذي أخرجوه من مصر خبز ملة فطيرا إذ كان لم يخمر . لأنهم طردوا من مصر ولم يقدروا أن يتأخروا ، فلم يصنعوا لأنفسهم زادا . " سفر الخروج 12: 37 – 39

وعلى ما يبدو أن الطبري وغيره من المؤرخين المسلمين قد نقلوا بعض ما جاء في العهد القديم .حيث يقول الطبري : " كان موسى على ساقة بني إسرعيل ، وكان هارون أمام مقدمتهم . . . وخرج موسى في ستماية وعشرين ألف مقاتل ، لا يعدّون ابن العشرين لصغره ، ولا ابن الستين لكبره ، وإنما عدوا ما بين ذلك سوى الذرية . وتبعهم فرعون ، وعلى مقدمته هامان في ألف ألف وسبعمائة ألف حصان . "(**الطبري ، تاريخ الطبري ، ص 414/1**) ، ولا شك في أن هذه الأرقام مبالغ فيها جدا .

وإذا كان الخطاب التوراتي يقرر أن عدد بني إسرعيل الذين دخلوا مصر في عهد يوسف ويعقوب عليهما السلام كان عددهم (70) سبعون شخصا ، فمعنى هذا أن عدد بني إسرعيل خلال إقامتهم بمصر قد تكاثروا ، ولكن إلى كم ؟ وهل هذا صحيح ؟

عودة إلى المرويات التوراتية نجد فيها : " ثم قام ملك جديد على مصر لم يكن يعرف يوسف ، فقال لشعبه هو ذا بنو إسرعيل شعب أكثر وأعظم منا ، هلم نحتال لهم لئلا ينموا فيكون إذا حدث حرب أنهم ينضمون إلى أعدائنا ويحاربوننا ويصعدون من الأرض . " الخروج 1 : 8 – 10

ونحن هنا نتساءل : كيف يكون بنو إسرعيل في مصر شعبا أكثر عددا وأعظم غنى وقوة من شعب مصر ؟ فإذا كانت مصر مليئة بالسكان قبل أن يحضر بنو إسرعيل إليها ، فأين ذهب هؤلاء السكان ؟ وهل سبعون شخصا أصبحوا في خلال مدة من الزمن أكثر عددا من سكان الدولة الأصليين ؟ بالطبع فإن هذا أمر لا يمكن تصديقه .

ومن ناحية أخرى ، إذا كان الحاكم المصري يخشى من بني إسرعيل من أن ينضموا إلى أعداء الشعب المصري في حالة الحرب، فلماذا يعارضون خروجهم من مصر؟ فالأحرى بفرعون في هذه الحالة أن يسمح ويساعـد بني إسرعيل علـى الخروج من مصر ،حتى يدفع عنها هذا الخطر المحتمل كما يرى . وكيف يكونون أكثر وأقوى من المصريين ، في حين أن الملك المصري جعل عليهم رؤساء تسخير من المصريين ، كما جاء في العهد القديم : " فجعلوا عليهم رؤساء تسخير لكي يذلوهم بأثقالهم . فبنـوا لفرعون مدينتي مخازن فيثوم ورعمسيس .ولكن بحسبما أذلوهم هكذا نموا وامتدوا ، فاختشوا من بني إسرعيل. " الخروج 1 : 11، 12 .

أمور كلها تتعارض مع بعضها ، ولا شك في أن كاتبها لم يكن على علم بما كان عليه الوضع في مصر حينذاك .

وعودة إلى عدد بني إسرعيل الخارجين من مصر ، فإذا كان عدد الرجال ستمائة ألف ، فإن هذا يفترض نوعا ما عددا مماثلا من النساء ،وعددا مضاعفا من الصبيان والبنات ، مما يجعل العدد الإجمالي لبني إسرعيل الخارجين من مصر حوالي المليونين ونصف المليون ، بالإضافة إلى (وصعد معهم لفيف كثير أيضا)، وبهذا يقترب العدد من ثلاثة ملايين نسمة .

وليس هذا فحسب ، بل إن هؤلاء معهم كثير من الغنم والبقر – قرابة مليون حيوان – وغيرها . فكيف استطاع هذا العدد الضخم من الناس والحيوان ، الخروج في ليلة واحدة من مصر ؟ وهل كان فرعون وجيشه على علم بخروجهم ؟ وهم الذين كان لا يغيب عن عيونهم أي مولود في بني إسرعيل ؟

أربعة أمور تساعدنا على رسم صورة عن عدد بني إسرعيل الخارجين من مصر ، وهي بالتالي توصلنا إلى عدد أقل بكثير من هذا الإدعاء ، وهي :

1- عدد بني إسرعيل عند دخولهم إلى مصر ، وهو (70) شخصا حسب ما جاء في الخطاب التوراتي .

2- مدة إقامتهم في مصر ، وكما جاء في الفصل السابق ، فإن مدة إقامة بني إسرعيل في مصر لم تزد عن (130) سنة ، وهي ليست أربعمائة وثلاثون سنة كما يدعون .

3- قتل أبناء بني إسرعيل ، وقد أكد القرآن الكرم ذلك حيث قال تعالى : " **إن فرعون علا في الأرض وجعل أهلها شيعا يستضعف طائفة منهم يذبح أبناءهم ويستحيي نساءهم إنه كان من المفسدين . " القصص 4** ، وغيرها.

4- بعد انتهاء المناظرة بين موسى عليه السلام ، وسحرة فرعون ، وانتصار الحق على الباطل ، قال تعالى : " **فما آمن لموسى إلا ذرية من قومه على خوف من فرعون وملائهم أن يفتنهم وإن فرعون لعال في الأرض وإنه لمن المسرفين . " يونس 83** .

وعليه ، فإن الذين آمنوا بموسى عليه السلام ، وبالتالي قد خرجوا معه من بني إسرعيل إنما هم (ذرية) أي بعض من بني إسرعيل وليس كلهم ، ولهذا فإن الخارجين من مصر من بني إسرعيل ليس كلهم .

صعوبة تصديق ذلك العدد :

ليس من السهولة بمكان أن يصدق العقل أن عدد الخارجين من بني إسرعيل من مصر ، كان ستمائة ألف رجل مقاتل ، وغيرهم من النساء والأطفال والحيوانات ، وذلك للأسباب التالية :

1- لقد كانت الوظيفة الأساس لبني إسرعيل في مصر هي العمل خدما في البيوت ، وعمالا في البناء والزراعة خاصة ، ولا شك في أن خروج هذا العدد الكبير من مصر دفعة واحدة سوف يترك فراغا كبيرا على مستوى العمل والعمال ، وهذا ما لم يسجله أحد من المؤرخين الذين كتبوا عن ذلك العصر ، بشكل واضح .

2- إن خروج أكثر من مليوني مهاجر من مصر ، حدث له أهمية في حياة الفراعنة . فلو كان هذا الأمر صحيحا لأشار إليه ملوك الفراعنة على الأقل في مسلاتهم ، وأوراقهم ، ونقوشهم ، خاصة وأن الفراعنة قد اشتهروا بذكر أحداثهم أكثر من غيرهم .

3- هل هذا العدد من بني إسرعيل كان يقيم قبل الخروج في مدينة واحدة ؟ أو عدة مدن ؟ فإن كانوا يقيمون في مدينة واحدة ، فمن المستبعد جدا أن تكون مدينة قد وجدت قبل 1200 سنة قبل الميلاد في المنطقة ، وعدد سكانها أكثر من ثلاثة ملايين نسمة . وإن كانوا يقيمون في عدة مدن ، فمن الصعب جدا أيضا جمعهم وإخراجهم بمثل هذه السرعة التي تم بها خروجهم من مصر .

4- بما أن فرعون مصر كان يعارض خروج بني إسرعيل من مصر ، فلا شك في أن جمع هذا العدد سوف يجذب انتباه الفراعنة إلى ذلك ، وبالتالي فإنه يخلق لهم مزيدا من المشاكل مع السلطات الحاكمة . وحتى وإن كان الفرعون موافقا على ذلك ، فلا شك أن جمع هذا العدد في ذلك الوقت يتطلب عدة شهور .

5- إن هروب مجموعة كبيرة بهذا العدد ، أو حتى صغيرة ، من مصر ، يعتبر من قبيل المستحيلات . ففي القرن الثالث عشر قبل الميلاد ، والذي يفترض

أنه كان التاريخ المناسب لخروج بني إسرعيل من مصر ، يأتي بعد أن تـم طـرد الهكسوس مـن مصر (1570 ق. م.) ، وفي هذا الوقت كان الوضع في مصر مستقرا، وقد أحكمـت الحكومة المصرية سيطرتها على جميع الطرق والمعابر المؤدية من وإلى مصر ، ولهذا فلا يمكن لأية مجموعة مهما كانت أن تكون قادرة على اختراق هذا النظام . كما أن الحصون والقلاع المصرية كانت مبنية على طول الحدود المصرية ، وخاصة المصرية الفلسطينية ، وكذلك في كثير من الأماكن خارج مصر ، مما يجعل عملية الهروب أمرا مستبعدا .

ولهذا " إذا وضعنا جانبا إمكانية المعجزات الإلهية ، فإنه من الصعب جدا تقبل فكرة هروب مجموعة كبيرة من العبيد من مصر ، عبر التحصينات الحدودية الشديدة إلى الصحراء ، وبعد ذلك إلى كنعان أثناء مثل هذا الحضور المصري الهائل ، أي مجموعة تحاول الهروب من مصر ضد إرادة فرعون ، كانت ستتعقب بسهولة ، ليس – فقط – بواسطة جيش مصري يطاردها من الدلتا ، ولكن أيضا من قبل الجنود المصريين المتمركزين في الحصون المصرية في شمال سيناء ، وفي كنعان . " (**فينكلشتاين ، التوراة اليهودية مكشوفة على حقيقتها ، ص 96**) .

6- إن خروج هذا العدد الضخم من بني إسرعيل وبدون وسائل نقل باستثناء الحمير والبغال ، ومعهم حيواناتهم ومواشيهم وأمتعتهم ، وفيهم الكثير من النساء والشيـوخ والأطفال والمرضى ، يجعل من الصعب جدا أن تكون حركتهم وتنقلاتهم سريعة ، وبالتالي فإن خروج جيش فرعون خلفهم ، وفيهم عدد كبير من الفرسان ، يجعل من اليسير عليه أن يلحق بهم قبل أن يصلوا معبر الخروج على البحر ، ولكن مما لا شك فيه أن بني إسرعيل استطاعوا الوصول إلى الضفة الأخرى من البحر ، قبل أن يلحق بهم فرعون وجنوده . وحتى يخـرج بعـض

المؤرخين من هذا المأزق ، فقد أرتأوا أن موقع بني إسرْعيل كان قريبا من البحر الذي خرجوا من عنده .

7- من الصعب جدا إتمام السيطرة على هذا العدد الهائل من الأفراد وغيرهم ، وهم غير المنتظمين ، وليلا ، حيث يتطلب الأمر وجود عدد كبير من القـادة والمرشديـن والحراس ، وكذلك فإن خدمة هذا العدد الهائل المختلف الأعمـار ، والحالة الصحية ، يتطلب إمكانيات هائلة أيضا ، لم تكن متوفرة عند موسـى وهارون عليهما السلام .

8- لقد كان عمر موسى وهارون عليهما السلام عندما طلبا من فرعون أن يسمح لهما بالخروج مع بني إسرعيل كما جاء في المرويات التوراتية " وكان موسى ابن ثمانين سنة وهارون ابن ثلاث وثمانين سنة حين كلما فرعون . " الخروج 7 : 7 وهذا قد يكون دليلا على أن هارون قد ولد قبل صدور أمر فرعون بقتل كل مولود ذكر من بني إسرعيل ، وأن موسى قد ولد بعده حسـب تأكيد القصة المعروفة ، مما يعني أن موسى ابن الثمانين كان أصغر الخارجين عمرا من الذكور ، إذا كان أمر فرعون قد جرى تطبيقه كاملا ، وعليه فإن أغلب الخارجين في هذه الحالة هم من النساء والبنات والشيوخ فوق الثمانين سنة ، ولا شك في أن هذا يزيد من مشقة الخروج واحتمالات المرض والموت ، وعدم القدرة على السفر .

9- لو أراد جيش في العصر الحديث بمثل هذا العدد أن ينتقل من منطقة إلى أخرى ، للزمه عدة أشهر ، وليس أياما معدودة ، وذلك مع توافر الإمكانيات . ومع هذا نـجد هؤلاء قد وصلوا البحر قبل وصول جيش فرعون ، والذين لا شك بأن

معظمهم كانوا من الخيالة ، فما الذي حصل ؟ وكيف كان ؟ أمور لا زال يكتنفها الغموض ، ولم يظهر لها تفسير مقنع حتى الآن .

10- إذا كانت إقامة بني إسرعيل في مكان واحد (مدينة واحدة) في مصر ، وقد وصلوا إلى هذا العدد (أكثر من مليوني نسمة) ، وأنهم كانوا يلاقون العذاب والتسلط والظلم من المصريين ، فمن المستبعد جدا أن لا نجد لهم أيـة ردة فعـل على أعمال المصريين هذه ، حيث لم يحدثنا التاريخ عن شيء من ذلك أبدا . وإذا كان القرآن الكريم يحدثنا عن الظلم الذي وقع على بني إسرعيل في مصر،فهو أيضا لم يحدثنا عن ردة فعل مقابل ذلك ، ولهذا فإننا نرى أن قلة عدد بني إسرعيل في مصر هي التي جعلتهم يتذرعون بالصبر إلى أن يأتي أمر الله تعالى لهم بالخروج من مصر .

11- عند الرجوع إلى القرآن الكريم ، وكذلك العهد القديم ، يظهر لنا أن بني إسرعيل قد قطعوا البحر (النهر) في ليلة واحدة ، أو يوم واحد ، وأن البحر قد رجع إلى حالته الأولى عند الصباح ، بعد أن ابتلع فرعون وجنوده أجمعين ، فهل من المعقول ، ومن الممكن أن يعبر جمع يزيد عن مليونين ونصف من البشر ، مع حيواناتهم وأثقالهم البحر في ليلة واحدة ؟ لا شك أن ذلك يعتبر من المعجزات إن كان صحيحا .

12- إذا كان عدد المهاجرين من بني إسرعيل يزيد عن مليوني نسمة ، مع مواشيهم وحيواناتهم ، فلا شك أن موضع نزولهم سيكون متسعا بحيث يستطيع استيعاب هذه الكثرة ، ولكننا نعلم أن المنطقة حوالي طور سيناء ، وكذلك اثنتا عشرة عينا في (إيليم) للشرب غير كافية لهذا العدد الكبير .

تعليق الكتاب والمؤرخين على عملية الخروج :

نظرا لما يكتنف هذه العملية من غموض ، سواء في عدد الخارجين من بني إسرعيل ، أو مكان تواجدهم ، أو طريقة انتقالهم ، ومن الذي خرج ؟ ومن الذي بقي ؟ إلى غير ذلك من الأمور ، فقد شكك كثير من العلماء والمؤرخين في هذه العملية .

يقول جودت السعد في ذلك :

" إن حدثا كالخروج ، ضخمه كتاب التوراة إلى درجة أدخل في عالم الأسطورة والخيال ، هذه الرواية الضخمة بأحداثها ومعاركها ونتائجها لم يذكرها أحد إلا كتاب التوراة ، فلا أثر يشهد على ذلك ولا لوح ولا حجر ولا حوليات ولا ورق بردي . . . . " **(جودت السعد ، أوهام التاريخ اليهودي ، ص 90)** .

ويرى مالمات أن عدم وجود نصوص خاصة فرعونية تتحدث عن خروج بني إسرعيل من مصر ، إنما يعود إلى (ضآلة) الموضوع وعدم أهميته ، فيقول : " يرجع عدم وجود أي نبأ صريح خارج إطار التوراة عن قصة الخروج من مصر واحتلال فلسطين إلى حقيقة أن هذه الأحداث لم تكن ذات وزن دولي ، تجعل الشعوب تسجلها في مصادرها . " **(ابراهام مالمات ، العبرانيون وبنو إسرعيل في العصور القديمة ، ص 126)** .

أما أحمد سوسة ، فبعد أن يؤكد أن قصة موسى عليه السلام وخروجه مع جماعته من مصر ، بأنها حقيقة واقعية ، يقول :

" وقد شاءت الأقدار أن يسدل الستار عن حقيقة هذه الجماعة وأسباب خروجها ، إذ لم يعثر حتى الآن على مصدر قديم من المخطوطات الآثارية معاصرة

إلى خروج هذه الجماعة من مصر يشرح لنا هويتها على حقيقتها ، أو الدوافع التي حملتها على الخروج من مصر . " **(أحمد سوسة ، العرب واليهود في التاريخ ، ص 278) .**

ويقول لؤي فتوحي :

" إن الادعاء بأن 600000 من رجال بني إسرعيل رحلوا مع عوائلهم وحيواناتهم الحية وعددا آخر غير محدد من الناس هو ببساطة أمر مستحيل . يرفض كثير من الباحثين تاريخية خروج من النوع الذي يصفه العهد القديم ، أي كونه هجرة لبضعة ملايين من بني إسرعيل من مصر إلى كنعان . لذلك فإن تقليل هذا العدد بشكل كبير يجعل من الخروج حدثا يمكن أن يكون قد وقع حتى في أعين العديد من الباحثين الذين يرفضون رواية العهد القديم عن الخروج . " **(لؤي فتوحي ، تاريخ بني إسرعيل المبكر ، ص 219) .**

كما ويستبعد فينكلشتاين أن يكون عدد الخارجين الإسرعيليين من مصر بهذه الكثرة ، ويتساءل كيف أن مجموعة بهذا العدد الضخم والذين أقاموا جيلا كاملا في سيناء – كما يدعي – لم يتركوا وراءهم أي أثر يدل عليهم ، فيقول :

" لا بد أن تظهر هناك بعض البقايا الأثرية لتجوالهم – على مدى جيل كامل – في سيناء ، ولكن ما عدا الحصون المصرية على طول الساحل الشمالي ، لم يتم – أبدا – التعرف على أي أثر لأي تخييم مميز في سيناء ، أو أي إشارة لو واحدة لاحتلال أي منطقة من صحرائها منذ عهد رعمسيس الثاني ، وأسلافه المباشرين ، أو خلفائه . . . . وقد يحاول البعض بأنه لا يمكن أن نتوقع من فرقة صغيرة نسبيا من الإسرعيليين التائهين أن يتركوا خلفهم بقايا مادية هامة تبقى عبر القرون ، لكن التنقيبات الآثارية الحديثة قادرة تماما على اقتفاء آثار ، حتى أدنى البقايا الضئيلة جدا لمجموعة من

الصيادين ، أو البدو الرعاة في جميع أنحاء العالم . " (**فينكلشتاين ، التوراة اليهودية مكشوفة على حقيقتها ، ص 96، 97، 98)** .

وينقل زينون كوسيدوفسكي عن (موزيل) قوله : " " إن الفرضية التي تقول إن واحات شبه جزيرة سيناء أطعمت مليوني إسرعيلي ، لا تمت إلى المنطق بصلـــة ، والأغرب من هذا أن يكونَ معسكر واحد قد اتسع لهذا الحشد الهائل من الناس ،لذا فإن كلام التوراة.ذاك مرفوض من أساسه . " " (**زينون كوسيدوفسكي ، الأسطورة والحقيقة ، ص 135**) .

ويعلق ريدفورد Redford على ذلك بقوله : " " في صباح الخروج كان عدد بني إسرعيل حوالي 5ر2 مليون (باستخلاص الرقم استقرائيا من سفر الأعداد 1 : 46) ، بينما كان كل سكان مصر في ذلك الوقت يتراوح بين 3 إلى 5ر4 مليون فقط . " " (**لؤي فتوحي ، التاريخ المبكر لبني إسرعيل ، ص 218**)

وهناك من يرى أن قصة الخروج بكاملها ، هي أسطورة صعبة التحقيق والتصديق كما يرى ولسون ذلك " " حكاية التوراة عن خروج بني إسرعيل من مصر . . . تظل حكاية مراوغة للغاية ، ومفتقرة إلى أي سند وثائقي يبرر النظر إليها كسرد حقيقي لوقائع حدثت فعلا . . . . " " (**شفيق مقار،السحر في التوراة ، ص 204**) .

ولا شك في أن إقامة مثل هذا العدد الكبير في مصر ، ولمدة طويلة (430 سنة) كما يدعي الخطاب التوراتي ، لا بد وأن يترك آثارا تدل عليه ، وعلى إقامته ، ولكن هذا غير موجود . حتى أن المؤرخين عجزوا عن تحقيق الأحداث التي وقعت معهم ، وأين مكانها ، ومنهم المؤرخ المصري القديم (مانيثو أو مانيثون) الذي كتب في القرن الثالث قبل الميلاد " عن عدم إمكان العثور على ما يثبت

وجود حقبة فرعون موسى أو أماكن الأحداث التي مرت بمصر في هذا الزمان . " (**سعيد محمد ثابت ، فرعون موسى من يكون ، ص 30**) .

كما يعترف الأب (ديفو) وهو من المؤرخين المهتمين بتاريخ إسرعيل القديم أنه كغيره لم يعثر خارج التوراة في أية جهة كانت على " " أية إشارة واضحة لأرباب العائلات العبرية ، من الإقامة في مصر إلى الخروج ، حتى ولا إلى فتح أرض كنعان ، ومن المشكوك فيه جدا أن يقطع الصمت أبدا بنصوص جديدة . " " (**روجيه جارودي ، المأزق ، ص 42**) .

وعن صعوبة ، بل استحالة خروج هذا العدد الكبير من بني إسرعيل كما تدعي التوراة ، فقد كتب (رايماروس) في مقالة له :

" " حدد فيها استحالات يخلقها التفسير الحرفي لرواية العهد القديم عن عبور البحر . مشيرا إلى ادعاء العهد القديم بأن عدد رجال بني إسرعيل الذين عبروا البحر كان 600000 ، إضافة إلى أناس آخرين غير محددين (الخروج 12 : 38) ، ومن تخمين عدد النساء والأطفال والحيوانات الذين كانوا في معيته ذلك العدد من الرجال ، استنتج رايماروس بأن الخليط الذي عبر البحر كان سيكون متكونا من " حوالي ثلاثة ملايين من البشر ، 300 ألف ثور وبقرة ، و600 ألف خروف ومعزة " وتبعا لذلك " لا بد أن ذلك تطلب حوالي خمسة آلاف عربة لنقل المؤونة و300 ألف خيمة لسكن الناس ، بمعدل عشرة أشخاص لكل خيمة . ولو كانت هذه الجموع قد مشت على شكل صف عرضه عشرة أشخاص ، لكان الثلاثة ملايين شخص سيشكلون طابورا طوله 180 ميل (300 كيلو متر) كان هذا سيتطلب تسعة أيام على الأقل لعبور البحر . " "

(**لؤي فتوحي ، التاريخ المبكر لبني إسرعيل ، ص 218**) .

ومن المتفق عليه أن بني إسرعيل كانوا يعيشون في مصر (عبيدا) ، ولنا أن نتساءل من أين وكيف يستطيع العبد أن يجمع كل هذه الثروات من المواشي ، وهل ذلك مسموح له أصلا ؟

كم عدد الخارجين من مصر ؟

يتفق معظم المؤرخين والعلماء على أن العدد 600000 وما يتبعهم ، يتفقون على أن هذا الرقم هو رقم مبالغ فيه جدا ، وأنه لا يمكن قبوله ، ولا تبريره بأي حال من الأحوال .

فقد علق (بيتري) على ذلك بقوله : " " أن الألف تعنـــي الأســـرة أو الجماعة أو العشيرة أو الخيمة ، وعلى ذلك فإن 400ر54 مثلا ، لا تعني أن هناك 400ر54 شخصا ، وإنما تعني 54 عشيرة عدتها 400 فردا ، ثم يقترح بعد ذلك أن المجموع الكلي للخارجين من مصر ، إنما كان 5550 شخصا ، وبذا يستطيع موسى أن يحكم فـــي الخصومات التي يمكن أن تنشب بين حوالي 600 خيمة أو مجموعة ، ولكن ذلك محال بين 600 ألف رجل . " " (**محمد مهران ، بنو إسرعيل ، ص 401/1، 402**) .

أما الشيخ رحمة الله فيقول :

" أن عدد بني إسرعيل من الذكور والإناث حين ما دخلوا مصر كان سبعين . . . . وإذا عرفت الأمور الثلاثة ، أعني عددهم حين ما دخلوا مصر ، ومدة إقامتهم فيها ، وقتل أبنائهم ، فأقول : لو قطع النظر عن القتل وفرض أنهم كانوا يضاعفون في كل خمس وعشرين سنة ، قد يبلغ عددهم إلى ستة وثلاثين ألفا في المدة المذكورة فضلا عن أن يبلغ إلى ألفي ألف وخمسمائة ألف ، ولو لوحظ القتل فامتناع العقـــل أظهـــر . "

(**رحمة الله ، إظهار الحق ، ص 88 ، 89**) .

ويعتقد زينون كوسيدوفسكي أن الحديث يدور عن (6000) عائلة ، ومع النساء والأطفال يصبح العدد في حدود 25000 نسمة ، فيقول :

" وقد أعطيت أهمية خاصة للاسم " ألف " في اللغة العبرية فهو لا يعني فقط الرقم ألف بل يحمل معنى فصيلة أو مجموعة عائلية أو جيل . فإذا ما أخذ بهذا المعنى لكلمة ألف فإن الرقم الذي نناقشه سيصغر ويقل أكثر لأن المقصود يكون ليس ستمائة ألف مقاتل بل فقط ستمائة عائلة ويعتقد بأن الرقم الأخير (ستمائة عائلة) هو أقرب الأرقام إلى الحقيقة . " (**زينون كوسيدوفسكي ، الأسطورة والحقيقة ، ص 136**) .

أما باروخ هالبيرن " " فيرفض حتى الرقم 80 ألف الذي يذكره الكاهن المصري مانيثو . " "(**لؤي فتوحي ، التاريخ المبكر لبني إسرعيل ، ص 218**) . ويقترح (هيات) بأن " " من المرجح أن يكون الرقم الصحيح بضعة آلاف . " " (**لؤي فتوحي ، التاريخ المبكر لبني إسرعيل ، ص 219**) .

وإذا وافقنا على أن عدد بني إسرعيل الذين جاءوا إلى مصر مع يعقوب عليه السلام كانوا (70) شخصا ، وافترضنا أن عدد السكان يتضاعف مرة كل (25) سنة مع توفر الظروف المناسبة للتكاثر، ونسيان المؤثرات السكانية الأخرى سلبا أو ايجابا ، لكان عدد الخارجين من مصر كما يلي :

العدد عند البداية	70 شخصا
العدد بعد 25 سنة	140 شخصا
العدد بعد 50 سنة	280 شخصا
العدد بعد 75 سنة	560 شخصا
العدد بعد 100 سنة	1120 شخصا

العدد بعد 125 سنة 2240 شخصا

العدد بعد 150 سنة 4480 شخصا

وهكذا ، نرى أن عدد بني إسرعيل الخارجين من مصر بعد 130 سنة من الإقامة فيها ، يتراوح بين (2240 - 4480 شخصا) . ولن يزيد عن ذلك بأي حال من الأحوال . ولكن مع الظروف الصعبة التي كان يعيشها بنو إسرعيل في مصر كما قال تعالى : " **إن فرعون علا في الأرض وجعل أهلها شيعا يستضعف طائفة منهم يذبح أبناءهم ويستحيي نساءهم إنه كان من المفسدين ."القصص 4 .** وقوله تعالى : " **وإذ نجيناكم من آل فرعون يسومونكم سوء العذاب يذبحون أبناءكم ويستحيون نساءكم وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم . " البقرة 49**

فمع ظروف القتل وانتشار الأمراض ، والجوع والفقر الذي كان يعيش فيه بنو إسرعيل في مصر ، فإنه من المستبعد جدا أن يصل عدد سكان بني إسرعيل إلى هذا العدد حتى بعد 150 سنة .

ومن ناحية أخرى ، يقول العهد القديم : " وكلم ملك مصر قابلتي العبرانيات اللتين اسم إحداهما شفرة واسم الأخرى فوعة . وقال حينما تولدان العبرانيات وتنظرانهن على الكراسي ، إن كان ابنا فاقتلاه وإن كان بنتا فتحيا . " الخروج 1 : 15، 16 .

فإذا كانت قابلات بني إسرعيل أثناء وجودهم في مصر عددهن (اثنتان) فقط ، فهل يعقل أن تكون قابلتان كافيتين لنساء شعب تعداد رجاله 600000 رجـــل ؟ بالتأكيد إن هذا العدد يحتاج إلى عشرات بل مئات القابلات ، وخاصة إذا ما تقبلنا ما روته التوراة من أن نساء بني إسرعيل كن حمولات ولودات بصورة غير اعتيادية . وإن كان هذا صحيحا فعلا (وجود قابلتين فقط) ، وأن ذلك كان قبل حوالي (80) سنة من موعد الخروج ، أي حينما ولد موسى عليه السلام ،

فمعنى ذلك أن عدد نساء بني إسرعيل في ذلك الوقت لم يكن ليزيد عن (500) امرأة بأي حال من الأحوال . وعدد بني إسرعيل في هذه الحالة لن يتجاوز (2000) نسمة ، ومع القيود المفروضة على بني إسرعيل ، فإن هذا العدد في أعلى التقديرات ، ومثل هذه الظروف ما كان ليتجاوز (7000) نسمة ، في خلال (80) سنة .

ويؤكد القرآن الكريم بأن عدد بني إسرعيل عندما كانوا في مصر لم يكن كبيرا ، قال تعالى : " **وأوحينا إلى موسى أن أسر بعبادي إنكم متبعون . فأرسل فرعون في المدائن حاشرين ، إن هؤلاء لشرذمة قليلون . وإنهم لنا لغائظون . وإنا لجميع حاذرون . " الشعراء 52 – 56 .**

ومفهوم (الشرذمة) جماعة قليلة من الناس ، فلو كان عدد بني إسرعيل حتى ولو بالمئات ، ما كان ليقال عنهم أنهم (شرذمة) ، ولهذا فإننا نستبعد أن يكون عدد بني إسرعيل الخارجين من مصر أن يزيد عن بضعة آلاف .

ويرى الحاخام (آلمير بيرغر) أن الذين خرجوا من مصر مجموعة صغيرة ، فيقول : " إنه عندما تمكن المدعو " موسى " إخراج مجموعة صغيرة من جماعته من العبودية المصرية ، في ذلك الوقت لم تكن توجد أي قبائل إسرعيلية " **(دوغلاس ريد ، جدل حول صهيون ، ص 13) .**

وليس هذا فحسب ، بل أن العهد القديم في كثير من أسفاره وإصحاحاته ، يدل دلالة واضحة على أن عدد بني إسرعيل في ذلك العصر،لم يكن كما يدعي سفر الخروج . ويظهر ذلك بوضوح إذا ما قارنا عدد بني إسرعيل بغيرهم من الأمم والشعوب والقبائل المعاصرة لهم .

فقد اعترف العهد القديم صراحة بأن هذه الشعوب (أكثر وأعظم) من بني إسرعيل : " متى أتى بك الرب إلهك إلى الأرض التي أنت داخل إليها لتمتلكها

وطرد شعوبا كثيرة أمامك الحثيين والجرجاشيين والأموريين والكنعانيين والفرزيين والحويين واليبوسيين سبع شعوب أكثر وأعظم منك . " التثنية 7 :1

وأيضا : " ليس من كونكم أكثر من سائر الشعوب التصق الرب بكم واختاركم لأنكم أقل من سائر الشعوب . " التثنية 7: 7

وأيضا : " إن قلت في قلبك هؤلاء الشعوب أكثر مني كيف أقدر أن أطردهم . " التينية 7 : 17

وأيضا : " اسمع يا اسرعيل أنت اليوم عابر الأردن لكي تدخل وتمتلك شعوبا أكبر وأعظم منك ومدنا عظيمة ومحصنة إلى السماء . " التثنية 9 : 1

وأيضا : " يطرد الرب جميع هؤلاء الشعوب من أمامكم فترثون شعوبا أكبر وأعظم منكم . " التثنية 11: 23

فإذا كان عدد بني إسرعيل عند خروجهم من مصر يتجاوز ثلاثة ملايين نسمة ، فمعنى ذلك أن مجموع سكان شعوب المنطقة في هذه الحالة كان يبلغ حوالي (20) مليون نسمة ، ولا شك في أن هذا رقم مبالغ فيه جدا ، ولم يؤيده أحد من العلماء والمؤرخين إطلاقا .

وبالتأكيد فإن قلة عدد بني إسرعيل الخارجين من مصر ، لم يجعلهم يتركون أي أثر يدل عليهم ، وهم في طريقهم إلى الأرض المقدسة ، سواء في سيناء ، أو شرقي النهر . فحتى الآن لم يتم اكتشاف ولو أثر واحد ذي قيمة تاريخية يمكنه أن يتفق مع ما جاء في روايات العهد القديم المزعومة .

ونظرا لعدم معقولية وإمكانية أن يصل عدد بني إسرعيل في مصر إلى قرابة ثلاثة ملايين " " فإن علماء اللاهوت والمؤرخين سواء بسواء ، أصبحوا الآن لا يعلقون على هذه الأرقام التي ذكرت التوراة أية أهمية ، ويعتبرونها محض خيال إسرعيلي . " **(محمد مهران ، بنو إسرعيل ، ص 244/1)** .

الفصل الخامس

التيه وأسباط بني إسرعيل

حقيقة التيه والأسباط :

لا مجال للشك في أن (التيه) قد حصل لبني إسرعيل ، وذلك عقابا لهم على كفرهم ونكرانهم وجحودهم ، وعدم اتباعهم أوامر ونواهي موسى عليه السلام التي توحى إليه من الله تعالى .ورفضهم دخول الأرض المقدسة خوفا من ساكنيها .

وإذا كان التيه عقابا لبني إسرعيل على ذلك ، فهم ليسوا أول قوم ينالهم غضب الله تعالى ، فقد سبقهم قوم نوح ، ولوط ، وعاد ، وثمود ، وقوم شعيب ، وغيرهم . ولكن مما يميز بني إسرعيل عن غيرهم من الأقوام ، أن الأوائل كانوا إذا نزل عليهم غضب من الله قضى عليهم ، ولم نكد نسمع لهم ذكرا بعد ذلك . كما أن الروايات الدينية أو التاريخية لم تخبرنا عما حصل مع أنبياء الأقوام في كثير من الأحيان بعد ذلك .

أما بنو إسرعيل ، فقد استمر أنبياؤهم بعد التيه يدعون إلى الله تعالـــى ، وإلى توحيده ، فموسى عليه السلام ، وهارون ، ويوشع ، وكلهم من أنبياء بني إسرعيل كان لهم ظهور واضح بعد التيه .ومن بعدهم داود وسليمان عليهما السلام . ويؤكد الله سبحانه وتعالى حقيقة واقعة التيه في القرآن الكريم فيقول : " **قال رب إني لا أملك إلا نفسي وأخي فافرق بيننا وبين القوم الفاسقين قال فإنها محرمة عليه أربعين سنة يتيهون في الأرض فلا تأس على القوم الفاسقين** . " **المائدة 26** .

أما بالنسبة للأسباط وعددهم (12) سبطا ، وهم في الأصل أبناء يعقوب عليه السلام من زوجاته الأربع ، وهم :

1- أبناء يعقوب عليه السلام من زوجته (ليئة) ، وهم : راؤبين ، شمعون ، لاوي ، يهوذا ، يساكر ، زبولون ، دينة (أنثى) ، وعددهم (7) .
2- أبناء يعقوب عليه السلام من زوجته (زلفة) ، وهـم : جاد ، أشير ، وعددهم (2) .
3- أبناء يعقوب عليه السلام من زوجته (راحيل) ، وهم : يوسف ، بنيامين ، وعددهم (2) .
4- أبناء يعقوب عليه السلام من زوجته (بلهة) ، وهـم : دان ، نفتالي ، وعددهم (2) .

فيكون عدد الأبناء الأسباط (12) ولدا . أما البنات فواحدة فقط .

وعندما دخل هؤلاء مصر ، كانوا كلهم أحياء ، ودخل معهم أيضا أبناؤهم ، ولكن مما لا شك فيه ، وإذا صدقنا ما جاء في التوراة بأن إقامة بني إسرءيل في مصر كانت (430) سنة ، فإن هؤلاء الأسباط يكونوا قد قضوا في مصر ، ولم يخرج منهم أحد .

وإذا كان يوسف عليه السلام أصغر إخوته ما عدا بنيامين ، عندما دخل يعقوب عليه السلام مصر ، كان له من العمر (37) سنة ، فعليه فإن باقي إخوته الأسباط ، كانوا أكبر منه سنا . وحتى لو افترضنا أن إقامة بني إسرءيل في مصر كانت كما ثبت معنا سابقا (128) سنة ، فمعنى ذلك أن أصغرهم عند الخروج لو كان حيا لكان يوسف عليه السلام بعد بنيامين ، ولكان له من العمر (37 + 128) = 165 سنة ، وهذا لم يحصل ، وبالتالي نقول بأن جميع الأسباط الأوائل أيضا وعلى هذا التقدير يكونون قد قضوا في مصر ، ولم يخرج منهم أحد .

إذن فالخارجون من مصر هم أبناء الأسباط ، وتبعا لآبائهم دعوا بأبناء الأسباط ، وأصبح أبناء كل سبط ينسبونْ إليه .

أما أبناء الأسباط عند دخولهم مصر فهم :

1- أبناء راؤبين : حنوك ، فلو ، حصرون ، كرمي .
2- أبناء شمعون : يموئيل ، يامين ، أوهو ، ياكين ، صوحر ، شاول .
3- أبناء لاوي : جرشون ، قهات ، مراري .
4- أبناء يهوذا : (عير ، أونان) وقد ماتا في أرض كنعان . شيلة ، فارص ، زارح ، (حصرون ، حامول) أبناء فارص .
5- أبناء يساكر : تولاع ، فوّة ، يوب ، شمرون .
6- أبناء زبولون :سارد ، إيلون ، ياحلئيل .
7- دينة : (أنثى) .
8- أبناء جاد : صفيون ، حجي ، شوني ، أصبون ، عيري ، أرودي ، أرئيلي .
9- أبناء أشير : يمنة ، يشوة ، بريعة ، سارح (أنثى) ، (حابرء ، ملكيئيل) أبناء بريعة .
10- أبناء يوسف : منسي ، أفرايم (ولدا في مصر) .
11- أبناء بنيامين : بالع ، باكر ، أشبيل ، جيرا ، نعمان ، إيحي ، روش ، مفّيم ، حفّيم ، أرد .
12- أبناء دان : حوشيم .
13- أبناء نفتالي : باحصئيل ، جوني ، بصر ، شيلّم . (سفر التكوين 46 : 8 – 27) .

ومنهم من توفي قبل دخولهم مصر ، ومنهم من توفي بمصر ، ومنهم من خرج مع من خرجوا إذا اعتبرنا أن إقامتهم بمصر كانت (128 سنة) فقط .

ولم يكن موضوع الأسباط ظاهرا بشكل واضح أثناء إقامة بني إسرعيل بمصر ، ولكن بعد خروجهم ، وخاصة أثناء وجودهم في سيناء ، كان من الضرورة تنظيمهم وإدارتهم .فجعل على كل مجموعة رئيس (سبط) .قال تعالى : **" وإذ استسقى موسى لقومه فقلنا اضرب بعصاك الحجر فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا قد علم كل أناس مشربهم . . . " البقرة 60** . وقال تعالى : **" أم تقولون إن إبراهيم وإسماعيل وإسحق ويعقوب والأسباط كانوا هودا أو نصارى . . . " البقرة 140** . وقـال تعـالى : **" ولقد أخذ الله ميثاق بني إسرعيل وبعثنا منهم اثنى عشر نقيبا . . . " المائدة 12** . وهكذا نجد أن الأسباط كانوا موجودين عند دخول بني إسرعيل إلى مصر ، وعند خروجهم منها ، ولكن إلى حين .

متى كان التيه ؟

جاء في التوراة : " وكان موسى ابن ثمانين سنة وهارون ابن ثلاث وثمانين سنة حين كلما فرعون . " الخروج 7 : 7 .

وجاء فيها أيضا : " وكان موسى ابن مئة وعشرين سنة حين مات . " التثنية 34 : 7

وهكذا تكون المدة بين (طلب) موسى من فرعون السماح له بالخروج مع بني إسرعيل من مصر ، وموته أربعين سنة ،وهي مدة التيه التي أكدها الله تعالى في كتابه العزيز : **" قال فإنها محرمة عليهم أربعين سنة يتيهون في الأرض . " المائدة 26**

ولكن من غير المعقول أن يكون التيه قد بدأ منذ طلب موسى عليه السـلام الخـروج من مصر ، وكل الحقائق تؤكد ذلك . ففي العهد القديم الذي يدعـون :

" في الشهر الثالث بعد خروج بني إسرعيل من أرض مصر في ذلك اليوم جاءوا إلى برية سيناء . " الخروج 19 : 1 . وأيضا : " وكلم الرب موسى في برية سيناء في خيمة الاجتماع في أول الشهر الثاني في السنة الثانية لخروجهم من أرض مصر قائلا . . . "العدد 1: 1 . وهكذا يكون بنو إسرعيل قد دخلوا السنة الثانية من خروجهم من مصر ، ولم يدخلوا التيه بعد ، وذلك حسب المرويات التوراتية . ولو افترضنا جدلا أن التيه قد وقع بعد السنة الثانية ، لكان ذلك معناه حتى وفاة موسى عليه السلام أن التيه كان (38) سنة .

ومن ناحية أخرى ، فإن أغلب الروايات تؤكد أن موسى عليه السلام قد بقي حيا بعد انتهاء التيه ، وليس هناك ما يدل على أنه مات مباشرة بعد التيه .

وقد ذهب بعض المؤرخين إلى القول بأن مدة التيه لم تكن (40) سنة ، ومنهم (كنيون) التي تقول :

" يقول المصطلح التوراتي إنها تاهت – مجموعة بني إسرعيل – أربعين سنة ، في حين أن الأدلة الأثرية والفيزيائية والأنثروبولوجية تشير إلى أنه من النادر في تلك الفترة من الألف الثانية ق. م. لأي شخص أن يصل عمره إلى خمسين سنة وعليه فإن الفترة الحقيقية للتيه لا بد أن تكون عشرين أو ثلاثين عاما . " (**كاثلين كنيون ، الكتاب المقدس والمكتشفات الآثارية الحديثة ، ص 46)** .

وفي العهد القديم أيضا أن موسى عليه السلام عندما خرج من مصر جاء إلى سيناء ، وفيها كلم الله تعالى ، واقتتلوا مع العديد من الأقوام والشعوب التي كانت تسكن سيناء ، وجنوبي فلسطين . وكذلك في القرآن الكريم يحدثنا الله تعالى أن بني إسرعيل عندما جاءوا إلى سيناء ، تكلم موسى عليه السلام مع الله تعالى ، وحصلت ردّة في بني إسرعيل ، فعبدوا بعضهم العجل ، ثم ذهب موسى عليه

السلام إلى مدين ، وقصة جبل الطور ، ويوم السبت ، وغيرها ، كل ذلك حصل قبل دخول بني إسرعيل إلى منطقة عبر الأردن ، وقبل أن يرسل موسى عليه السلام عيونه ليتفقدوا الأرض المقدسة ، وقبل أن يدخل بنو إسرعيل في التيه ، وقبل أن يموت موسى عليه السلام ، ومن هنا نؤكد القول أنه لا بد وأن تكون هناك عدة سنوات قد مضت ، بين خروج بني إسرعيل من مصر ، وبين وقـــوع التيه .

ولهذا ،فإن مقولة أن خروج بني إسرعيل من مصر اعتمادا على العهد القديم ، عندما كان موسى عليه السلام ابن ثمانين سنة ، وأنه توفي عندما كان عمره مائة وعشرون سنة ، هي مقولة بعيدة عن الدقة ، إذ لا بد أن تكون المدة بينهما أطول من ذلك .

وأيضا ، لا يوجد شيء مؤكد يثبت أن موسى عليه السلام قد توفي مباشرة بعد انتهاء التيه ، بل أن الشواهد تؤكد أنه عاش فترة من الزمن ،حتى استرد بنو إسرعيل الخارجين من التيه وهم قلة قليلة أنفاسهم ، وانضم إليهم عدد من الشعوب والأقوام التي كانت تحيط بهم ، متبعين ديانتهم التوحيدية .

وعليه ، فإننا نجد أنفسنا أمام افتراضين :

الأول : أن يكون موسى عمره أقل من ثمانين سنة عندما خرج من مصر ، وأنه توفي وله من العمر 120 سنة .

الثاني : أن يكون موسى عليه السلام ابن ثمانين سنة عندما خرج من مصر ، ولكنه مات وله من العمر أكثر من مائة وعشرين سنة .

وبما أنه لا يوجد لدينا حتى الآن ما يؤكد ،أو ينفي أيا من الافتراضين السابقين ، فمن الصعوبة بمكان تأكيد افتراض على آخر ، وكل ما نستطيع تأكيده

هو أن التيه كانت مدته (أربعين) سنة ، وذلك بنص صريح في القرآن الكريم . وكما جـــاء في كتاب العهد القديم (العدد 14 : 26 – 35) .

أين كان التيه ؟

يقول العهد القديم : " وكلم الرب موسى في برية سيناء في خيمة الاجتماع في أول الشهر الثاني في السنة الثانية لخروجهم من أرض مصر . . . " العدد 1 :1 . ثم ارتحل بنو إسرعيل إلى برية فاران : " فارتحل بنو إسرعيل في رحلاتهم من برية سيناء فحلت السحابة في برية فاران . " العدد 10: 13 . وفي برية فاران تذمر بنو إسرعيل من موسى عليه السلام ، فما كان منه إلا أن أرسل عيونا إلى أرض كنعان ، ثم عادوا بعد أربعين يوما ليقولوا : " فأشاعوا مذمة الأرض التي تجسسوها في بني إسرعيل قـــائلين الأرض التي مررنا فيها لنتجسسها هي أرض تأكل سكانها ، وجميع الشعب الذي رأينا فيها أناس طوال القامة . وقد رأينا هناك الجبابرة بني عناق من الجبابرة . فكنا في أعيننا كالجراد وهكذا كنا في أعينهم . " العدد 13: 32، 33 .

وبعد ذلك حصل تمرد في بني إسرعيل والتيه لمدة (40) سنة . وعليه ، وبناء على مرويات العهد القديم ، يكون التيه قد وقع لبني إسرعيل وهم في برية فاران .

وبرية فاران ، وإن اختلف المؤرخون في موقعها ، فهي على الأغلب : " تقع في شبه جزيرة سيناء في المنطقة التي تحدها برية شور وأرض كنعان شمالا ، ووادي العربة شرقا وبرية شور غربا . . . " (**أحمد سوسة ، العرب واليهود في التاريخ ، ص 488**) .

وبعد انتهاء التيه ، انتقل بنو إسرعيل إلى برية صين ، وأقاموا في قادش برنيع . وهي أيضا جنوبي أرض كنعان ، ومنها أرسل موسى عليه السلام رسولا

إلى ملك أدوم ، ثم انتقل بنو إسرعيل من قادش برنيع ، إلى جبل هور على حدود أرض أدوم . . . . وهكذا فإننا نجد أن التيه عندما وقـــع لبني إسرعيل عندما كانوا بعيدين عــن الأرض المقدسة ، كما تدعي المرويات التوراتية ، وهذا يختلف عن ما جاء في القرآن الكريم . وأن موسى عليه السلام كان حيا حتى بعد التيه .

قال تعالى على لسان موسى عليه السلام عندما خاطب قومه : **" وإذ قال موسى لقومه يا قوم ادخلوا الأرض المقدسة التي كتب الله لكم ولا ترتدوا على أدباركم فتنقلبوا خاسرين ، قالوا يا موسى إنّ فيها قوما جبارين وإنّا لن ندخلها حتى يخرجوا منها فإن يخرجوا منها فإنّا داخلون . " المائدة 21، 22 .**

فمن هذه الآية الكريمة نستنتج ما يلي :

1- أن موسى عليه السلام طلب من بني إسرعيل دخول الأرض المقدسة قبل وقوع التيه ، وليس من المعقول أن يطلب ذلك منهم ، وهم بعيدون جدا عن حدود الأرض المقدسة ، في برية فاران ، أو صين ، مثلا ، بل لا بد أن يكونوا قريبين منها على الأقل .

2- رفض بني إسرعيل طلب موسى عليه السلام ، بعدما عرفوا أن فـــي أرض كنعان المقدسة قوما عمالقة جبارين .

وبعد ذلك ، تدخل رجلان من أقرب المقربين إلى موسى عليه السلام ، وقالا لبني إسرعيل : **" قال رجلان من الذين يخافون أنعم الله عليهما ادخلوا عليهم الباب فإذا دخلتموه فإنكم غالبون ، وعلى الله فتوكلوا إن كنتم مؤمنين . " المائدة 23 .**

ويقال بأن هذين الرجلين هما هارون ويوشع ، عليهما السلام،وقيل غير ذلك . وقد حاولا ثانية وثالثة ، ولكنهما لم يجدا أذنا صاغية عند بني إسرعيل الذين

لا يريدون المخاطرة بأرواحهم وممتلكاتهم ، ويفضلون الحصول على ما يريدون وهم قاعدون ، بدون تعب أو خسارة . فماذا كان ردهم على موسى عليه السلام ؟ كان ردهم رد الإنسان غير المؤمن ، الجاحد بنعمة الله تعالى : " **قالوا يا موسى إنّا لن ندخلها أبدا ما داموا فيها فاذهب أنت وربك فقاتلا إنّا ها هنا قاعدون** . " **المائدة 24**

ويقينا فإن هذه المحاورة التي حصلت بين موسى عليه السلام ، وبين بني إسرعيل ، لم تكن إلا على أبواب الأرض المقدسة ، وإلا لما كان عليه السلام يخوض معهم هــذا الحوار وهم بعيدون عن مقصدهم .

وبعدما يئس موسى عليه السلام من إقناع بني إسرعيل بما يريد ، وأصيــب بالإحباط وخيبة الأمل ، دعا عليهم قائلا : " **قال رب إني لا أملك إلا نفسي وأخي فافرق بيننا وبين القوم الفاسقين ، قال فإنها محرّمة عليهم أربعين سنة يتيهون في الأرض فلا تأس على القوم الفاسقين** . " **المائدة 25، 26** .

وهكذا وقع التيه ، وموسى وقومه على مقربة من الأرض المقدسة ، وما نظن هذه المنطقة إلا قريبة من قرية (الجيزة) الأردنية ، أي جنوب مطار الملكة علياء في عمان بعدة كيلومترات ، وليس في برية فاران كما تدعي التوراة .

الأسباط وأصول بني إسرعيل :

يعتقد بنو إسرعيل أن الأسباط الاثنى عشر هم الأصول البيولوجية لبني إسرعيل على مر العصور . ويرى العهد القديم في بعض نصوصه أن محافظة بني إسرعيل على حياتهم الخاصة ، وعدم اختلاطهم بالشعوب الأخرى ، قد حافظ على الهوية الإسرعيلية . وبعكس ذلك نرى أن بعض النصوص لا تتفق مع هذا الاتجاه . وسوف نرى في فصل لاحق كيف أن بني إسرعيل قد اختلطوا بشعوب فلسطين ، وتزوجوا منهم ، وزوجوهم من بناتهم .

ولا يكتفي العهد القديم بإيراد أساطير خيالية عن حروب خاضها يوشع عليه السلام ، مع شعوب الأرض المقدسة ، بل يذهب إلى الادعاء بأن يوشع عليه السلام قد فتح كل هذه الأرض ، ووزعها على الأسباط كلهم ، وبعدها استراحت الأرض من الحروب : " فأخذ يشوع كل الأرض حسب كل ما كلم به الرب موسى وأعطاها يشوع ملكا لإسرعيل حسب فرقهم وأسباطهم ، واستراحت الأرض من الحرب . " يشوع 11: 23 .

ولكن الواقع أن كثيرا من الأراضي الفلسطينية لم يتم احتلالها،مثل مجدّو ، وبيت شان ، ودور ، وجازر ، وكل مناطق الساحل الجنوبي لفلسطين ، وغيرها .

وإذا كان المصدر الأول للحياة في العصور القديمة يعتمد على الزراعة ، فنحن مع الذين يشكون في إمكانية أن يتمكن بنو إسرعيل من احتلال المنطقة العيش فيها ، وهم لا يجيدون الزراعة ، فقد عاشوا في مصر عبيدا يعملون في البناء ، وخدما في بعض البيوت ، ولم يذكر أنهم اشتغلوا بالزراعة . ثم كان الخروج والتيه ، فدخول فلسطين ، وهي منطقة تعتمد على الزراعة ، حتى أن (آلت Alt) يرى أن بداية بني إسرعيل في فلسطين ، كانت عن طريق التنقل مع قطعان الماشية والرعي بالدرجة الأولى ،ثم بدأوا بالاستقرار في الهضاب تدريجيا .

وما نظن أن بني إسرعيل كانت لديهم الإمكانية والمعرفة لزراعة الأرض . ومن هنا كان لا بد من الاعتماد على الآخر ، أي شعوب فلسطين الأخرى في هذا المجال . أما بنو إسرعيل فأغلب الظن أنهم بقوا رعاة يتنقلون مع مواشيهم ، ومن اضطروا منهم إلى الإقامة كان لا بد لهم من مجاورة الشعوب المتحضرة الأخرى والاختلاط بهم .

وعلى هذا الأساس ، فإن مقولة بقاء الشعب الإسرعيلي والمحافظة على الأصول (الأسباط) غير مقبولة ، ولا يمكن ترجمتها على أرض الواقع .

ومن ناحية أخرى ، إذا كان الناس يعرفون بانتمائهم العرقي عن طريق اللغة ، والدين ، والعادات والتقاليد ، والثقافة ، فإن الاكتشافات الآثارية لم تظهر لنا ما يميز بني إسرعيل عن غيرهم من الشعوب المجاروة . مما يدل على أن الجميع كانوا متشابهين – أغلب الأحيان – في الأكل والشرب ، والعادات والتقاليد ، والديانة ، وغيرها . وهذا دليل على أن الاختلاط كان يشمل جميع نواحي الحياة ، وبالتالي فلا خصوصية لبني إسرعيل على غيرهم من الشعوب ، ولا وجود لعرقية (إثنية) خاصة لبني إسرعيل .

أسباط بني إسرعيل :

كما مر سابقا أن أسباط بني إسرعيل كانوا اثنى عشر سبطا ، وكانـــوا معروفين عند خروج بني إسرعيل من مصر . وقد ساعدوا كثيرا في تنظيم وإدارة عملية الخروج . وفي صحراء سيناء كان لهم دور كبير في توعية الناس وتعليمهم ، وقضاء حوائجهم . وبقي هذا التنظيم قائما حتى حين ذهب بنو إسرعيل للتجسس على أرض كنعان ، كما تقول التوراة : " ثم كلم الرب موسى قائلا أرسل رجالا يتجسسوا أرض كنعان التي أنا معطيها لبني إسرعيل . رجلا واحدا لكل سبط آبائه ترسلون . " العدد 13: 1 . وسواء كان طلب التجسس من الله تعالى ، أو بطلب من موسى عليه السلام ، أو من بني إسرعيل أنفسهم ، فقد انطلق هؤلاء الجواسيس من مخيم بني إسرعيل في برية فاران ، أو غيرها ، وعادوا بأخبار لم تلق قبولا لدى بني إسرعيل ، ورفضوا دخول الأرض المقدسة ، فكان أن وقع عليهم بعدها التيه .

وحسب الرواية التوراتية أن كل من كان فوق العشرين من عمره قد قضى نحبه في التيه : " في هذا القفر تسقط جثثكم جميع المعدومين منكم حسب عددكم من ابن عشرين فصاعدا الذين تذمروا علي . لن تدخلوا الأرض التي رفعت يدي

لأسكنكم فيها ما عدا كالب بن يفنه ويشوع بن نون . وأما أطفالكم الذين قلتم يكونون غنيمة فإني سأدخلهم فيعرفون الأرض التي احتقرتموها . فجثثكم أنتم تسقط في هذا القفر . وبنوكم يكونون رعاة في القفر أوبعين سنة ويحملون فجوركم حتى تفنى جثثكم في القفر . " العدد 14: 29 – 33.

وبناء على ما سبق ، فإن ما تراه التوراة هو :

1- أن كل من كان فوق العشرين من بني إسرعيل قد قضى نحبه في التيه.

2- الأطفال يتيهون في الصحراء رعاة مع المواشي .

وبطبيعة الحال فإن هؤلاء الأطفال سيكونون بعد (40) سنة من التيه قد بلغوا الستين من العمر ، أو أقل ، إذا ظلوا أحياء . وأما الزواج في مثل هذه الظروف الصعبة في الصحراء والتيه ، فعلى الأغلب أنه كان محدودا ، أو شبه معدوم على الأقل . وعليه فلنتصور كم كان عدد بني إسرعيل قبل التيه ، وحسب مرويات العهد القديم ؟ وكم أصبح عددهم بعد انتهاء التيه ؟

وإذا كان موسى عليه السلام ، قد توفي بعد التيه مباشرة ، أو بعد سنين قليلة جدا .

وإذا كان كل من زاد عمره عن عشرين سنة قد قضى نحبه في التيه .

وإذا كان الزواج في فترة التيه (40) سنة ، شبه معدوم .

وإذا كان عدد بني إسرعيل (الذكور فوق العشرين) حسب الإحصاء الذي تم لهم قبل التيه هو : (603550) نسمة .

إذا كان كل ذلك موجودا ، فإن المرء ليستغرب ويتعجب كيف كان تعداد بني إسرعيل (الذكور فوق العشرين) بعد التيه مباشرة : (601730) نسمة ،

أي بفارق قدره 1820 نسمة أقل من قبل التيه ؟ مع كل ويلات التيه ومصائبه ، وذلك كما نرى في الجدول التالي :

عدد بني إسرعيل الذكور فوق العشرين
قبل التيه وبعد التيه

عدد الذكور من عشرين سنة فما فوق

الرقم	الأسباط	بداية التيه	نهاية التيه
1	راؤبين	46500	43730
2	شمعون	59300	22200
3	جاد	45650	40500
4	يهوذا	74600	76500
5	يساكر	54400	64300
6	زبولون	57400	60500
7	منسي	32200	52700
8	أفرايم	40500	32500
9	بنيامين	35400	45600
10	دان	62700	64400
11	أشير	41500	53400
12	نفتالي	53400	45400
	المجموع	603550	601730
		من عمر شهر فما فوق	
	اللاويون	22000	23000

المجموع الكلي 625550 624730

المصدر : تعداد قبل التيه / سفر العدد 1 : 1 – 54
تعداد بعد التيه / سفر العدد 26 : 1 – 65

وما يدعو إلى الملاحظة في هذا الجدول :

1- أن الأرقام كلها زوجية وتبدأ بالصفر .
2- التشابه التام في بعض الأرقام ، كما في الرقم (40500) ، و (53400) ، وتقارب بعضها كما في الأرقام (54400 و 45400) و (32200 و 22200) و (35400 ، 53400) .

ومن المفروض أن يكون عدد بني إسرعيل بعد التيه ، أقل من هذا العدد بكثير ، وكثير جدا ، ولكنه لم يكن حسب مزاعم العهد القديم .

ومن سنة الله في خلقه ، في الأقوام والشعوب القديمة ، أنه إذا بعث إليهم رسولا أو نبيا ، وخالفوه ، ولم يتبعوه وقاطعوه ،أن يرسل عليهم نوعا من العقاب ، يختلف من قوم إلى آخر ، ولكنه يكون عاما وشاملا لكل المشركين ، فلا يبق أحدا منهم . وقد حدث مثل هذا في أقوام عدد من الأنبياء السابقين .

فقوم نوح مثـلا ، أرسـل الله عليهم الطوفان ، حيث قال فيهم : " **فكذبوه فنجيناه ومن معه في الفلك وجعلناهم خلائف وأغرقنا الذين كذبوا بآياتنا فانظر كيف كان عاقبة المنذرين . " يونس 73 . وأيضا : " ونصرناه من القوم الذين كذبوا بآياتنا إنهم كانوا قوم سوء فأغرقناهم أجمعين . " الأنبياء 77**

وفي قوم هود (عاد) قال تعالى : " **فأنجيناه والذين معه برحمة منا وقطعنا دابر الذين كذبوا بآياتنا وما كانوا مؤمنين . " الأعراف 72 .**

وقال تعالى في ثمود قوم صالح حيث أخذتهم الصيحة : " **فلما جاء أمرنا نجينا صالحا والذين آمنوا معه برحمة منا ومن خزي يومئذ إن ربك هو القوي العزيز.وأخذ الذين ظلموا الصيحة فأصبحوا في ديارهم جاثمين ." هود 65 ، 66 .**

وقال تعالى في قوم لوط حيث أرسل عليهم مطرا وحجارة : " **فلما جاء أمرنا جعلنا عاليها سافلها وأمطرنا عليهم حجارة من سجيل منضود ." هود 82 .**

وقال في أهل مدين قوم شعيب عليه السلام حيث أخذتهم الصيحة : " **ولما جاء أمرنا نجينا شعيبا والذين آمنوا معه برحمة منا وأخذت الذين ظلموا الصيحة فأصبحوا في ديارهم جاثمين . " هود 94 .**

حتى فرعون مصر الذي لحق بموسى عليه السلام، هو وجيشه قد ابتلعهم الماء جميعهم ولم ينج منهم أحد كما قال تعالى عنهم : " **فأراد أن يستفزهم من الأرض فأغرقناه ومن معه جميعا . " الإسراء 103**

وهكذا هي سنة الله في خلقه ، يمهل ، ولا يهمل ، وما كان له أن يعذب قوما أو يهلكهم قبل أن يبعث إليهم رسولا أو نبيا ،فإن آمنوا به ،فقد نجوا من غضب الله تعالى ، وإلا فإنه معذبهم أو مهلكهم ، ما عدا المؤمنين منهم .

وما حصل مع بني إسرعيل لم يكن إلا كما حصل مع غيرهم من الأقــوام والشعوب السابقة ، التي كفرت بالله سبحانه وتعالى . فقوم بني إسرعيل بعد أن خانوا عهودهم ومواثيقهم مع الله تعالى ، ورفضوا دخول الأرض المقدسة غضب الله عليهم ، فجعلهم يتيهون مدة (40) سنة ، وليس من الضرورة أن يكون التيه في الصحراء ، وليس هناك ما يدل في القرآن الكريم على أن التيه كان في الصحراء ، فقضى الله عليهم إلا المؤمنين منهم ، وهم قلة كما قال موسى عليه

السلام : " **قال رب إني لا أملك إلا نفسي وأخي فافرق بيننا وبين القوم الفاسقين . " المائدة 24 .**

قال ابن كثير : " ومات أكثر بني إسرعيل هناك في تلك المدة ، ويقال إنه لم يبق منهم أحد سوى يوشع وكالب ، ومن هنا قال بعض المفسرين في قوله (قال فإنها محرمة عليهم) هذا وقف تام . " (**ابن كثير ، تفسير القرآن الكريم ، ص 42/2**) .

وأيضا إذا كان الخطاب التوراتي يقرر أن جميع الذكور رجال الحرب الخارجين من مصر ، ماتوا في سيناء : " جميع الشعب الخارجين من مصر الذكور جميع رجال الحرب ماتوا في البرية على الطريق بخروجهم من مصر . " يشوع 5: 4 ، فماذا بقي غير النساء والأطفال ، وليس من المعقول أن يكون رجال الحرب قد ماتوا قبل التيه ، وأصبح عددهم بعد التيه كما جاء في الجدول السابق خلال أربعين سنة . كما أنه إذا كان رجال الحرب قد ماتوا قبل التيه ، فإن التيه في هذه الحالة كان للأطفال والنساء والشيوخ ، وهذا غير معقول .

ولهذا فنحن نرى أن الخارجين من بني إسرعيل من التيه ، لم يكونوا ليتجاوزوا العشرات ، وبموتهم جميعا يكون الأسباط قد انتهوا ، إن لم يكن كلهم فأغلبهم ، وعليه فإن مقولة الأسباط بعد التيه ، وما يبنى عليها ، هي مقولة خاطئة زائفة .

وبعد التيه، نشط موسى عليه السلام – ومنهم من يقول أنه مات في التيه – ومن بقي معه في الدعوة ثانية في الدعوة إلى توحيد الله تعالى وعبادته ، فآمن معه عدد من أفراد القبائل والشعوب التي كانت تقيم شرقي النهر ، ولما اشتد بأسهم ، وكان ذلك في عهد الملك طالوت (شاؤول) عبروا نهر الأردن ، وقاتلوا الفلسطينيين وانتصروا عليهم ، كما قال تعالى : " **فلما فصل طالوت بالجنود قال إن**

الله مبتليكم بنهر فمن شرب منه فليس مني ومن لم يطعمه فإنه مني إلا من اغترف غرفة بيده فشربوا منه إلا قليلا منهم فلما جاوزه هو والذين آمنوا معه قالوا لا طاقة لنا اليوم بجالوت وجنوده . . . . " البقرة 249 .

الأسباط الضائعة :

تعود خرافة الأسباط الضائعة إلى الزمن الذي توفي فيه سليمان عليه السلام فبعد وفاته انقسمت مملكة بيت داود (أورشالم) إلى مملكتين ، مملكة السامرة في الشمال ، ومملكة يهوذا في الجنوب (أورشالم) .

وكان قد استوطن سبطا (يهوذا وبنيامين) في المملكة الجنوبية ، والأسباط العشرة الباقية في المملكة الشمالية .

فبعد وفاة سليمان عليه السلام ، وتولي ابنه رحبعام الملك ، طالب الشماليون بتخفيف الأعباء الضريبية ، وغيرها عنهم . لكن رحبعام رفض ذلك بل زادها ، فما كان منهم إلا أن أعلنوا استقلال الشمال عن الجنوب،وعينوا (يربعام بن ناباط) ملكا عليهم .

ولا شك أن مملكة الشمال كانت أكبر مساحة من مملكة الجنوب ، وأكثر غنى وعدد سكان . ويرجع ذلك إلى توزيع أراضي فلسطين على الأسباط الاثنى عشر من قبل يوشع قبل وفاته ، حيث استقر الأسباط العشرة في الشمال ، والسبطين يهوذا وبنيامين كانت حصتهم في منطقة الهضاب الجنوبية من فلسطين .

هذا هو مختصر رواية العهد القديم الخرافية لتأسيس مملكتي إسرعيل ويهوذا . ولكن هذه الرواية لم تعد مقبولة عند علماء التاريخ والآثار .

فإذا كان الأسباط قد انتهوا بانتهاء التيه ، وإذا كان يوشع عليه السلام لم يدخل الأرض المقدسة ، وبالتالي لم يقم بأي توزيع للأراضي على الأسباط ، فإن تلك المقولة بعيدة عن الصحة .

لقد أظهرت الدراسات المختلفة للمنطقة الشمالية والجنوبية ، تباينا واضحا في نوعية السكان وتصرفاتهم .

فبعد انتهاء مرحلة الجفاف الميقيني (المسيني) في أوائل عصر الحديد الأول ، عاد السكان الذين كانوا قد هجروا الأراضي الزراعية واتبعوا حرفة الرعي ، أخذوا يعودون تدريجيا إلى مدنهم وقراهم وأراضيهم الزراعية ، وفي ذلك العصر لم تستقبل فلسطين موجات سكانية كبيرة من الخارج يمكن أن تؤثر على نوعية الوضع السكاني في المنطقة ، وأغلب الذين تسللوا إلى المنطقة من خارجها استوطنوا منطقة الهضاب الجنوبية . أما منطقة الهضاب الشمالية والوسطى ، فكان استيطان القادمين من خارج فلسطين فيها قليلا. وعلى هذا الأساس كان استيطان معظم بني إسرعيل في منطقة الهضاب الجنوبية .

وعندما حكم داود وسليمان عليهما السلام فلسطين – ليس جميعها – خضعت بعض المناطق الشمالية والوسطى لسيطرتهم . ولكن بعد وفاة سليمان عليه السلام لم يكن لخليفته (رحبعام) من الحكمة والحنكة السياسية ،ما يمكنه من إبقاء تلك المناطق تحت سيطرته .

لقد كانت المنطقتان (الشمالية والجنوبية) مختلفتين أصلا في نوعية السكان ، والديانة ، والثروة ، وجغرافية المنطقة ، وغيرها . وهذا الاختلاف استمر في الظهور مما كان له تأثير كبير في إيجاد مملكتين مختلفتين .

وإذا كان فينكلشتاين وطومسون وسيلبرمان وغيرهم ، يرون أنه لا يوجد أي دليل آثري مطلقا يدل على أن الشمال والجنوب كانا في يوم ما مملكة واحدة ،

فإن هذا المفهوم قد يكون أكثر ظهورا في عصر الحديد الثاني ، العصر الذي يفترض فيه أن تكون هناك مملكتان ، شمالية وجنوبية .

ليس هناك من دليل مادي ، أثري أو غيره يدل على أن داود وسليمان عليهما السلام كانا يحكمان المناطق التي تكونت منها المملكة الشمالية جميعها . فسهل يزرعيل وبيت شان وغيرها ، لم تكن جزءا من مملكة داود عليه السلام .

وفي الجنوب (المرتفعات الجنوبية) كانت أورشالم حتى القرن التاسع قبل الميلاد ، لم تزل مدينة لم تبلغ ما بلغت إليه مجدّو أو لخيش من حيث عدد السكان أو التخطيط والإدارة ، كما أن المنطقة بأكملها لم تكن مأهولة بالسكان ، كما كانت عليه المنطقة الشمالية ، المليئة بعشرات المستوطنات السكانية المأهولة ، ولها مراكز إقليمية ، ومدن ، وقرى من كل الأحجام .

المناطق الشمالية كانت تسير بخطى سريعة نحو التقدم والنمو ، والحصول على مكانة دولية ، مما جعلها تظهر على مسرح الأحداث الدولية ، والتحالفات الكبرى كقوة لها مكانتها . على عكس المناطق الجنوبية التي كانت تعيش في شبه عزلة .

ولهذا ، فإنه وبعد وفاة سليمان عليه السلام ، واعتلاء عرش المملكة ملك من الجنوب ، كان من الطبيعي أن يرفض أهل الشمال الانضمام إلى هذه المملكة ، وهم الأقوى والأغنى ، والأكبر مساحة ، والأكثر سكانا .

ونتيجة لذلك انفصل الشمال في مملكته ، وانضمت إليها كل المناطق الشمالية التي كانت تخضع لمملكة الجنوب ، بالإضافة إلى مناطق عديدة أخرى ، وقد عرفت تاريخيا باسم (مملكة السامرة أو مملكة بيت عُمري) .

ولكن السؤال الذي يطرح :

لماذا تصر مرويات العهد القديم على أن الشمال والجنوب كانا مملكة واحدة متحدة ، وأن الانفصال وقع بعد وفاة سليمان عليه السلام ، مع عدم وجود شواهد أثرية تدل على أن الوحدة الكاملة كانت قائمة في يوم ما بينهما ؟

لقد اصطنعت قصص العهد القديم هذه المملكة المتحدة ، لتثبت عظمة داود وسليمان عليهما السلام ، ومكانتهما التاريخية في تلك الفترة ، ولتؤكد أن الأراضي التي وزعها يوشع عليه السلام على الأسباط ، قد توحدت جميعها ضمن مملكة واحدة .

ولما أصبح الانفصال حقيقة واقعة ، التمست قصص العهد القديم لذلك سببا واهيا ، ألا وهو الضرائب التي كانت مفروضة على الشمال ، الذي فضل الانفصال على أن يدفع الضرائب .

ولكن الدراسات أثبتت لنا أن أغلب سكان المناطق الشمالية ، لم يكونوا من بني إسرعيل ، وإنما هم من السكان المحليين الذين هجروا المنطقة في بداية الجفاف إلى المناطق الغورية ، ثم عادوا ثانية إلى مدنهم وقراهم ، بعد انتهاء فترة الجفاف . وهذا هو سبب الحقد الذي نراه في العهد القديم على سلالة (عُمري) التي حكمت المملكة الشمالية لمدة نصف قرن تقريبا . فـ (عُمري) عمل الشر في عيني الرب ، وكذلك ابنه آخاب ، وأخزيا يحكم فترة قصيرة ويموت بالمرض ، ثم يورام الذي عمل الشر أيضا في عيني الرب . وهكذا معظم ملوك المملكة الشمالية ، عملوا الشر في عيني الرب ، لأنهم ليسوا من بني إسرعيل .

وبالرغم من أن المكتشفات الآثارية تدل على أن (عُمري) – والذي قد تكون أصوله عربية – كان قائدا ناجحا ، وأن المملكة الشمالية في عهده كانت مزدهرة ، ولها نظام إداري متطور، ولديها جيش استطاع أن يستولي على عدة مناطق شرقي النهر ، لا ينظر العهد القديم إليه بعين الرضى والقبول .

وقد استغرقت عملية عودة المهاجرين من المناطق الشمالية إلى موطنهم حوالي مائتي سنة . وفي إحدى مراحل هذه الفترة استطاع داود وسليمان عليهما السلام أن يفرضا سيطرتهما على بعض المناطق الشمالية ، ولكن عندما ازداد عدد السكان ، والذين لا علاقة لهم بسكان المرتفعات الجنوبية ، وكان داود وسليمان عليهما السلام قد توفيا ، رفض هؤلاء السكان الانضمام إلى المرتفعات الجنوبية (يهوذا) في مملكة متحدة ، وفضلوا دولة مستقلة خاصة بهم .

وعلى هذا الأساس ، فإننا نقول أنه لا يوجد أسباط عشرة ، أو أقل أو أكثر من ذلك في المناطق الشمالية ، ولا أسباط (اثنين) محددين بالاسم في الهضاب الجنوبية ، لأن الأسباط قد انتهوا في التيه من قبل ، وكل ما هنالك هو (بنو إسرعيل) مجموعة دينية ،وليست عرقية ،ومن آمن بدعوتهم التوحيدية في البداية . ولكنه ما لبث أن ارتد قسم كبير منهم ، خاصة بعد وفاة سليمان عليه السلام ، وعبدوا آلهة الشعوب التي كانت تغزوهم ، أو تحيط بهم .

وأن الفكرة القائلة بأن الأسباط العشرة الذين كانوا يشكلون المملكة الشمالية وتم تهجيرهم من قبل الأشوريين قد اختفوا ، لا تستند على أي دليل تاريخي أو أثري أو من العهد القديم ، كما لم يثبت لأي من أنبياء بني إسرعيل قوله بأن أيا من القبائل الإسرعيلية قد ضاع . ويقينا فإن الذين تم تهجيرهم على يد الأشوريين من السامرة والشمال ، لم يكونوا من بني إسرعيل وحدهم .

إن هؤلاء المنادين بهذه الفكرة الخادعة ، أرادوا توظيف الخرافة الدينية من أجل مصالح دنيوية وسياسية . فقد ربطت هذه الخرافة بمسألة قدوم المسيح عليه السلام ، ليعيد مجد إسرعيل الضائع على رأس الألفية ، وعلى رأس هذه المجموعة أصحاب الاتجاهات الأصولية المسيحية الغربية ، والبروتستانتية الانجليكانية تحديدا .

وهم يعتبرون عودة المسيح القادمة ، أنها العودة الثانية ، ومن خلالها سيحكم الأرض إلى يوم القيامة . ونحن معشر المسلمين وإن كنا نؤمن بعودة المسيح ثانية إلى الأرض ، فإن المفهوم الإسلامي لهذا الموضوع ، لمختلف جدا ، عن المفاهيم النصرانية واليهودية .

ويقال " أن أقدم إشارة إلى الأسباط الضائعة طرحت من قبل الإسباني (جومارا Gomara) الذي اقتنع بأن الهنود الحمر هم الأسباط المفقودة . " **(زياد منى ، بنو إسرعيل وجغرافية الجذور ، ص 188) .**

ثم توالت الآراء بعد ذلك . وقيل بأن جماعة (الشنداي) في اليابان هي الأسباط الضائعة . وقيل أنهم طائفة (المورمون The Mormons) في أمريكا . وقيل أنهم جماعة (الفلاشا) في الحبشة . وغير ذلك كثير . وهكذا نرى التخبط في هذا الموضوع ، مما يدل على أنه خرافة لا أساس لها .

وبالتأكيد ، فإن الموضوع لا يخرج عن كونه موضوعا سياسيا لتبرير عمل ما ، ولا علاقة له بضياع ، أو وجود أسباط مفقودين ، مهما كان عددهم .

الفصل السادس

يوشع عليه السلام والغزو العسكري

بنو إسرعيل بعد موسى عليه السلام :

توفي موسى عليه السلام ، شرقي نهر الأردن ، ولم يكن قـد قـام لبنـي إسرعيل أي نوع من الكيانات السياسية بعد . حتى أن طومسون يجزم بـأن بنـي إسرعيل لم يكونوا شعبا قبل يوشع الذي تولى أمر بني إسرعيل بعد موسـى عليـه السلام ، وحتى أثناء حكمه ، فيقول : " فالجزم بأن (إسرعيل) كان قبل ذلك شـعبا قبل دخول فلسطين ، سواء في هذه القصص أم في قصص يشوع ، ليس له أسـاس تاريخـي . " **(طومسون ، الماضي الخرافي التوراة والتاريخ ، ص 306) .**

ثم تولى أمر بني إسرعيل **(يوشع عليه السلام)** ، والذي استمر في الدعوة إلى عبادة الله وحده ، ولا يوجد أي مصدر تاريخي ، أو أثري يدل على أن يوشع عليه السلام قطع نهر الأردن بمن آمن معه من بني إسرعيل وغيرهم ، قاصدا الأرض المقدسة .

ولكن مرويات العهد القديم تعتبر يوشع القائد الإسرعيلي الفاتح والمحتـل الذي قاد بني إسرعيل عبر النهر إلى الأرض المقدسة ، وتتحدث عنه أنه اسـتولى على أريحا ، ومقيدة ، ولبنة ، وعي ، ودبير ، وغيرها من المدن الفلسطينية بحـد السيف .

ولا شك أن ما جاء في أساطير العهد القديم بخصوص أعمال يشوع عليـه السلام القتالية ، وما فعله في المدن التي احتلها من قتل وسفك دماء وتعذيب

وتخريب ، ليس إلا أكاذيب لم يؤيدها أي من العلماء والمؤرخين ، ولا أية تنقيبات آثارية في أي من المدن التي ورد ذكرها في التوراة .

يقول جوزيف كالاوي G. Gallaway :

" " بعد استعراض جميع الوثائق الأركيولوجية من المواقع الفلسطينية المذكورة في سفر يشوع ، هل يمكن القول بأن الغزاة الإسرعيليين قد استولوا على المناطق الهضبية والجليل عبر معارك عسكرية خاطفة ، مما يرويه سفر يشوع من الإصحاح الأول إلى الإصحاح الثاني عشر ؟ إن البينات الأركيولوجية غير مقنعة وتتعارض في معظمها مع الرواية التوراتية . . . . " " (**فراس السواح ، آرام دمشق وإسرعيل ، ص 96**) .

وعلى الأغلب فإن يشوع عليه السلام ، استمر يغير بمن آمن معه على القبائل التي كانت تسكن شرقي النهر ، وأنه لم يستطع يوما أن يشكل أي كيان سياسي يرقى إلى مستوى مملكة ، ولو صغيرة ، بل بقي شيخ قبيلة أو عشيرة ، يسكن الخيام هو ومن معه ، في النهار يغزون أو يسرحون مع المواشي ، وفي الليل يجتمعون حول النيران .

وبعد وفاة يشوع عليه السلام ،سادت بني إسرعيل الفوضى والاضطراب ، وعدم إطاعة الأوامر ، وارتد البعض عن دين التوحيد ، وعبدوا آلهة الأقوام والشعوب التي كانت تقيم شرقي النهر .

لقد أفرد العهد القديم سفرا خاصا بـ (يوشع) عليه السلام ، وبما أنه هناك شبه إجماع على أن العهد القديم لا يمكن بأي حال من الأحوال أن يكون كتاب تاريخ ، وعلى هذا الأساس فإن اعتبار ما جاء في سفر يوشع عليه السلام لا يمكن اعتباره مصدرا تاريخيا . وقد خضع هذا السفر لتحليل لغوي مدروس تبين منه " بشكل لا شك فيه أن سفر يشوع بن نون ليس إلا خليطا لمجموعة من الوثائق

التاريخية التي تعود إلى حقب مختلفة ، وتعكس مصالح طبقات اجتماعية مختلفة أيضا . أضف إلى ذلك أن تلك الوثائق تعرضت مع الأيام للعديد من التصحيح والإضافة . " (**زينون كوسيدوفسكي ، الأسطورة والحقيقة ، ص 184**) .

الغزو العسكري الإسرعيلي :

يطالعنا سفر يشوع (يوشع) في العهد القديم بغزوات عسكرية مفاجئة ، قام بها يشوع عليه السلام ، على كثير من مدن فلسطين ، وقد احتل أكثرها . وفي غزواته هذه استطاع أن يتغلب على العديد من الملوك الكنعانيين والجرجاشيين والفرزيين ، . . . وغيرهم ممن كانوا يقيمون على أرض فلسطين المقدسة منذ مئات السنين ، بل آلاف السنين ، وبعضهم لهم من القوة ، ومن الحضارة ، ما لم يكن متوفرا لبني إسرعيل ، ولكنها إرادة خطاب العهد القديم ، أن تسقط تلك الممالك تحت وطأة غزو يوشع العسكري .

إنها قصة حرب مثيرة ، وصفها العهد القديم بالشجاعة والحكمة ، والتخطيط الجيد ، والإيمان القوي ، والثأر ، كما لم ينس أن يدخل فيها عنصر المفاجأة والخديعة للإيقاع بمن يسميهم الأعداء ، ولا شك في أنه كان للأسطورة حيز كبير في هذه الغزوات حتى أصبح قارؤها لا يشك في أنها خرافات لا يمكن تصديقها . كما حصل في احتلال أريحا ، ووقوف الشمس عن الحركة في جبعون ، واحتراق المدينة الكنعانية العظيمة حازور (حاصور) ، وغيرها .

ومن الذين أيدوا وجود غزو عسكري لأراضي غربي النهر من قبل بني إسرعيل (وليم ألبرايت W. Albright) الذي دعم هذه النظرية ، وحاول إثبات أن هناك حملة عسكرية هي التي قضت على المجتمع الفلسطيني الكنعاني غربي النهر . وقد اعتمد ألبرايت في رواياته عن الغزو العسكري على المكتشفات الآثارية في فلسطين ، والتي تظهر أن تدميرا قد حصل في بعض المناطق في

تلك الفترة ، ولكننا سوف نرى فيما بعد أن ذلك التدمير لم يكن ليوشع عليه السلام أي أثر في إحداثه .

ولكن هل حدث غزو عسكري حقا من قبل يوشع ؟ وهل كان الغزو العسكري كما هو موصوف في الأساطير التوراتية ؟

هذا وغيره ما سيتم التطرق إليه في الصفحات التالية من هذه الأسطورة التي وردت عناصرها في العهد القديم .

يوشع خليفة موسى عليه السلام :

من المتفق عليه تاريخيا أن يوشع عليه السلام هو (فتى) موسى عليه السلام ، وأنهما قد عاصرا التيه معا ، ويقال أن الذين خرجوا من التيه ، كانوا على الأكثر لا يتجاوزون أصابع اليد ، ومنهم موسى وهارون ويوشع عليهم السلام .

وإذا كان موسى عليه السلام ، قد توفي بعد التيه مباشرة ، أو قبل انتهائه بقليل ، كما يرى البعض ، فإن يوشع عليه السلام قد تولى أمر بني إسرعيل بعد وفاة موسى عليه السلام ، كما تولى أمر الدعوة إلى عبادة الله وحده .

ومن المعلوم لدينا معشر المسلمين أن بني إسرعيل حتى ذلك التاريخ لم يدخلوا الأرض المقدسة ، أي لم يعبروا النهر بعد . وأنهم كانوا من قلة العدد ، ومن الفقر ، ما لم يمكنهم من تكوين جيش ، ولا تسليح جماعة حتى بالعصي . ولهذا فإننا نستبعد جدا أن يكون يوشع عليه السلام ، قد بدأ الغزو العسكري بعد تسلمه قيادة بني إسرعيل .

وإذا كان الوضع كذلك ، فإن أول ما يتبادر إلى ذهن القائد هو أن يبدأ بإيجاد مكان للعيش له ولجماعته ، وعقد معاهدات السلام مع جيرانه ، والعمل على تقوية مكانته بالعهود والأحلاف ، واستمالة أكبر عدد من السكان إليه .

وهكذا كان ، وذلك عكس ما يراه العهد القديم ، فإن يوشع عليه السلام كان على الديانة التوحيدية التي جاء بها موسى عليه السلام ، ودعا بني إسرعيل إليها ، فما أن استقرت أوضاعه شرقي النهر ، حتى راح يدعو السكان القريبين منه إلى عبادة الله وحده ، وترك عبادة الكفر ، والأصنام . وقد وجدت هذه الدعوة أذنا صاغية عند عدد كبير من الناس الذين انضموا إليه .

ولما قويت شوكته ، أصبح يمارس الغزو نهارا ، كما كان ذلك عند غيره من الجماعات الأخرى المقيمة شرقي النهر ، مع اختلاف بسيط وهو أنه كان يغير على بيوت الشعر المتطرفة ، والرعاة المنقطعين عن مضاربهم ، والذين بقوا على الشرك ، ولم يتبعوا دعوته ، وأنه لم يكن يغامر في غزوة كبيرة ، قد تقضي عليه ، وعلى جماعته .

هكذا كان الوضع مع يوشع عليه السلام ، وهذا على نقيض تام مع ما جاء في العهد القديم من خرافات وأساطير حوله .

يوشع في العهد القديم :

يرى العهد القديم أن يوشع عليه السلام ، هو الذي قاد بني إسرعيل عبر النهر إلى الأرض المقدسة ، وذلك بعد وفاة موسى عليه السلام .

ومباشرة وبعد أن عبر يوشع النهر ، التقى مع جيوش الممالك التي كانت تقيم غربي النهر ،وخاض معها حروبا مريرة ،وقد انتصر في أغلب هذه المعارك ، وسقطت كثير من المدن في يده ، واستباحها ، وأحل دماء كل كائن حي فيها . وكما قلنا سابقا ، أنه في خلال هذه المدة القصيرة بين وفاة موسى عليه السلام ، وقطع النهر ، لم يكن بمقدور يوشع عليه السلام ، أن يكوّن جيشا قويا يستطيع به أن يخوض مثل هذه الحروب الكبيرة ، ولكنها إرادة مرويات العهد القديم ، التي لا تميز بين الممكن ، وغير الممكن ، والذي جاء فيه : " أن جميع الشعب

الخارجين من مصر الذكور جميع رجال الحرب ماتوا في البرية على الطريق بخروجهم من مصر . " يشوع 5: 4 .

وكانت أول مدينة احتلها يوشع عليه السلام هي (أريحا) التي صب عليها جام غضبه لأنها قاومت واستعصى عليه فتحها في البداية ، ولكنها فتحت بمعجزة إلهية في اليوم السابع ، بعد أن داروا حول المدينة سبعة أشواط والكهنة يضربون في الأبواق والجميع يهتف هتافات عظيمة سقطت على أثرها أسوار المدينة . (يوشع 6: 2 – 5).

ثم توجه إلى (عاي) بالقرب من بيت إيل ، وهزم أول الأمر . لكنه نصب كمينا خارج أسوار المدينة ، وتظاهر بالهزيمة ، فلاحقهم محاربو عاي ، وما لبث أن خرج الكمين ودخل المدينة ، وهي بلا مدافعين واحتلوها .

ولما سمع الجبعونيون وكانوا يسكنون أربعة مدن شمال أورشالم ، بسقوط أريحا وعاي ، أرسلوا إلى يوشع قائلين أنهم ليسوا مواطنين أصليين في هذه البلاد ، وطلبوا منه الرحمة والعفو ، فأجابهم إلى ذلك ،ولكن فيما بعد تبين له أنهم كاذبون ، وأنهم هم سكان الأرض الأصليين ، فعاقبهم عل ذلك : " وجعلهم يشوع في ذلك اليوم محتطبي حطب ومستقي ماء للجماعة ولمذبح الرب . " يوشع 9 : 27 .

ثم واصل يوشع حملته العسكرية فاحتل مقيّدة ، ولبنة ، ولخيش ، وجازر ، وعجلون ، ودبّير ، كما " ضرب يشوع كل أرض الجبل والجنوب والسهل والسفوح وكل ملوكها . لم يبق شاردا بل حرم كل نسمة كما أمر الرب إله إسرعيل . " يوشع 10 : 40 .

وليس المهم هو احتلال المدينة ، بل ما كان يفعله يوشع والإسرعيليون بالمدينة والسكان ، وذلك حسب تعاليم الرب – كما يدعون – هو الذي يجب التوقف عنده ، والتفكير مليا فيه .

ففي أريحا مثلا : " وحرموا كل ما في المدينة من رجل وامرأة من طفل وشيخ حتى البقر والغنم والحمير بحد السيف . " يشوع 6 : 21 . ثم " أحرقوا المدينة بالنار مع كل ما بها . " يشوع 6 : 24 .

وفي عاي : " ودخلوا المدينة وأخذوها وأسرعوا وأحرقوا المدينة بالنار . " يوشع 7 : 19 . وأيضا عن السكان : " وضربوهم حتى لم يبق منهم شارد ولا منفلت . " يوشع 8 : 22 .

وفي مقيّدة : " وضربها بحد السيف وحرم ملكها هو وكل نفس بها . لم يبق شاردا . " يشوع 10 : 28 .

وفي لبنة : " فدفعها الرب هي أيضا بيد إسرعيل مع ملكها فضربها بحد السيف وكل نفس بها ، لم يبق شاردا . " يشوع 10 : 30.

وفي لخيش : " وضربها بحد السيف وكل نفس بها حسب كل ما فعل بلبنة . " يشوع 10 : 32 .

وهكذا فعل في كل مدينة احتلها "حرم كل نسمة كما أمر الرب إله إسرعيل . " فهل حقا إله إسرعيل أمر بذلك ؟ وهل حقا أن يوشع فعل ذلك ؟

لو كان ذلك حقا ووقع فعلا ، فإننا لن نجد أسوأ من هذا الفعل ، منذ أن بدأ الخلق حتى هذا اليوم . حتى (التتار) وأفعال هولاكو وجنكيز خان الهمجية تبقى دون ذلك حسب أساطير العهد القديم . إن هذا التطهير العرقي الذي مارسه يوشع في البلاد المحتلة ، إنما يدل على الحقد الدفين الذي كان يضمره بنو إسرعيل لغيرهم من الشعوب ، ولا زالوا . ولو كان هذا حقا حصل من يوشع عليه السلام لكان يستأهل أن نطلق عليه لقب (سفاح بني إسرعيل) عن جدارة واستحقاق . والحمد لله فإن التاريخ أثبت لنا بما لا يدع مجالا للشك كذب هذه الافتراءات ، ولكنه الحقد الدفين عند كاتبي هذا الافتراءات على الشعوب التي كانت تسكن المنطقة .

ومن قصص هذا السفر التي لا زال الشك يحيط بها قصة احتلال أورشالم ، فقد جاء فيه أن يشوع ومن معه قد دمّروا أورشالم ، وقتلوا سكانها كلهم . ولكننا ما نلبث أن نقرأ في الإصحاح التالي بأن أورشالم لم تحتل ، وأن اليبوسيين ما زالوا يسكنونها ، ويحكمون أمرها .

وفيه أيضا أن (أدوني صادق) ملك أورشالم يقتل أولا ،بناء على أوامر يشوع ، ثم يقتل ثانية عندما يأسره سبط يهوذا . وإذا كان الحديث أولا يدور عن ملك اسمه (أدوني صادق - يشوع 10 : 15) ، فهو في الواقعة الثانية يتحدث عن (أدوني بازق - القضاة 1 : 7) ، والحقيقة أن الكلام يدور في كلا الحالتين عن الشخص نفسه .

وغير ذلك من القصص المتناقضة التي تشكك ، بل وتنفي تاريخية سفر يشوع بكامله ، حتى ذهب البعض إلى اعتباره سفرا لا علاقة له بالعهد القديم .

ومن ناحية أخرى ، إذا كان يوشع عليه السلام له من القوة التي وصفها العهد القديم ، وعنده جيش تعداده عدة ألوف ، فمعنى ذلك أن بني إسرعيل في تلك الفترة كانوا يعيشون فترة ازدهار ورخاء ، وهذا ما لا تؤكده جميع المصادر التاريخية والأثرية . ويقينا فإن بني إسرعيل لو كانوا كذلك ، لما كانوا يسكنون الخيام ، كما جاء في السفر نفسه : " وعندما صرفهم يشوع أيضا إلى خيامهم باركهم وكلمهم قائلا بمال كثير ارجعوا إلى خيامكم . . . . " يشوع 22 : 7، 8 .

إن ما جاء في سفر يوشع عليه السلام من قتل وتدمير وسفك دماء للإنسان والحيوان ، قد استخدمه بنو إسرعيل في العصور اللاحقة ، وحتى اليوم ، واعتبروه مثالا يجب أن يتبع ، وأسلوبا للعيش مع الآخر ، فهم لا يريدون الأمن ولا السلام ولا الاستقرار لغيرهم .

التاريخ ومصداقية عهد يشوع :

كما جاء في الفصل الثالث ، إذا كانت وفاة موسى عليه السلام على أبواب الأرض المقدسة سنة 1181 ق. م. ، وأن يوشع عليه السلام قد تولى قيادة بني إسرعيل من بعده مباشرة ، ففي هذه الفترة ، فإن الحالة الواقعية التي يقدمها لنا التاريخ عن الوضع الكنعاني بشكل عام ، وعن الأماكن التي يفترض العهد القديم أنه جرت على أرضها معارك بين بني إسرعيل وغيرهم ، مختلفة جدا .

وأول ما يؤكد لنا هذا الاختلاف هو رسائل (تل العمارنة) التي وجدت في مصر ، والتي جرت بين الممالك الفلسطينية الكنعانية ، في تلك الفترة ، وبين أمنحوتب الثالث ، وابنه أمنحوتب الرابع (أخناتون) . وهي عبارة عن رسائل سياسية ، صدرت أغلبها عن هذه الممالك إلى حكام مصر . كما تتضمن رسائل عديدة أرسلت إلى مصر أيضا من قبل بعض الممالك القوية في حينه مثل الحثيين ، وحكام بلاد الرافدين .

ومن أشهر ممالك المدن التي كانت قائمة في فلسطين في تلك الفترة ، وكان لملوكها وحكامها علاقات مع مصر ، كانت مملكة أورشالم ، وشكيم ، ومجدّو ، وجازر ، وحازور ، ولخيش ، وبيت شان ، وأكشف ، وجت ، وغيرها .

وقد تبين لنا من جميع هذه الرسائل ، أن هذه الممالك كانت عبارة عن محميات مصرية ، وكان يقيم في بعضها مجموعة من الجنود المصريين لضمان ولاء هذه الممالك لمصر ، وجمع الضرائب ، والمحافظة على الأمن والاستقرار الضروريين لأمن الطرق التجارية التي كانت تمر بالمنطقة ، كما كان لبعضها جيش قوي .

وبالرجوع إلى العهد القديم ، فإننا لا نجد أي ذكر لهذا الوجود المصري الكثيف في المنطقة ، كما أننا لا نجد أي صدام قد وقع بين بني إسرعيل ، وبين القوات المصرية المرابطة في بعض الحصون والقلاع الفلسطينية .

ومن ناحية أخرى ، فقد صورت لنا مرويات العهد القديم الممالك الكنعانية على أنها ممالك كبيرة ، وقوية ، ومحصنة تحصينا جيدا ، وأن ملوكها أعداء أقوياء لبـــني إسرعيل ، كما حصل في أريحا وعـــاي ، وجبعـــون " لأن جبعـــون مدينـــة عظيمة كإحدى المدن الملكية وهي أعظم من عاي وكل رجالها جبابرة . " يوشـــع 10 : 2 .

وفي تجمع جيوش الأموريين والفرزيين واليبوسيين . . . . " فخرجوا هـــم وكل جيوشهم معهم شعبا غفيرا كالرمل الذي على شاطئ البحر في الكثرة بخيـــل ومركبات كثيرة جدا . " يوشع 11 : 4 .

ومما لا شك فيه ، أن هذا الوصف التوراتي المزعوم لهذه الممالك لا يتفق مـــع الواقع الذي كانت عليه تلك الممالك في ذلك الوقت . ففي الواقع :

" كان أمراء المدن الكنعانية ضعيفين بنحو مثير للشفقة . أظهرت التنقيبـــات بأن مدن كنعان في هذه الفترة لم تكن مدنا منتظمة من النوع الذي نعرفه فـــي التـــاريخ التالي . كانت تلك المدن – بشكل رئيس – معاقل إدارية خاصـــة بالنخبـــة ، لإســـكان الملك وعائلته ، وحاشيته الصغيرة من الموظفين الإداريين ، مع جماعات من الفلاحين يعيشون – بشكل متناثر – في قرى صغيرة في أنحاء الريف المحيط بتلك المعاقل . " (**فينكلشتاين ، التوراة اليهودية مكشوفة على حقيقتها ، ص 114) .**

وهذا ما يراه (ناداف نعمان Nadav Na'aman) في أورشالم حيـــث يقول : " " إن أورشالم عبدي هيبة ، لم تكن إلا مقرا إداريا تقيم فيه نخبـــة حاكمـــة تدير شؤون عدد قليل من القرى الزراعية والجماعـــات الرعويـــة . " " (**فـــراس السواح ، القدس أورشليم العصور القديمة ، ص 182) .**

وعلى الأغلب ، فإن كثيرا من هذه المدن لم تكن لها تحصينات ، وقليل منها شبه محصنة ، بحيث أنها لا تستطيع رد مجموعة صغيرة من غزاة قطعان

الماشية . وعدد محدود جدا من المدن كانت محصنة ، ويمكنها أن تقاوم بعض الغزاة ، ولكن لفترة قصيرة .

وهناك من يعزو ذلك إلى وجود الحاميات المصرية في هذه المدن ، وأنها هي التي كانت تتولى حماية هذه الممالك ، وتحل نزاعاتها الداخلية ، ومع بعضها البعض . ولذلك لم تكن في حاجة إلى مثل هذه الأسوار الحصينة . كما يذهب البعض إلى القول بأن فقر هذه الممالك التي كانت تدفع الضرائب العالية إلى الحكومة المصرية ، ومصاريف إقامة أفراد الحاميات المصرية فيها ، أبقى هذه الممالك فقيرة غير قادرة على إنشاء الحصون والقلاع ، ولا حتى على إنشاء بعض النصب التذكارية في أراضيها .

وهناك إشارات واضحة في رسائل تل العمارنة ، تؤكد لنا فقر وضعف وتفكك المدن الممالك الفلسطينية الكنعانية بشكل عام . ففي أحد هذه الرسائل ، وهي مرسلة من (عبدي خيبا) ملك أورشالم نراه يطالب بحامية مصرية مؤلفة من (50) جنديا لحماية الأرض . وأخرى مرسلة من ملك مجدّو يطلب فيها من فرعون إرسال مائة جندي لحراسة المدينة من هجوم محتمل من جاره ملك شكيم .

كما تبين لنا هذه الرسائل أن الحقد والحسد والطمع كان يسود هذه الممالك . وأن كلا منها كان يضمر الشر لجاره ، وينتهز الفرصة المناسبة للانقضاض عليه ، واستلاب أرضه وأمواله .

فمثل هذه الصورة القاتمة البائسة ، التي كانت تعيشها الممالك الفلسطينية الكنعانية ، كانت على النقيض تماما مما صورتها عليه مرويات العهد القديم .

علم الآثار ومصداقية عهد يشوع :

لقد كان لعلم الآثار الحديث دور كبير في إثبات بطلان كثير من ادعـاءات العهد القديم عن غزوات يوشع عليه السلام . وكانت مدينـة أريحـا مـن أكثـر وأوضـح الأدلة الأثرية على ذلك .

هناك دلائل أثرية حاسمة تؤيد أن المدينة قد دمرت في بداية القرن الثالـث عشر ، ق. م. ولا شك في أن ذلك قد حصل قبل مجيء بني إسرعيل إليها .

ويعلق فينكلشتاين على ذلك فيقول :

" كانت مدن كنعان غير محصنة ، ولم يكن لها أسوار يمكنها أن تسقط . فـي حالة أريحا ، ما كان هناك أي أثر لأي مستوطنة من أي نوع في القرن الثالث عـشر ق. م. ، وكانت المستوطنة الأقدم – والتي تعود للعصر البرونزي المتأخر ، أي القـرن الرابع عشر ق. م. – مستوطنة صغيرة وفقيرة ، وتافهة تقريبا ، وغير محـصنة . لـم يكن هناك – أيضا – أي علاقة تدل على حدوث عملية تدمير . لذا ، فـإن المـشهد المشهور للقوات الإسرعيلية التي زحفت حول البلدة ، وأحاطت بها ، يتقـدمها تـابوت العهد ، ثم إحداث انهيار لأسوار أريحا الهائلة بواسطة نفخ أبواق حرب الإسرعيليين لـم يكن – ببساطة – سوى سراب رومانسي . " **(فينكلشتاين ، التـوراة اليهوديـة مكشوفة على حقيقتها ، ص 119) .**

وإذا كان (جارستانج Garstang) قد أعلن أنه وجد شواهد كثيرة تؤكـد تدمير أريحا زمن يشوع حسب ما يدعي ، فقد جاءت بعده (كـاثلين كنيـون K. Kenyon عالمة الآثار البريطانية ، وأثبتت حفرياتهـا أن ادعـاءات جارسـتانج عارية عن الصحة تماما ، " ولم يناقضها في ذلـك أحـد حتـى الآن . . . . وأن أريحا خلال العصر البرونزي الأخير لم تكـن مسوّرة وكانـت مهجـورة خـلال

الجزء الأكبر منه . . . . " (**محمود أبو طالب ، آثار الأردن وفلسطين في العصور القديمة ، ص 74**) .

وبما أن سقوط أسوار أريحا من قرع الطبول ، يعتبر سببا مقبولا عند من لا يريدون معرفة الحقيقة ، وحتى يخرجوا من هذا المأزق ، فقد وجدوا له الجواب المناسب كما تقول كنيون : " أنه بينما كان الإسرعيليون يحيطون بالمدينة وقع زلزال سبب ما حصل ، وهذا ما فسره الإسرعيليون بأنه تدخل يهوه لصالحهم . " (**كنيون ، الكتاب المقدس والمكتشفات الآثارية الحديثة ، 48**) .

وفي (عاي) فقد أثبت علم الآثار أيضا أن هذه المدينة ، في الوقت الذي يُدعى فيه أنه تم غزوها ، كانت شبه مهجورة وخالية من الاستيطان ، كما يقول فينكلشتاين: " لم يتم اكتشاف حتى شقفة فخارية واحدة ، أو أي إشارة أخرى تدل على وجود استيطان هناك في العصر البرونزي المتأخر ، وأنتجت التنقيبات المجددة ، التي أعيد إجراؤها وجرت في الموقع في الستينات ، الصورة نفسها . مثل أريحا ، لم يكن هناك استيطان في (عاي) وقت غزوها المفترض من قبل بني إسرعيل . " (**فينكلشتاين ، التوراة اليهودية مكشوفة على حقيقتها ، ص 120**) .

ويرى مالمات أن موضوع احتلال (عاي) قد فجر معضلة ، لا زالت أحداثها تتفاعل ، فمن رأيه أنه :

" كان يجب تحديد موقع هذه المدينة في بيت أون الواقعة على بعد 2 كم شرقي بيت إيل . ويلاحظ أن اسمها شأنه شأن الاسم " عاي " يشير إلى مكان خرب . بيد أن الحفائر هناك أثبتت أن هذا الموقع كان خربا قبل قدوم الغزاة من بني إسرعيل بحوالي 1000 عام ، وإلى الآن لم يجد الباحثون إجابة شافية على هذه المعضلة التي

حاول البعض تجاوزها بأساليب وطرق غير مقنعة . " (**مالمات ، العبرانيون وبنو إسرعيل في العصور القديمة ، ص 138**) .

أما كنيون فترى أن المدينة " قد أصبحت دون أهمية في نهاية العصر البرونزي المبكر وقبل نهاية الألف الثالثة قبل الميلاد . " (**كنيون ، الكتاب المقدس والمكتشفات الآثارية الحديثة ، ص 54**) .

أما جبعون (الجيب) حاليا ، فموضوعها مستغرب جدا ، حيث أن التنقيبات الآثارية أظهرت أنه " لم تكتشف أدلة أو آثار تفيد إعمار هذه الأماكن اعتبارا من القرن الثالث عشر قبل الميلاد . " (**مالمات ، العبرانيون وبنو إسرعيل في العصور القديمة ، ص 139**) .

وكذلك يقول فينكلشتاين : " لقد كشفت التنقيبات في التل الواقع في قرية (الجيب) شمال أورشالم (القدس) والذي أجمع العلماء على أنه موقع جبعون التوراتي ، عن بقايا من العصر البرونزي المتوسط ، ومن العصر الحديدي ، لكن لا شيء يرجع للعصر البرونزي المتأخر . " (**فينكلشتاين ، التوراة اليهودية مكشوفة على حقيقتها ، ص 120**) .

وينقل أبو طالب عن (بريتشارد) قوله أنه لم تكن هناك مدينة في الجيب (جبعون) معاصرة ليشوع عليه السلام : " " ليس هناك شك بناء على أفضل ما يتوفر من شواهد أنه لم يكن هناك مدينة في (الجيب) معاصرة ليشوع . " " (**محمود أبو طالب ، آثار الأردن وفلسطين في العصور القديمة ، ص 75**) .

وكذلك الأمر بالنسبة للمدن الأخرى التي يدعي خطاب العهد القديم أن يوشع عليه السلام قد دمرها . فمنها ما كان قد دمر من قبل ، ومنها ما كان شبه مهجور سكانيا ، اللهم إلا من بيوت محدودة العدد جدا .

حقا ، لقد وجدت آثار تدمير وخراب في نهاية العصر البرونزي الأخير فــي فلسطين ، في كثير من المدن . ففي أشدود كان التدمير واضحا بحرقها بالنار .

وفيما يتعلق بمدينة حازور (حاصور) فقد دمرت في أواخر القرن الرابع عشر قبل الميلاد ، وربما في 1300 ق. م. " ولكن سرعان ما أعيد بناؤها دون تغيير بمخططها في الغالب ، ولكن المباني كانت بسيطة ، ومرة أخرى دمرت هذه المدينة كما هو واضح بعد فترة قصيرة وحرقت بعنف . " (**كنيون ، الكتاب المقدس والمكتشفات الآثارية الحديثة ، ص 54**) .

وعلى السهل الساحلي ، فقد دمرت مدينة أفيق بنار رهيبة . وعن (دبير ولخيش) يقول أولبرايت :

" . . . وتنتشر في كل المكان آثار تدمير عنيف بسبب الحريق الذي تعرضت له آخر مدينة كنعانية في هذا الموقع (الذي يحتمل أن يكون بلدة دبير المذكورة في يشوع 10 : 39) على يد الغزاة الإسرعيليين . وقد تسبب حريق مدمر مماثل في القضاء المبرم على لخيش المعاصرة لها . . . . " (**وليم أولبرايت ، آثار فلسطين ، ص 109**) .

أما مجدّو ، فقد احترقت في النيران ودفن قصرها تحت ستة أقدام من حطام الطابوق المحترق .

ويعلق فينكلشتاين على ما حدث في هذه المدن الأخيرة ، فيقول :

" ملوك كل هذه المدن الأربع حاصور ، أفيق ، لخيش ، ومجدّو ، ذكر بأنهم هزموا على أيدي الإسرعيليين تحت قيادة يشوع ، لكن الأدلة الآثارية تظهر بأن دمار تلك المدن حدث على أكثر من قرن . الأسباب المحتملة لذلك الدمار هي : إما عمليات

غزو ، أو انحلال اجتماعي ، أو حروب أهلية ، أي أنه لم تقم بذلك الدمار قوة عسكرية وحيدة ، وبالتأكيد ، لم يتم ذلك الدمار خلال حملة عسكرية واحدة . " (**فينكلشتاين** ، **التوراة اليهودية مكشوفة على حقيقتها ، ص 130**) .

ونتيجة لذلك التدمير والحرق الذي كانت آثاره واضحة على المـدن الفلسطينية ، وبعد القيام بعدة حفريات ، والاطلاع على عـدة دراسـات استنتـج (جوزيف كالاوي J. Gallaway) أنه :

" " بعد استعراض جميع الوثائق الأركيولوجية من المواقع الفلسطينية التي أوردها سفر يشوع ، لا أعتقد بأننا نستطيع القول بأن الغزاة الإسرعيليين قد استولوا على المناطق الهضبية والجليل بعد معارك عسكرية خاطفة ، على ما يرويه لنـا سفـر يشوع . وأن الشواهد الأركيولوجية غير مقنعة وتتعارض في معظمها مع الرواية التوراتية ، إلى درجة لا يستطيع معهـا أنصار نظرية الفتح العسكري إقناعنا بها إلا بواسطة الإيمان الأعمـى . " " (**فراس السواح ، تاريخ أورشليم ، ص 22**) .

ومهما يكن الأمر ، فإن القرآن الكريم قد حسم هذا الجدال بتأكيده أن الذي عبر النهر هو طالوت (شاؤول) ، وليس يوشع (يشوع) عليه السلام . ولهذا فإن كل حديث عن غزو يوشع العسكري يعتبر مضيعة للوقت والجهد .

وهكذا ينفرط عقد الإجماع في قصة الغزو العسكري الإسرعيلي للأراضـي الفلسطينية غربي النهر على يد يوشع عليه السلام ، ولا يبقى إلا أن نقر ونعترف بأن مثل هذه القصص ما هي إلا أساطير لفقها كتبة العهد القديم لغاية في نفس يعقوب .

العلماء ونقض نظرية الغزو اليشوعي العسكري :

يعتبر وليام فوكسويل أولبرايت William Foxwell Albright رائد نظرية الغزو العسكري الإسرعيلي لأراضي كنعان ، وقد ادعى أن التدمير الذي حصل في المدن الفلسطينية لم يكن إلا بفعل غزو واحتلال خارجي قضى على المجتمعات السكانية الفلسطينية في تجمعاتهم المدنية . وقد ظهر ذلك واضحا في كتابه الذي نشر سنة 1940م تحت عنوان (تاريخ إسرعيل القديم) .

وقد قام أولبرايت وهو عالم آثار أمريكي بكثير من التنقيبات الآثارية في عدة مناطق من فلسطين ، وألف كتابا بعنوان (آثار فلسطين) ، وقد بنى أفكاره على ما تم اكتشافه ومعرفته في زمنه . ولا ينفي ذلك كونه منحازا إلى الجانب الإسرعيلي في كثير من آرائه ونظرياته .

ولكن فيما بعد ، ظهرت اكتشافات حديثة ، نقضت كثيرا من النظريات التي كانت سائدة في الماضي عن الصراع الفلسطيني الإسرعيلي القديم ، ومنها نظرية يشوع العسكرية لغزو فلسطين .

ويعلق (كيث وايتلام) على استنتاجات أولبرايت ، فيقول : " وما يثير السخرية أن المكتشفات الأثرية الحديثة ذاتها ، من الحفريات والدراسات الاستطلاعية في المنطقة ، هي نفسها التي قوضت بشكل كامل رواياته المختلفة للماضي . " (**كيث وايتلام ، اختلاق إسرعيل ، ص 153**) .

وقد حاول كل من (ألبرخت آلت Albrecht Alt) و (ويبرت M. Weippert) إثبات أن قصص يشوع ما هي إلا عبارة عن أساطير وقصص أبطال ، جمعت من مناطق مختلفة ، وتم تأليفها عبر القرون في قصة (يشوع) ، وبالتالي فهي لا تمت إلى الواقع بصلة .

ولو تصفحنا القصص الشعبي لمختلف الشعوب على مر التاريخ ، لرأينا أن كل شعب له في قصصه الشعبي ما يتحدث عن البطولة والشجاعة والمثابرة .

والانتصارات الباهرة ، لأحد قادته التاريخيين ، وقد أحاطه بهالة من التقديس والإثارة والمبالغة والاحترام ، وقد يكون هذا القائد حقيقة ، لكنها مبالغ فيها ، أو أسطورة لا تمت إلى الواقع بصلة ، ولكن محدثي تاريخ ذلك الشعب قد أبرزوا هذه القصة أو القصص الخيالية ليقدموها إلى أبناء شعبهم ، ليفخروا به ، ويحثوهم على الاقتداء بهذه الشخصية التي قد لا يكون لها وجود أصلا .

ونحن الآن أمام سفر يوشع عليه السلام ، ونحن نعلم أن يوشع نبي من أنبياء الله تعالى ، ولكننا نعتبر ما جاء في العهد القديم عنه إنما هو من قبيل الأساطير ، وذلك للأسباب التالية :

1- إن يوشع عليه السلام رسول من رسل الله تعالى وأنبيائه ، وتاريخ الأنبياء ابتداء من آدم عليه السلام ، وانتهاء بمحمد صلى الله عليه وسلم ، مليء بقصص العدل والرحمة والمعاملة الحسنة ،والبعد عن الحرق والتدمير والقتل وسفك الدماء ، حتى والتنكيل بالأعداء ، ولهذا فإننا نستبعد كل البعد أن يكون يوشع عليه السلام قد قام بمثل هذه الأعمال .

2- لقد أوضح القرآن الكريم بما لا شك فيه ، أن الذي عبر النهر إلى الأرض المقدسة هو طالوت (شاؤول) ، وليس يوشع عليه السلام ، الذي بقي مع بني إسرعيل شرقي النهر ، حتى توفاه الله تعالى .

3- إذا كان يوشع عليه السلام قد تولى أمر بني إسرعيل بعد موسى عليه السلام مباشرة ، وبعد خروجهم من التيه ، عطشى ، جياعا ، مرضى ، فقراء ، لا غنم ولا بقر لهم ، ولا سيف ولا رمح ، ولم يكونوا إلا مجموعة صغيرة جدا ، فكيف

يمكنهـــم وفي خلال عدة شهور ، أن يكونوا بمثل هذا العدد والقوة التي وصفهم بها سفر يشوع ؟ إن هذا يتطلب عدة عقود من الزمن . يقول (مالمات) في ذلك :

" كيف استطاع بنو إسرعيل أن يحتلوا فلسطين عسكريا ؟ إن الأمر حقا يثير الدهشة والاستغراب معا . فكيف تمكنت أسباط بني إسرعيل الصاعدين من البرية مفتقدين إلى الخبرة والدراية العسكرية اللازمة لهم ، ويعانون من نقص الموارد والعتاد اللازمين ، أن يتغلبوا على أعدائهم الكنعانيين أصحاب التاريخ العسكري الطويل والمعرفة التكنولوجية الراقية والمتطورة ، الذين يشيدون القلاع المحصنة . . . . " (**مالمات ، العبرانيون وبنو إسرعيل في العصور القديمة ، ص 148) .**

4- ما أثبتته المكتشفات الآثارية من أن التدمير الذي حصل لبعض المدن الفلسطينية ، قد وافق بعضه عهد يوشع عليه السلام ،وبعضه قبل ذلك بعدة قرون ، وآخر بعد ذلك ، مما يعني أن التدمير كله لم يكن في فترة زمنية واحدة ، إنما يمتد على فترة أطول من تلك التي تولى فيها يوشع عليه السلام قيادة بني إسرعيل .

5- إن التدمير الذي حصل في بعض المدن الفلسطينية ، نتيجة لعوامل أخـــرى غير الغزو العسكري اليشوعي المزعوم ، لا بد وأن يكون قد علم به كتبة العهد القديم في القرن السابع قبل الميلاد،وأن ذلك السفر قد تم تأليفه في تلك الفترة ، التي كانت تتطلب إيجاد قصة بطولية ،تعيد إلى بني إسرعيل ذكرياتهم عن الماضي، وتبث فيهم روح الحنين والنخوة والتغني بالأمجاد ، فكانت هذه القصة الأسطورة التي تتفق مع الآمال والطموحات الإسرعيلية في تلك الفترة . فمثل هذه الأساطير : سقوط أسوار أريحا ، ووقوف الشمس بلا حراك في جبعون ، وحشر الملوك في مغارة وغلقها بحجر ، وغيرها ، هي بلا شك ما كان شعب إسرعيل في غربته بحاجة إليه .

الفصل السابع

أسطورة المملكة الإسرعيلية المتحدة

داود وسليمان عليهما السلام أنبياء الله :

تعتبر قصة داود وسليمان عليهما السلام ومملكتهما المزعومة ، من القصص التوراتية الأسطورية ، التي يتحدث عنها العهد القديم كثيرا ، وأنه كان لهما دور أساسي في تاريخ إسرعيل القديم المزعوم . ويرى إسماعيل الصمادي أن المملكة المتحدة هي من أكبر الأساطير في العهد القديم ، وهي التي صنعت تاريخ بني إسرعيل بعد التهجير البابلي **(اسماعيل الصمادي ، نقد النص التوراتي ، ص 65)** .

ويقوم كتاب العهد القديم بسرد قصص أنبياء الله تعالى الذين حكموا هذه المملكة المتحدة المزعومة ، ليس على أساس أنهم أنبياء الله تعالى يدعون إلى توحيده ، بل على أساس أنهم ملوك عاديون ، وإلا لما لفّق لهم العهد القديم تلك الحكايات اللاأخلاقية – على أقل تعديل – ، كقصة زواج داود عليه السلام من زوجة قائده الحثي ، ثم تآمره على قتله . وأنه لما شاخ عليه السلام وكانوا يدثرونه فلا يدفأ ، جاءوا إليه بفتاة عذراء لتكون له حاضنة وتضطجع في حضنه فيدفأ .

وسليمان عليه السلام الذي تزوج من المئات غير السراري ، وأنه أرهق الشعب بضرائبه ليصرف على ملذاته ، وغيرها من القصص التي لا تليق بمقام الأنبياء .

فمثل هذه القصص التي لا تتفق مع مقام الأنبياء الذين يوحى إليهم ، تتعامل القصص الكتابية معهم على أنهم أناس عاديون . ومع أن العهد القديم يركز

على مثل هذه الادعاءات ، إلاّ أنه كثيرا ما يوجد لها التبرير المناسب ، حيث يستخدم المنطق اللاهوتي ، وليس التاريخي لتبرير مثل هذه الأفعال غير الموجودة أصلا .

إننا لو أردنا أن نطبق مقياس التاريخ ، أو الآثار على هذه الشخصيات وأفعالها ، لأنكرنا وجودها أصلا ، لعدم وجود أي أثر مادي كبير يدل عليهم ، ولكن مع يقيننا بأن هذه الشخصيات هي من الحقائق دينيا وتاريخيا ، فأن ما جاء به العهد القديم بحق هـذه الشخصيات غير صادق ، وغير تاريخي .

ولو نظرنا إلى هذه الشخصيات من وجهة النظر الدينية الإسلامية ، والتي تحدث عنها القرآن الكريم أكثر من مرة ، ولكن بمنطق مخالف تماما لما جاءت به في مرويات العهد القديم لوجدناه منطقا دينيا بغلاف تاريخي ؛ ولهذا جاء الخطاب القرآني عند الحديث عنهم صادقا ومتوازنا .

المملكة قبل داود عليه السلام :

بعد انتهاء فترة عهد القضاة والتي تقدر بمائة وثلاثين سنة تقريبا ، بما فيها من ظلم وشرك وقتال ، وردة عن ديانة التوحيد ، لجأ بعض بني إسرعيل الموحدين إلى النبي صموئيل ليختار لهم ملكا يحكم عليهم ، فكان أن اختار لهم طالوت (شاؤول) ملكا . قال تعالى : " **ألم تر إلى الملأ من بني إسرعيل من بعد موسى إذ قالوا لنبي لهم ابعث لنا ملكا نقاتل في سبيل الله . . . .** " **البقرة 246** .

فكان أن تم اختيار طالوت (شاؤول) ملكا على بني إسرعيل ، وهم لا يزالون شرقي النهر . قال تعالى : " **وقال لهم نبيهم إن الله قد بعث لكم طالوت ملكا قالوا أنى يكون له الملك علينا ونحن أحق بالملك منه ولم يؤت سعة من المال قال إن الله اصطفاه عليكم وزاده بسطة في العلم والجسم والله يؤتي ملكه من يشاء والله واسع عليم .** " **البقرة 247** .

واستمر طالوت مع بني إسرعيل فترة من الزمن شرقي النهر ، إلى أن أمر الله تعالى بني إسرعيل بعبور النهر إلى الأرض المقدسة . قال تعالى : " **فلما فصل طالوت بالجنود قال إن الله مبتليكم بنهر فمن شرب منه فليس مني ومن لم يطعمه فإنه مني إلا من اغترف غرفة بيده فشربوا منه إلا قليلا منهم . . . .** " **البقرة 249 .**

ولما تجاوز طالوت ومن معه من **المؤمنين** من بني إسرعيل وغيرهم ، وهم قلة ، تجاوزوا نهر الأردن ، كان معهم داود عليه السلام ، وجدوا الشعب الفلسطيني ينتظرهم على الجانب الآخر من النهر بقيادة (جالوت) الفلسطيني . قال تعالى : " . . . **فلما جاوزه هو والذين آمنوا معه قالوا لا طاقة لنا اليوم بجالوت وجنوده قال الذين يظنون أنهم ملاقوا الله كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله والله مع الصابرين . " البقرة 249 .**

وحدث قتال بين طالوت ومن معه من المؤمنين ، كما يقول الله تعالى ، وبين الفلسطيني جالوت وجنوده ، وكانت الغلبة لطالوت وجنوده ، بعد أن قتل داود عليه السلام جالوت . قال تعالى : " **ولما برزوا لجالوت وجنوده قالوا ربنا أفرغ علينا صبرا وثبت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين . فهزموهم بإذن الله وقتل داود جالوت وآتاه الله الملك والحكمة وعلمه مما يشاء ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض ولكن الله ذو فضل على العالمين . " البقرة 250 ، 251 .**

وهكذا ، دخل طالوت وبنو إسرعيل والمؤمنون معهم ، الأرض المقدسة ، وعلى الأغلب فإن دخولهم كان من منطقة أريحا ، واستمروا في حلهم وترحالهم من مدينة إلى أخرى حتى استقروا في (حبرون) ، وقيل في بيت لحم .

وفي زمن طالوت (شاؤول) كانت هناك مملكة إسرعيلية واحدة ، تجمع من بقي من بني إسرعيل ، ومن تبعهم على ديانتهم التوحيدية . وبالطبع فهي مملكة

صغيرة تشبه تلك الممالك التي كانت قائمة في حينه . وليس هناك ما يثبت تاريخيا أنها. وصلت في حدودها إلى السامرة .

يقول (دوغلاس ريد) عن مملكة طالوت وقد أطلَق عليها لقب (المتحـــدة) : " هذا وقد استمرت مملكة إسرعيل المتحدة فقط خلال حكم " شاؤول " ملكهم الأول والأخير . " (**دوغلاس ريد ، جدل حول صهيون ، ص 16**) . ويضيف قائلا : " ومع موت (شاؤول) قبل 3000 عام اختفت الدولة الموحدة وانتهت . لقد رفضت إسرعيل قبول الملك اليهـــودي (داود) . وفي هـــذا الخصـــوص كتـــب (كاستين) : ولم تعره باقي إسرعيل اهتمامها". وأعلنت (ابن شاوول إيشبوشت) ملكا عليها مما أدى إلى انقسام تام بين بني إسرعيل ويهودا . " (**دوغلاس ريد ، جدل حول صهيون ، ص 17**) .

وبعد وفاة طالوت (شاؤول) ، تولى حكم بني إسرعيل داود عليه السلام ، وكان لا يزال في حبرون ، التي كانت في ذلك الوقت مدينة تجارية مزدهرة نوعا ما ، أكثر من أورشالم .

ميراث بني إسرعيل المزعوم :

لو رجع المرء قليلا إلى الوراء لوجد أنه بعد وفاة موسى عليه السلام تولى أمر بني إسرعيل يوشع عليه السلام ، الذي يزعم العهد القديم أنه خاض كثيرا من الحروب مع الممالك التي كانت قائمة في عهده ، واستطاع الانتصار عليها ، وأنها لا تكاد تذكر واقعة واحدة انهزم فيها يوشع هو ومن معه ، في الوقت الذي كان فيه بنو إسرعيل في ذلك العصر أقل الشعوب عددا ، وتسليحـــا ، وحضارة . ولكن كُتّاب العهد القديم أرادوا أن وضع جماعة بني إسرعيل على رأس قائمة شعوب المنطقة ، وأقواها وأعظمها حضارة كذبا وزورا .

وكانت نتيجة هذه الحروب اليشوعية ، أن احتل معظم أراضي فلسطين ، شرقي النهر وغربه،ثم قام بتوزيع هذه الأراضي بين ما يدعى (أسباط إسرعيل) ، كما جاء في التوراة : " والآن اقسم هذه الأرض ملكا للتسعة الأسباط ونصف سبط منسي . معهم أخذ الرأوبينيون والجاديون ملكهم الذي أعطاهم موسى في عبر الأردن نحو الشروق . . . . " وغيره ، يشوع / الإصحاحات 13 – 22 .

وكما يستدل من ذلك التوزيع نجد أن الهضاب الوسطى منطقة (السامرة) كانت مــن نصيب منسّى وأفرايم ، ومنطقة الهضاب الجنوبية (يهوذا وأورشالم) كانت من نصيب بنيامين ويهوذا .

ومنطقة شرقي النهر ، من جنوبي بحيرة كنروت (طبرية) حتى شمالي بحر العربة (البحر الميت) كان من نصيب جاد ورأوبين ونصف سبط منسي .

وكما يظهر ، فإن يوشع عليه السلام قد قسم الأرض بين الأسباط قبل أن يصبح طالوت (شاؤول) ملكا . ويقينا فإن كل ذلك من أساطير العهد القديم ، لأن يوشع لم يقطع النهر أبدا ، وأن شاؤول حتى بعد اجتيازه النهر ، لم يحتل هذه المساحة الشاسعة من أراضــي فلسطين . ولهذا فنحن مع الذين يرون أن سفر يوشع بكامله في العهد القديم هو سفر قد تم إلحاقه بالعهد القديم زورا وبهتانا .

وعل كل ، فإنه حسب الرواية التوراتية ، بعد أن تولى طالوت (شاؤول) حكم بني إسرعيل بقي الأسباط المزعومون في الأراضي المخصصة لهم ، ولكن بعد وفاة طالوت حصل الانقسام في المملكة التي أنشأها كما تقول التوراة . يقول العهد القديم : " وأما أبنير بن نير رئيس جيش شاول فأخذ إيشبوشت بن شاول وعبر به إلى محنا يم وجعلــه ملكا على جلعاد وعلى الأشوريين وعلى يزرعيل وعلى أفرايم وعلى بنيامين وعلى كل إسرعيل . " صموئيل الثاني 2 : 8 ، 9 .

وكما نرى فإن معظم أراضي الأسباط كان يحكمها (إيشبوشت) ابن شاول ، وأن داود عليه السلام قد انحصر ملكه في قسم من منطقة المرتفعات الجنوبية (حبرون وما جاروها) .

وهكذا فإن المملكة التي كانت متحدة في زمن طالوت (شاؤول) ، قد انقسمت بعد أن تولى داود عليه السلام الملك ، وأصبحت هناك مملكتان ، الأولى في وسط وشمالي فلسطين ، والثانية في المرتفعات الجنوبية منها .

وعن صفات المملكة الجنوبية ، يقول (ريد) : " ومنذ أيامها الأولى تميزت القبيلة اليهودية بمزايا غريبة . لقد كانت دائما منعزلة وعلاقاتها سيئة مع جيرانها ، ويغمر الغموض جذورها وأصلها . . . . " **(دوغلاس ريد ، جـدل حـول صهيون ، ص 14)** .

ويقول أيضا : " وعلى أي حال يتفق الباحثون في أيامنا مع الكتابات القديمة على أن (إسرعيل) – التي يرى أنها تكونت في المرتفعات الوسطى – و (يهوذا) كانتا قبيلتين منفصلتين تماما . وفي كتاب العهد القديم غالبا ما يطلق على إسرعيل اسم (بيت يوسف) وعلى يهودا (بيت يهودا) مؤكدا بذلك انعزالهما عن بعضهما بعضا ."**(دوغلاس ريد ، جدل حول صهيون ، ص 15، 16)** .

وحصل قتال بين جيش إيشبوشت بقيادة (أبنير بن نير) ، وبين جيش داود بقيادة (يوآب ابن صروية) في (جبعون) ، وقد وصف العهد القديم ذلك القتال فقال: " وكان القتال شديدا جدا في ذلك اليوم وانكسر أبنير ورجال إسرعيل أمام عبيد داود . " صموئيل الثاني 2 : 17 .

واستمرت الحرب بين البيتين (بيت داود ، وبيت شاؤول) : " وكانت الحرب طويلة بين بيت شاول وبيت داود وكان داود يذهب ويتقوى وبيت شاول يذهب ويضعف . " صموئيل الثاني 3: 1 .

وهكذا ، وحسب مرويات العهد القديم فقد كان في فلسطين بعد وفــاة شاؤول مملكتان : الأولى إسرعيل ويحكمها إيشبوشت ابن شاول ، وبيته مــن بعــده . والثانية مملكة يهوذا (أورشالم) ويحكمها داود عليه السلام .

وحتى يوطد داود عليه السلام حكمه ، كان لا بد له من القضاء على مملكــة إسرعيل في حينه ، وإعادة توحيد المملكتين في مملكة واحدة (مملكة إسرعيل المتحدة) وهكذا كان ، وقد نجح في ذلك نجاحا باهرا ، بل وتوسعت هذه المملكة إلى خارج حدود فلسطين ، حسب رواية العهد القديم المزعومة .

ولكن السجلات التاريخية ، والتنقيبات الآثارية ، لا تثبت شيئا مــن هــذه الادعاءات . ومن الذين أنكروا ذلك (دوغلاس ريد) الذي يقول : " ولكن في حقيقة الأمر لم يتمكن (داوود) من توحيد الدولة ولا القبيلة . فقط كل ما تمكن من القيام به هو إنشاء خلافة عائلية للحكم . " (**دوغلاس ريد ، جدل حول صهيون ، ص 17**) . وقد سبق أن أوضحنا أن الأسباط ما عادت لهم قائمة بعد التيه ، وأن هذا الموضوع قد مضى وانقضى . وأن الذي اجتاز نهر الأردن هو طالوت مع من آمن معه ، وليس يوشع عليه السلام ، وما كانت مملكة شاؤول إلا كما قال عنهــا هيرمان Herrmann :

" " عندما أصبح شاؤول ملكا،لم تكن المنطقة التي سيطر عليها لها حدود واضحة ، ولم تعترف به إلا مجموعة من القبائل التي لا نعرف عنها إلا القليل للأســف . كانــت (مملكة) شاؤول دولة قومية بالمعنى الحقيقي لهذه الكلمة . وكانت سيطرته على عشائر وقبائل ترجع إلى أصل واحد ، ولم تكن في الوقت ذاته دولة إقليمية لها حدود معروفة وإدارة مستقلة . " " (**كيث وايتلام ، إختلاق إسرعيل القديمة ، ص 228** .

وبعد وفاته ساد الاضطراب أحوال بني إسرعيل ، حتى بعث الله تعالى داود ملكا. ولهذا نرى أنه عندما تولى داود الحكم ، كان بنو إسرعيل يسودهم الانقسام ، والفوضى ، ولكن داود عليه السلام استطاع أن يوحدهم ويجعل منهم مملكة ليست لها إثنية محددة ، وإنما في أغلبها دين واحد .

مملكة داود عليه السلام :

ظهر داود عليه السلام في نهاية القرن الحادي عشر قبل الميلاد . وفي ذلك الوقت كانت فلسطين تضم عددا كبيرا من الممالك الفلسطينية ، حيث أن كل مدينة كانت تشكل مملكة على رأسها حاكم أو أمير (ملك) ، وعلى الأغلب كانت تعيش ضمن أسوار تحميها من مباغتة الأعداء لها ،وإن أُطلِق جزافا على حكام هذه المدن اسم (ملك) فهم أقرب إلى (شيوخ) القبائل منهم إلى (ملوك) .

وعليه ، يجب أن لا نذهب بعيدا في تفسير مدلول لقب (ملك) في الأراضي الفلسطينية في ذلك العصر ، عصر البرونز الأخير ، وعصر الحديد الأول . ومع أننا لا نتفق مع ما جاءت به المرويات التوراتية تماما ، فقد ذكرت أسمـــاء (واحد وثلاثين) مملكـــة (يشوع 12 : 7 – 24) خاض معها يشوع حربا غربي النهر . وليس من المستبعد أن تكون هناك إحدى وثلاثين مملكة غربي النهر ، ولكن من المستحيل أن يكون يوشع قد خاض حربا معها جميعها . هذا بالإضافة إلى عشرات الممالك التي لم يذكر اسمها .

وإذا كان هذا هو الوضع السائد لما يسمى بـــ (مملكة) في عصر داود عليه السلام ، فلا شك أن مملكته لم تكن لتزيد عن ذلك الوصف .

ولكن رواية العهد القديم ، وجريا على عادته في تضخيـم الأمور وتعقيد الأحداث ، يرى أن مملكة داود عليه السلام كانت مملكة بل (إمبراطورية) لم توجد مثلها في المنطقة قط حتى تاريخه .

ومن الواضح جدا أننا إذا بحثنا عن هذه المملكة خارج العهد القديم ، لما وجدنا أي سجل أثري ، أو تاريخ يدعم ما جاء به ذلك الكتاب .

لقد تحدث عن داود وسليمان عليهما السلام ، وعن مملكتهما كثير من العلماء والمؤرخين ، فمنهم من أيد مثل هذه المملكة ، أمثال هيرمان Herman ، وفون راد Von Rad ، ومايرز Meyers ، وغيرهم . ومنهم من انتقد رواية العهد القديم عن هذه المملكة ، ولم ير فيها إلا أسطورة غير قابلة للتصديق ، استوحاها كتبة العهد القديم من أساطير ملوك الدول الأخرى . ومن هؤلاء توماس طومسن T. Thompson ، وفيليب ديفز P . Davies ، وغاربيني Garbini ، وفينكلشتاين I. Finkelstein ، وكيث وايتلام K. Whitelam ، غيرهم .

ونحن معشر المسلمين نرى أن وجود داود وسليمان عليهما السلام ، حقيقة لا جدال فيها ، ولكننا نرى أن ما تحدث به الخطاب التوراتي عنهما كان مبالغ فيه جدا ، مما أوجد بذور الشك عند بعض المؤرخين في وجودهما . وهذا ما جعل فينكلشتاين يقول عن سليمان عليه السلام : " إن قراءة بتدبر لوصف العهد القديم العبري لأيام سليمان تظهر – بوضوح – أن هذا الوصف تصوير لماض يتم تحويله لماض مثالي استثنائي ، وعهد مجيد . الروايات عن ثروة سليمان . . . وعن حريمه الأسطوري . . . هي تفاصيل أكثر مبالغة من أن تكون حقيقة فعلا . " (**فينكلشتاين ، التوراة اليهودية مكشوفة على حقيقتها ، ص 172 ،173**) .

ومن ناحية أخرى ، إذا كان داود وسليمان عليهما السلام ، كما يصفهمـا العهد القديم ، فلماذا لا نجد عنهما أي ذكر في السجلات المصرية ، أو العراقية ،

مهما كان الوضع السياسي الذي كان يسود المنطقة في ذلك العصر ؟ وإذا كان العهد القديم يصور لنا سليمان عليه السلام ، أنه قد بنى القصور الفخمة التي يعجز الوصف عن إدراكها ، فلماذا لم يبق منها شيء حتى الآن ؟ وليس من المعقول أن الذين جاءوا بعد سليمان عليه السلام – إن كانت بذلك الوصف – قد مسحوها عن وجه الأرض . فحتى الآن ، عجزت كل التنقيبات الآثارية التي جرت في أورشالم عن إيجاد ولو أثر بسيط عن ثروة سليمان عليه السلام المعمارية .

وإذا كان داود عليه السلام ، قد بدأ مملكته من حبرون (الخليل) قبل الألف الأول قبل الميلاد بعدة سنوات ، بعد مرحلة من التشرد والضياع واللصوصية والغزو والنهب كما يدعي العهد القديم ، عاشها في فلسطين لمدة تزيد عن عشرين عاما ، فإننا لا نجد ما يدعم هذا القول أيضا خارج مرويات العهد القديم .

ولهذا فإننا نرى أن داود عليه السلام ،منذ أن كان صغيرا كان راعي غنم ، وكان بعيدا كل البعد عن الأوصاف والأعمال اللصوصية التي وصفه بها العهد القديم .

ويمضي العهد القديم في تضخيمه وتعظيمه للأمور ، حين يقدر أن عدد المتجردين للقتال الذين جاءوا إلى داود عليه السلام ، إلى حبرون ليحولوا مملكة شاول إليه حسب قول الرب كان عددهم يزيد عن 346000 مقاتل ، في الوقت الذي يؤكد فيه المؤرخون أن فلسطين في ذلك العصر " كانت مأهولة بحوالي مائة مستوطنة مستقلة إلى حد كبير ، مجموع سكانهـا لا يزيد عن مائتي ألف نسمة . " **(طومسون ، التاريخ القديم للشعب الإسرعيلي ، ص 45) .**

فمن أين جاء العهد القديم بمثل هذه الأعداد ؟ وكم يلزم من الوقت لجمعهم ونقلهم إلى حبرون ؟ وكيف سيعيشون ويأكلون ويشربون . . . . الخ ؟

وفي هذا الوقت أيضا يرى العهد القديم أنه كانت هناك مملكة قائمة في المرتفعات الوسطى من فلسطين (السامرة) . وكان يحكمها (إشبعل) ابن شاول ، وكانت " لا تزال تعتبر نفسها كيانا متميزا ، والأرجح أن أهلها كانت تخامرهم مشاعر متناقضة إزاء الاستسلام لداود الذي كان يعتبر خائنا حتى عهد قريب . " **(كارين آرمسترونج ، القدس مدينة واحدة ، ص 80) .**

ولكن داود عليه السلام رغبة منه في إنشاء مملكة متحدة كبيرة ، تجمع بين الشمال (السامرة) ، والجنوب (حبرون) ، كان عليه أن يقضي على مملكة صغيرة تقع بين هاتين المملكتين ، ألا وهي مملكة (أورشالم) وفيها اليبوسيون . لهذا فكر باحتلالها وجعلها عاصمة مستقبلية للمملكة المتحدة ، وهكذا كان .

إن قصة الملك داود كما جاءت في الأسفار التوراتية ،تبين لنا أنه بعد احتلال (أورشالم) واتخاذها عاصمة لمملكته ، راح يعيش ويتصرف كالملوك العظام ، فابتنى الأسوار ، وتزوج الكثير من النساء ، وأعد الجيوش ، وخاض الحروب ، وقضى على كثير من الممالك التي كانت قائمة في عهده ، ولكن كل الشواهد الأثرية لا تدل على أن داود عليه السلام كان كما وصفه العهد القديم .

ومع هذا فقد اعتبر بعض المؤرخين أن تكوين داود عليه السلام هذه المملكة كان بداية لتاريخ إسرءيل الحق ، كما يرى سوغن Soggin الذي يقول : " " مع تكوين مملكة متحدة تحت حكم داود ، خرج تاريخ إسرءيل عن مجال ما قبل تاريخ التراث العقائدي والشعبي ، ودخل ميدان التاريخ الحق . " " **(كيث وايتلام ، إختلاق إسرءيل القديمة ، ص 208) .**

ولكن هذا الافتراض لا بد له من دلائل وبراهين قاطعة ،حتى يصبح تاريخا حقا ، وإلا فإنه سيبقى أساطير لا ترقى إلى مستوى التاريخ الحق ،وسيكون واحدة من القصص الخرافية الشائعة في العهد القديم .

وهناك من يرى أن داود عليه السلام ، قام بتكوين مملكة ليقف في وجه المد الفلسطيني العسكري ، الذي كان يهدد المنطقة بكاملها ، ويعتبر داود ومملكته السد الذي استطاع وقف الزحف الفلسطيني الذي كان بالتالي سيؤدي إلى السيطرة على المنطقة بكاملها وشعوبها ، بما فيهم بنو إسرعيل .

وإذا كان هذا ما يدعيه (آلت Alt) فلنا أن نتساءل ونسأله : إذا كان الفلسطينيون يشكلون قوة ساحقة في المنطقة ،هل كان باستطاعة داود عليه السلام ، والذي لا يوجد ما يؤكد على أنه كان ذا قوة وسلاح ، يستطيع أن يقف أمام الفلسطينيين ؟ أم أنه افتراء ووهم مقتبس من ادعاءات العهد القديم لا أكثر ؟

وليس هذا فحسب ، بل ذهب الكتاب إلى حد الزعم أن مملكة داود عليه السلام كانت من " دان إلى بئر السبع . " القضاة 20: 1 ، صموئيل الأول 3: 20 ، صموئيل الثاني 24 : 15 ، الأيام الأول 21: 2 . كما نقرأ في التوراة أيضا أنه عليه السلام حارب في شمالي سورية ، وفي شرقي الأردن ،وشمالي فلسطين ، وغيرها وأنه أخضع حكام تلك المناطق لسيطرته ، أو عقد معها معاهدات للولاء والطاعة له .

ويقينا فإن مملكة إسرعيل المتحدة المزعومة في ذلك التاريخ ، لم يكن لديها من الإمكانيات البشرية خاصة ما يمكنها من أن تحتل تلك المساحات الشاسعة وتحكم السيطرة عليها . ففي إحدى التقديرات أن " " السكان الإسرعيليون المستقرون في نهاية القرن الحادي عشر قبل الميلاد يقدرون بحوالي (55 ألفا) . " " **(كيث وايتلام ، إختلاق إسرعيل القديمة ، ص 249)** .

فهل مثل هذا العدد البسيط من السكان قادر على تكوين جيش يمكنه احتلال كل المناطق الموصوفة في العهد القديم ؟

لقد حرصت مرويات العهد القديم على أن تجعل من داود عليه السلام بطلا تاريخيا ، وأنه استطاع أن ينشئ مملكة متحدة ، وأن احتلاله لأورشالم

ليجعلها عاصمة هذه المملكة الإمبراطورية ، إنما كان عملا بطوليا . بالإضافة إلى احتلاله كثيرا من المدن الكنعانية المحصنة ، والممالك الأخرى في فلسطين وخارجها .هذه الصورة الأسطورية التي يرسمها الكتاب لداود عليه السلام ومملكته، لم يكن لها ما يماثلها على الواقع شيء .

فقد " ضخَمت التوراة من قوة وحصانة المدن الكنعانية التي تم احتلالها ولكن الآثار كشفت النقاب عن مواقع غير محصنة حيث وجدت في أحيان كثيرة مباني قصر الحاكم فقط وليس مدنا حقيقية . " (**صحيفة هاآرتس الإسرعيلية ، 1999/10/29م**) .

وتستشهد الصحيفة بما دلت عليه التنقيبات الآثارية التي جرت في أورشالم، عن المكانة التي كانت عليها المدينة في عهد داود وسليمان عليهما السلام ، فتقول : " وعلى ضوء هذه الآثار المحفوظة من اليهود السابقة واللاحقة أصبح واضحا أن القدس في عهد داود وسليمان كانت مدينة صغيرة ، وربما كانت بها قلعة صغيرة ، إلا أنها لم تكن بأي شكل عاصمة الإمبراطورية الموصوفة في أسفار التوراة . "(**صحيفة هاآرتس الإسرعيلية ، 1999/10/29م**) .

وقد انخدع كثير من المؤرخين والعلماء بما جاء به العهد القديم ، فصدقوا ذلك دون دليل أو برهان . ومن هؤلاء (فلايكوفسكي) الذي يرى أن حدود مملكة داود عليه السلام كانت " من أول نهر الفرات في الشمال حتى حدود مصر في الجنوب واتجه التمدد والزحف إلى الشرق أيضا حيث قاد داود ويوآب الجيوش إلى المنطقة الممتدة بين النهرين . . . " (**إيمانويل فلايكوفسكي ، عصور في فوضى ، ص 116**) .

وكذلك يرى (برايت Bright) أن إمبراطورية داود عليه السلام " امتدت حدودها من خليج العقبة إلى البحر المتوسط ، ومن وادي العريش في

الجنوب إلى لبنان وقاديش حول نهر العاصي في الشمال . " **(كيث وايتلام ، إختلاق إسرعيل القديمة ، ص 206) .**

هذه الإمبراطورية التي قال عنها فينكلشتاين : " لكن في أكثر الحالات لم تكن تلك فتوحات عسكرية بشكل تام ، ولا تأسيسا لإمبراطورية إدارية منظمة بكل معنى الكلمة ، أكثر مما كانت وسائل خفيّة تستخدمها الزعامة ، يقدم فيها شيخ قبيلة أو زعيم جماعة نوعا من الأمن للمجتمعات السهلية . " **(فينكلشتاين ، التوراة اليهودية مكشوفة على حقيقتها ، ص 180) .**

أما (كوسيدوفسكي) فيقول : " أسس داود بفتوحاته دولة عظمى امتـــدت حدودها من خليج العقبة وحتى الفرات ومن وراء الأردن حتى الحرمون . " **(زينون كوسيدوفسكي ، الأسطورة والحقيقة في القصص التوراتي ، ص 253) .**

ولم يقف أمر هذه المملكة عند الحدود فقط ، بل هناك من ذهب إلى الإدعاء بأنها كانت في حينه (قوة عظمى) كما يراها برايت Bright : " "بل في الواقع ، ربما كانت إسرعيل في تلك اللحظة لا تقل جبروتا عن أي قوة عظمى في عالمها . " " **(كيث وايتلام ، إختلاق إسرعيل القديمة ، ص 206) .**

ومن المؤسف له أن بعض الكتاب العرب ، قد انساقوا وراء هـــذه الخيـــالات التوراتية ، وأدلوا بدلوهم مؤيدين أمثال (جمال عبد الهادي ، ووفاء رفعت ، وأحمد سوسة ، وإبراهيم الشريقي ، وصابر طعيمة) وغيرهم .

وفي المقابل ، فإننا نجد عددا من المؤرخين والعلماء من ينكر إنكارا تاما أن تكون دولة داود عليه السلام بمثل هذه المساحة ، ومنهم توماس طومسون ، وكيث وايتلام ، وجيفريز ، وفراس السواح ، وجورجي كنعان ، وغيرهم . يقـــول (وايد) فـــي كتابــه (تاريخ العهد القديم) :

" أغلب الظن هو أن إمبراطورية داود لم تلامس البحر إلا في مكان قريب من يوبا (يافا) . وقد تركت مدينتا صور وصيداء الفنيقيتان الواقعتان إلى الشمال من هذه المدينة دون أن يتحرش بهما أحد . في حين احتفظ الفلسطينيون في الجنوب الشرقي من هذه البلاد باستقلالهم بالرغم من أنهم كانوا مضعضعين . " (**ج. جيفريز ، فلسطين إليكم الحقيقة ، ص 42) .**

ويصور لنا (بيلوك) مساحة مملكة داود تصويرا رائعا يدل على صغر هـــذه المساحة ، فيقول :

" إن أحسن طريقة يمكن الإنسان بها أن يدرك إلى أي مدى كانت صغيرة هي على هذا النحو : إذا خرج الرجل من طلوع الشمس من القدس متجها شرقا أو شمالا أو غربا ففي وسعه أن يبلغ أطرافها في فترة وجيزة من الصباح . إنه لا يقطع اثنى عشر ميلا في أي من هذه الاتجاهات إلا ويكون قد خرج من حدود تلك المقاطعة . . . إنها رقعة صغيرة من منديل مهلهل . " (**ج. جيفريز ،فلسطين إليكم الحقيقة ، ص 44، 45) .**

كما يرى دوغلاس ريد بأن توحيد داود عليه السلام للمملكتين لم يكن موفقا : " ويعود التوحيد غير الموفق لهاتين القبيلتين إلى القرون السابقة . " (**دوغلاس ريد ، جدل حول صهيون ، ص 15) .**

ولم يكن لهذا الاتحاد أن يدوم وينجح ، وذلك لاختلاف نظرة كل من القبيلتـــين (المملكتين) إلى بقية الشعوب الأخرى . فقد آمنت القبائل في الشمال بالتعاون مـــع الشعوب الأخرى ، في حين أن يهوذا في الجنوب كانت مملكة انعزالية انطوائية ، تريد أن تكون لها السيطرة على كل شيء ، وفي نفس الوقت لا تعطي أحدا شيئا . ولهذا فما أن توفي سليمان عليه السلام ، حتى انقسمت مملكة

أورشالم (مملكة بيت داود) ثانية إلى مملكتين ، كما كانتا سابقا ، مملكة السامرة (بيت عُمري) في وسط وشمال فلسطين ، ومملكة يهوذا في الهضاب الجنوبية من فلسطين .

وقد وصف (كاستين) فترة حكم داود وسليمان عليهما السلام ، بقوله :

" ولم يكن لدى هاتين الدولتين أمور مشتركة بالمعنى السيء أو الجيد لهذه الكلمة أكثر من الأمور المشتركة بين أي دولتين متجاورتين . في بعض الأحيان ، تحاربتا ومن ثم يأتي الصلح وعقد الاتفاقات . ولكنهما ظلتا دوما منعزلتين عن بعضهما بعضا . وقد فقد الإسرعيليون أي إيمان بدور متميز . وخلال حكم الملك (يربعام) قطعت إسرعيل أية علاقة دينية أو سياسية مع (يهودا) . " **(دوغلاس ريد ، جدل حول صهيون ، ص 18) .**

ومن الذين أيدوا العهد القديم أيضا في مروياته : ألبرايت ، ونوت ، ورايت ، ومايرز ، وهرسيغور ، وسترون ، وفون راد ، وغيرهم .

ومع كل هذا الحديث عن مملكة داود عليه السلام ، ما لبث أن ظهر الحق ، وسقطت كل الاحتمالات التي كانت يستند عليها هؤلاء المؤرخون المنحازون :

" فالمرتكزات التي كانت تبدو ثابتة وآمنة ذات يوم ، ما لبثت أن تعرضت لمقدار متزايد من الاهتراء بسبب قيام الباحثين بالتشكيك في وجود أي مملكة إسرعيلية في المنطقة في هذا التاريخ المبكر. لقد شهد الوضع تغيرا جذريا إلى درجة أن فكرة وجود دولة رئيسة في ظل داود ، فضلا على إمبراطورية ، مركزها أورشليم في القرن العاشر قبل التأريخ الشائع – ق. م. – باتت معرضة لمقدار متزايد من الدحض والإنكار . " **(كيث وايتلام ، الجديد في تاريخ فلسطين القديمة ، ص 41) .**

لقد أجريت العديد من الحفريات في أورشالم ، ومنطقتها ، ولكن كل هذه التنقيبات الآثارية ، أخفقت في إيجاد معلم أثري واحد يدل على أنه كان في ذلك العصر مملكة في أورشالم بالشكل الموصوف في العهد القديم . كما أنه لا يوجد نص تاريخي واحد مصري ، أو عراقي ، أو غير ذلك ، يؤيد وجود مملكة في ذلك العصر اسمهــا (إسرعيل) .

ومن التبريرات التي يرددها المؤيدون لهذه المملكة المتحــدة المزعومة ، واعتراضاتهم على أقوال المعارضين لها ، قالوا بأن عدم وجود آثار من أيام داود وسليمان عليهما السلام تدل على قيام هذه المملكة المتحدة ، هو أن هيرود قام بهدم كل هذه المباني ليستخدم حجارتها ومكانها لبناء إنشاءات هيرودية بدلا عنها . كما أن الركود السياسي الذي كان يسود المنطقة بكاملها في تلك الفتــرة ، جعــل السجــلات التاريخيــة للإمبراطوريات المعاصرة لا تتطرق إلى هذه المملكة ، إلا بالنزر اليسير .

أورشالم في العصر الحديدي الأول :

يفهم من العهد القديم أن داود عليــه الســلام قد (صنــع) مملكتــه المتحدة (إمبراطوريته) في أواخر عصر الحديد الأول (1200 – 900 ق. م.) . وحتى يتسنى لنا الحكم على هذا الإدعاء ، لا بد أن نتعرف أولا على الحالة التي كانت عليها المنطقة في ذلك العصر ، وخاصة أورشالم .

يقول لنا التاريخ الأثري أن الاستيطان في منطقة أورشالم في عصر الحديد الأول لم يكن كثيفا . حيث أن الجفاف الطويل الذي ضرب المنطقة ، كانت آثاره لا زالت ظاهرة ، وبالتالي فإن ذلك لم يشجع على الهجرة والاستيطان في أورشالم .

وقد قام عدد من علماء الآثار بمسح المنطقة أثريا فتبين لهم أن :

' منطقة تلال يهودا بين القدس والخليل كانت مهجورة تماما خلال العصر البرونزي الأخير ، مع وجود آثار مستوطنات في القدس وخربة رابود وربما كانت بيت زور (Beth Zur) فقط .تواصل السكن في هذه المواقع خلال فترة العصر الحديدي الأول . وجدت في المنطقة مواقع قليلة تعود إلى العصر الحديدي الأول ، ومعظمها وجد بالقرب من مستجمع المياه على طول الحافة الشرقية من صحراء يهوذا . ' **(طومسون ، التاريخ القديم للشعب الإسرعيلي ، ص 197) .**

وقد دلت الأبحاث الآثارية ، على أن سكان المنطقة الأصليين ، لم يتركوا المنطقة كلهم رغم الجفاف الذي حل بها ، وبالتالي فإن الاستيطان الفقير المتبقي بها لم يؤثر على وضعية السكان الأصليين ، ولا على أسلوب معيشتهم .

ولكن مع اقتراب العصر الحديدي الأول من نهايته ، أخذت المنطقة تسترد بعضا من عافيتها ، وانتشرت زراعة الزيتون ، والأشجار المثمرة ، وظهرت بعض المدن الرائدة في المنطقة ، مثل حبرون ، ولخيش ، وفي الدرجة الثالثة أورشالم .

ولهذا فمن المستبعد أن يكون هناك وافدون جدد إلى أورشالم في العصر الحديدي الأول بأعداد كبيرة ، كما يقدرهم الخطاب التوراتي بعشرات الألوف ، استطاعوا أن يغيروا من وضع أورشالم الاجتماعي ، والحضاري ، والسكاني ، والإثني ، والديني ، حيث لم يسجل التاريخ شيئا من ذلك .

والذي حصل هو أن بعضا من أهالي منطقة الهضاب الجنوبية بما فيها أورشالم ، كانوا قد هجروها عندما أصاب المنطقة الجفاف الميقيني المدمر ، ولكن وبعد أن أخذت الظروف المناخية في الاستقرار ، بدأ هؤلاء المهاجرون في العودة

ثانية إلى قراهم ، وكان عصــر الحديد الأول قد اقترب من نهايته . فهؤلاء المستوطنون هم أصحاب الأرض الأوائل ، وليسوا مستوطنين جدد ، ولهذا لم يأتوا معهم بشيء جديد ، أي أنهم نفس السكان وسلالتهم ، حيث بدأوا يستقرون من حرفة الرعي ، إلى حرفة الزراعة البسيطة .

" لقد بات واضحا على نحو متزايد أن القدس في القرن العاشر قبل التأريخ الشائع – ق. م. – حين كان يفترض أنها عاصمة إمبراطورية كبرى خاضعة لداود ، لم تكن إلا بلدة إقليمية صغيرة متميزة قليلا ، وتشير الأدلة المتوافرة على أنها لم تبدأ بالتوسع والتحول إلى مركز حضري ذي شأن إلا في وقت متأخر كثيرا في القرن الثامن قبل التأريخ الشائع . " (**كيث وايتلام ، الجديد في تاريخ فلسطين القيمة ، ص 43**) .

كما ويتحدث فينكلشتاين عن استيطان المرتفعات الجنوبية (يهوذا) في القرنين الثاني عشر والحادي عشر قبل الميلاد ، فيرى أن هذا الاستيطان لم يتطور وأن المنطقة بقيت شبه فارغة ، فيقول :

" أما في يهوذا ، فإنها لم تفعل ذلك – تطور الاستيطان – بسبب الطبيعة المانعة للتضاريس ، بقدر ما يمكن أن نرى على أساس الاستطلاعات الآثارية بقيت يهوذا فارغة – نسبيا – من السكان الدائمين ، معزولة تماما وهامشية جدا حتى الزمن المفترض لداود وسليمان وما بعد تاريخهما ، بدون مراكز حضرية رئيسة ، وبدون تدرج واضح من القرى الصغيرة إلى القرى وإلى البلدات . " (**فينكلشتاين ، التوراة اليهودية مكشوفة على حقيقتها ، ص 177**) .

إن الفتوحات الواسعة التي قام بها داود وسليمان عليهما السلام ، حسب وصف العهد القديم ، كانت بالتأكيد تحتاج إلى جيش كبير ، ومزود بالأسلحة على اختلاف أنواعها ، وإلى تنظيم وتدريب مستمر .

ولكننا نجد ، ومنذ زمن طالوت (شاؤول) – وحسب قول العهد القديم – أن الفلسطينيين كانوا يحتكرون صناعة الحديد والأسلحة . ولم نسمع بأن جيش داود عليه السلام قد استخدم دبابة (كبشا) ، أو منجانيقا ، أو حاصر مدينة ما ، فهل مثل هذه الفتوحات كلها ، تمت في غمضة عين ، وبمثل هذه السهولة ؟

كذلك رأينا أن المنطقة لم يكن فيها من السكان ، ما يمكن داود وسليمان عليهما السلام ،من أن يكونا جيشا كثير العدد يستطيع أن يقوم بمثل هذه الفتوحات .

حتى عاصمة الإمبراطورية المزعومة ، والتي كان من المفترض أن تكون عاصمة تتناسب مع مساحة هذه المملكة (الإمبراطورية) وإمكانياتها ، كانت على العكس من ذلك . فإن المعطيات التاريخية والأثرية تفيد على أن أورشالم عصر الحديد الأول – عصر المملكة المتحدة المزعومة – لم تكن كذلك ، فقد أشار ديفيد أوسيشكين David Ussishkin إلى " أن العمل الميداني هناك وفي الأجزاء الأخرى من أورشالم الكتاب المقدس أخفقت في تزويد دليل هام على أن المدينة كانت آهلة بالسكان في القرن العاشر ق. م.هناك فقدان لأي بناء معماري تذكاري ، وليس هذا فحسب ، بل وكذلك لم توجد آثار حتى لأي قطع فخارية بسيطة . " **(فينكلشتاين ، التوراة اليهودية مكشوفة على حقيقتها ، ص 178) .**

اختلاق المملكة الإسرعيلية المتحدة :

إذا كانت مرويات العهد القديم قد استطاعت اختلاق المملكة الإسرعيلية المتحدة تأليفا ورواية ، وإذا كان البعض قد قبل بها زورا وبهتانا ، والبعض لم

يصدقها كتاريخ ، بل قبلها كقصص خرافية مقدسة ، كما يرى (ليتش Leach) الذي يقول :

" " إنني شخصيا أجد هذه الأفكار غير قابلة للتصديق على حد بعيد . لا توجد أي آثار تدل على وجود هؤلاء الأبطال أو حدوث أي من الأحداث المرتبطة بهم . لو لم تكن هذه القصص مقدسة لكنا رفضناها تماما من الناحية التاريخية . " " (**كيث وايتلام ، إختلاق إسرعيل القديمة ، ص 254**) .

فإن مدينة أورشالم التي يفترض أنها عاصمة المملكة الإسرعيلية المتحدة في ذلك العصر ، لا يوجد ما يدل على أنها كانت مؤهلة لأن تكون عاصمة بهذا القدر .

وللتدليل على ذلك ، فإن فراس السواح يعقد مقارنة بينها وبين المدن الفلسطينية الأخرى المعاصرة ، فيقول :

" ولكي نعطي فكرة عن مدى ضآلة عاصمة داود هذه ، بالنسبة لبقية المواقع الفلسطينية والسورية ، نقول بأن مساحة موقع أريحا في مطلع العصر الحجري الحديث ، حوالي عام 8000 ق. م. قد بلغت 4 هكتارات . وأن مساحة موقع تل المريبط في مطلع العصر الحجري الحديث حوالي عام 7500 ق. م. ، قد بلغت ثلاثة هكتارات ، وأن مساحة أشباه المدن في حوض الفرات والخابور ، خلال النصف الثاني من الألف الرابع قبل الميلاد ، قد تراوحت بين 18 هكتارا في موقع حبوبة الصغرى ، و43 هكتارا في موقع تل براك . أما المراكز الحضرية الكبرى في أواسط الألف الثالث قبل الميلاد ، مثل ماري على الفرات الأوسط ، وإيبلا في الشمال قرب حلب ، فقد تراوحت مساحتها بين 60 و 70 هكتارا . وفي أواسط الألف الثاني قبل الميلاد ، بلغت مساحة مدينة قطنة في أواسط سورية قرب حمص 100 هكتار ، وبلغت مساحة حاصور الفلسطينية في جبال الجليل 75 هكتارا . ومن المفارقات الطريفة التي يمكن إيرادها هنا

، ان مساحة القصر الملكي في مدينة ماري والذي يحتوي على ثلاثمائة غرفة ، قد بلغت مساحته 5ر2 هكتارا ، أي ما يعادل نصف مساحة عاصمة داود الإمبراطورية .
" (**فراس السواح ، تاريخ أورشليم ، 55**) .

وقد جرى التنقيب في كل متر من أراضي أورشالم للبحث عن أي شيء يثبت أنه كانت هناك في يوم ما مملكة متحدة مزعومة ، وعن أية آثار تعود إلى العصر الحديدي الأول على وجه الخصوص . ومن علماء الآثار الإسرعيليين الذين نقبوا في المدينة إيجال شيلوح Yigal Shiloh ، وديفيد أوسيشكين David Ussishkin الذي يرى أن هذه التنقيبات قد : " أخفقت في تزويد دليل هام على أن المدينة – أورشالم – كانت آهلة بالسكان في القرن العاشر ق. م. – عهد المملكة المتحدة المزعومة – . هناك فقدان لأي بناء معماري تذكاري ، وليس هذا فحسب ، بل وكذلك لم توجد آثار حتى لأي قطع فخارية بسيطة . " (**فينكلشتاين ، التوراة اليهودية مكشوفة على حقيقتها ، ص 178**) .

ونتيجة لذلك يخلص فينكلشتاين إلى القول :

" في الواقع ، من المستبعد جدا أن تصبح هذه المنطقة – المسكونة بشكل متناثر ، من يهوذا ، وقرية أورشالم (القدس) الصغيرة – مركزا لإمبراطورية عظيمة تمتد من البحر الأحمر في الجنوب إلى سورية في الشمال . هل من الممكن حتى لأكثر الملوك شعبية وتأثيرا أن يكون قد تمكن من تجهيز وتحريك الرجال والأسلحة اللازمة لإنجاز مثل تلك الفتوحات الإقليمية الواسعة والمحافظة عليها ؟ ليس هناك – بالتأكيد – أي إشارة آثارية للثروة أو القوة البشرية ، أو مستوى التنظيم الذي سيكون لازما لدعم جيوش قوية – حتى لفترات قصيرة من الزمن – في الميدان . حتى لو كان السكان القليلون نسبيا ليهوذا قادرين على القيام بهجمات سريعة وكاسحة على المناطق المجاورة ، كيف كان من الممكن لهم أن يتمكنوا من إدارة

الإمبراطوريــة الأوسع والأكثــر طموحــا لسليمان مــن داود ؟ " (**فينكلشتاين ، التوراة اليهودية مكشوفة على حقيقتها، ص 179)** .

ومن وجهة النظر السكانية ، فليس هناك ما يدل على وجــود تجانــس وكثافــة سكانية في هذه المملكة المتحدة المزعومة . فقد كان واضحا وجود كثافة سكانية في المنطقة الواقعة بين أورشالم وشكيم . في حين أن المنطقة الواقعة إلى الجنوب من أورشالم بدت فقيرة سكانيا لوجود السكان في مجموعات بعيدة متناثرة.

وهذا الاستقرار السكاني غير الكثيف يعطينا فكرة عن الإمكانيات الماديــة والعسكرية التي كانت متوافرة لهذه المملكة ، وهي بالتأكيد غير كافية لتكوين مملكة بالمواصفات التوراتية .

ويتحدث فينكلشتاين عن منطقة الهضاب الجنوبية (يهوذا) في القرن العاشر ق. م. فيقول بأن تعدادها كان حوالي 45000 نسمة تقريبا ، يسكن حوالي 90% منهم في المنطقة الشمالية من أورشالم ، وما بقي حوالي خمسة آلاف نسمة تقريبا يسكنون مناطق متناثرة بين أورشالم وحبرون ، وحوالي عشرين قرية صغيرة في يهوذا .

ويقينا ، فإن هذا التعداد السكاني ليس بقادر على تكوين الجيوش الكبيرة التي تستطيع أن تحمي إمبراطورية ، أو مملكة متحدة مزعومة .

ولكن لماذا اختُلِقت مملكة إسرءيل المتحدة ؟

ولماذا اختُلِقت أورشالم كعاصمة لهذه المملكة ؟

ولماذا صُوِّرت هذه المملكة على أنها إمبراطورية عظمى ؟

وغير ذلك من الأسئلة .

من المعروف أن العهد القديم كتاب قد كتبت – أغلب أسفاره – أثنـــاء التهجير البابلي . أي عندما كان مهجّرو أورشالم من بني إسرعيل وغيرهم في بابل ، وفي هذا الوقت كان الكثير من بني إسرعيل يعيشون ، وهم يفكرون في العودة إلى أورشالم ، وكان لا بد من أن يكون هذا الحنين مستمرا ، ومستوليا على عقول بني إسرعيل . وحتى يكون هناك مبرر للعودة ، كان لا بد من تصوير تاريخ أو بالأحرى اختـــلاق تاريخ لبني إسرعيل ، ولا بد أن يكون هذا التاريخ عريقا ، ذا قيمة ،وذلك أولا : حتى يرسخ في أذهان بني إسرعيل أنهم أحفاد ملوك عظام ، كانت لهم مكانتهم التاريخية ، وأن ما هم عليه الآن ما هو إلا نتيجة تآمر وإبعاد لهم عن الساحة السياسية . وثانيا : وحتى يعودَ ماضي مجدهم وسيطرتهم وقوتهم ، فإنه لا بد أن يعودوا إلى أورشالم من جديد . وثالثا : هي دعوة ضمنية لبني إسرعيل أن لا ينخرطوا في الحياة البابلية العامة ، حتى لا ينسوا موطنهم الأصلي أورشالم .

ومن أجل ذلك ، اختُلقت مملكة إسرعيل المتحدة ، وعاصمتها أورشالم المدينة المزدهرة ، واعتبرت فرضية من الفرضيات التوراتية ، لا يكتمل إيمان الفرد الإسرعيلي إلا بالإيمان بها كاملة . وهذا ما دعا (برايت Bright) إلى اعتبار الفترة القصيرة التي عاشتها المملكة الإسرعيلية المتحدة المزعومة فترة مهمة في التاريخ الإسرعيلي القديم ، وينبغي لهذه الفترة القصيرة أن تستحوذ على اهتمام المؤرخين ، إذ أنها إحدى أهم الفترات في تاريخ إسرعيل برمته .

ورغم كل ذلك ، فإننا نجد طومسون ينكر وجود مملكة متحدة ، كما تصورها التوراة ، وميول المؤرخين ، فيقول :

" . . . لا يتوافر دليل على وجود ملكية متحدة ، ولا دليل على وجود عاصمة في أورشلم ، أو على وجود أية قوة سياسية موحدة ، متماسكة هيمنت على

فلسطين العربية ، ناهيك عن إمبراطورية بالحجم الذي تصفه الحكايات الأسطورية . ولا يتوافر أي دليل على وجود ملوك في أورشليم في هذه الفترة المبكرة . . . لا يمكن للمرء أن يتكلم تاريخيا على دولة بلا سكان ، ولا يمكنه أن يتكلم على عاصمة من دون بلدة . والقصص ليست كافية . " (**طومسون ، الماضي الخرافي التوراة والتاريخ ، 270 ، 271)** .

وينكر على هؤلاء المؤرخين الذين ما زالوا يرون في داود عليه السلام أنه قام بتأسيس مملكة متحدة ، فيقول : " قد يكون بعض المؤرخين لا يزال يرغب في الكلام عن داود تاريخي ، أو حتى عن دولة كان يقع مركزها في أورشليم ، لكن لا ذاك الداود ولا تلك الدولة يشبهان أي شيء نجده في الكتاب ."(**طومسون ، الجديد في تاريخ فلسطين القديمة ، ص 52**) .

كما صرح عالم الآثار الإسرعيلي (فينكلشتاين Finkelstein) لصحيفة نيويورك تايمز بقوله : " " استنادا على فهمي ، ليس هناك أي دليل على الإطلاق يثبت وجود مملكة موحدة عظمى حكمت من القدس أقاليم ضخمة . إن قدس الملك داود لم تكن أكثر من قرية فقيرة في ذلك الوقـت . " " (**بشار خليف ، صحيفة تشرين السورية ، 2004/8/15م**) .

المملكة المتحدة والممالك المعاصرة :

إذا كانت المملكة الإسرعيلية المتحدة قد تكونت في نهاية عصر الحديد الأول ، وأنها كانت تضم مناطق وأقاليم واسعة خارج فلسطين ، فمعنى ذلك أنها قد احتلت أراضي كانت تحت سيطرة العديد من الممالك التي كانت قائمة في تلك الفترة .

وبالرجوع إلى التاريخ المعاصر لقيام تلك المملكة المتحدة المزعومة ، يظهـر لنـا بوضوح أن ذلك الواقع التاريخي ، يختلف تماما عن ما جاء به العهد القديم . كما أن ما أظهرته التنقيبات الآثارية التي أجريت في المنطقة ، أكبر رد على مزاعم هذه الأساطير .

لقد كانت فلسطين في عصر الحديد الأول ميدانا للصراعات الأشورية المصرية ، من أجل الحفاظ على أمن الطرق التجارية . ومن أجل الحصول على منتجات المنطقة التي تهم كلا الطرفين . فقد كان الأشوريون يحرصون على الاستيلاء على تجارة الزيت والزيتون ، في حين كان المصريون يرغبون في الحصول على الأخشاب ، وخاصة من لبنان . ولهذا كانت كل مملكة حريصة على أن تقيم لنفسها قلاعا وحصونا في فلسطين ، وكل منها تشجع الممالك (ممالك المدينة) الفلسطينية لتبقى تحت تبعيتها .

وبناء على ما جاء في العهد القديم ، فإن داود عليه السلام قد حكم (40) سنة ، أمضى منها (7) سنين وستة أشهر في حبرون قبل انتقاله إلى أورشالم . وفي خلال هذه الفترة الأولى ، لم يحصل أي شيء جديد مع داود عليه السلام على صعيد الاحتـلال والحروب والاستيلاء على أراضي الممالك الأخرى ، حيث أنه أمضى هذه الفترة في قتال مع (إيشبوشت) ابن طالوت (شاؤول) ، والذي لم يكن لديه من المقاتلين ما يستطيع بهم أن يحسم المعركة مع داود عليه السلام لصالحه .

وإذا ما نظرنا إلى الخارطة السياسية للممالك المعاصرة لداود عليه السلام، نجد أن اليبوسيين كانوا ما يزالون يقيمون في أورشالم حتى بعد احتلال داود عليه السلام للمدينة .

وفي الشمال كانت مملكة (صور) ، وكما تزعم التوراة فقد كان لملوكهـا علاقات صداقة وتجارة مع داود وسليمان عليهما السلام ، وكانوا أصحاب نفوذ وقوة .

وفي حبرون نفسها كان الفلسطينيون يستولون على قسم كبير من المدينة ، ومنتشرون في عدة مدن مجاورة ، ويقيمون فيها بأمن وسلام .

كما قاتل داود عليه السلام في جوبا (يافا) صموئيل الثاني 21 : 18 ، ولـم يذكر أنه استولى عليها . كما أن داود عليه السلام لم يستطع أن يستولي على المـدن الفلسطينية على الساحل الجنوبي .

وفي مجدّو وجازر وبيت شان ، ولخيش ، وغيرها ، كانت لا تزال هناك ممالك مدن ، ولم يستطع داود عليه السلام الاستيلاء عليها . كما أن سهل يزرعيل (مرج ابن عامر) ، لا يوجد ما يؤكد أنه وقع تحت سيطرة داود عليه السلام .

وهكذا نرى أن فلسطين بكاملها لم يستطع داود عليه السلام أن يستولي عليها، ويضمها لمملكته المتحدة المزعومة . وعلى الأغلب ، فإن هذه المملكة في فلسطين كانت تضم أورشالم ، وشمالا إلى بيت إيل ، وجنوبا إلى حبرون ، وغربا حتى المناطق الهضبية المطلة على السهل الساحلي ، وشرقا إلى النهر على أبعد تقدير .

ومع هذا فإننا نفاجأ بأن المرويات التوراتية ، ترى أن داود عليه السلام قـد حارب عند نهر الفرات ، ولكن كيف قطع هذه المسافة الشاسعة ، حتى وصل الفرات ؟ وكيف استولى على الممالك التي كانت قائمة في طريقه ، فهذا لم يوجد حتى الآن له أي تفسير تاريخي منطقي ، باستثناء ما ورد من عموميات في مرويات العهد القديم بهـذا الخصوص .

ففي الشمال من فلسطين ،كانت الممالك الآرامية منتشرة في الأراضي السورية ، ومنها :

- أرام بيت رحوب : وكانت في البقاع الجنوبي في منطقة وادي الليطاني الأوسط .
- أرام معكة : وكانت في منطقة الجولان على سفوح جبل الحرمون .
- أرام طوب : وكانت في منطقة حران الجنوبية .
- أرام دمشق : وهي من أكبر الممالك الأرامية ، وتأسست في القرن الحادي عشر قبل الميلاد ، وشملت مناطق واسعة من سورية .

ولا يذكر لنا التاريخ أن أيا من هذه الممالك قد قضى عليها داود عليه السلام .

وفي الشمال من سورية ، وفي منطقة الفرات ، وجدت عـدة ممالك ، أهمهـا : (مملكة بيت لاقي الأرامية ، ومملكة بيت بحياني ، ومملكة بيت عديني) وقد بقيت هذه الممالك قائمة حتى بعد وفاة داود عليه السلام ، ولم يحدثنا التاريخ قط عن أن أيا منها قد خضعت لسيطرة مملكة إسرعيل المتحدة المزعومة .

وفي شرقي النهر ، قد يكون داود عليه السلام قد أغار على بعض الممالك التي كانت تقيم هناك . فمملكة المؤابيين التي تأسست في القرن الرابع عشر قبل الميلاد ، بين وادي الموجب في الشمال ، ووداي الحسا في الجنوب ، كانت من القـوة بحيث أنها استطاعت مقاومة بني إسرعيل وهم في طريقهم إلى الأراضي المقدسة ، حسب رواية العهد القديم . واستمر المؤابيون يحكمون المنطقة ، حتى جاء داود عليه السلام ، وكما يقول العهد القديم أنه قضى عليهم ، ولكن لا يوجد ما يثبت ذلك تاريخيا .

ففي العهد القديم نجد أن داود عليه السلام قبل أن يتولى الحكم ، عندما هرب من طالوت (شاؤول) التجأ إليهم حيث وضع أمه وأباه تحت حمايـة ملـك مـؤاب (صموئيل الأول 22: 3) خوفا من أن يلحق شاؤول بهم الأذى ،

مما يدل على أنهم كانوا في تلك الفترة أصحاب قوة . ولكن في عهد داود عليه السلام ، وفي أقـل مـن عشرين سنة ، يعود ويهاجمهم ويحتل ديارهم ، إنها لمفارقات غريبة في رواية العهد القديم لا يمكن للعقل أن يصدقها .

كما أسس (الأدوميون) مملكة أيضا شرقي النهر ، وفي الجنوب حتى خليـج العقبة . وهم أيضا لم يسمحوا لبني إسرعيل بالمرور عبر أراضيهم وهم في طريقهم إلى الأرض المقدسة ، ومن عجائب المرويات التوراتية أنها تقول أن داود عليه السلام قد قتل من الأدوميين ثمانية عشر ألفا (الأيام الأول 18: 12) ، وما من دليل تاريخي على أن المنطقة كان فيها من الكثافة السكانية ، ما يؤيد سقوط هذا العدد من القتلى من جيش واحد ، في معركة واحدة .

كما وجدت شرقي النهر أيضا مملكة (العمونيين) وكانت عاصمتهم ربة عمون (عمان) : " وقد استطاع العمونيون أن يكونوا دولة مستقرة منتظمة منذ فترة مبكرة ، ومن ثم فقد كانوا يحكمون بملوك قبل أن تبرز فكرة الملكية في إسرعيل . "(**محمد مهران ، بنو إسرعيل ، ص 513/1**) . ولا يوجد تاريخيا ما يدل على أن داود عليه السلام قد قضى على هذه المملكة ، ولا حتى أنه دخل في حالة حرب معها في يوم ما .

وهكذا نجد أن مملكة داود عليه السلام ، التي وجدت في أوائل القرن العاشر قبل الميلاد ، كانت من الصغر ، بحيث أنها لم تتجاوز مساحة تلك الممالك التي كانت قائمة في فلسطين في تلك الفترة .

يقول (ستاد Stade) في ذلك :

" إن إسرعيل لم يقدر لها يوما أن تبسط سلطانها على الضفة الغربية من الأردن ، ذلك لأن الشاطئ – فيما عدا شقة ضئيلة – ظل في أيدي الكنعانيين الذين كانوا

في فترة الخروج شعبا منظما ناجحا مسيطرا على التجارة ، بل إن التأثير الثقافي والمادي ل " عكا " و " صور " و" صيدا " على الأقاليم الداخلية بلغ حدا يعـــوق دون امتصـــاص الكنعانيين بواسطة المهاجرين الإسرعيليين ، ويعوق بالتالي تكوين حلف من أسباط إسرعيل وقبائلهم في الشمال . " " (**نجيب ميخائيل ، مصر والشرق الأدنى القديم ، ص 309/3**) .

كما يرى كل من (ميللر وهيز Miller & Hays) أن صورة إمبراطورية داود التي سيطرت على فلسطين ، وعدة أقاليم خارجها ، في العصر الحديدي الأول ، قد بدأت تتداعى مع مرور الزمن،لظهور حقائق تاريخية جديدة ، تثبت عدم صحة ما جاء في المرويات التوراتية بخصوص هذه المملكة المتحدة الخرافية المزعومة .

وإذا كان بنو إسرعيل قد قضي على أغلبهم في التيه ، وأن كثيرا من الذين اتبعوا موسى ويوشع وداود عليهم السلام بعد ذلك ، هم من أبناء القبائل والشعوب التي كانت تقيم شرقي النهر وغربه ، فمن الخطأ الشائع أن نطلق على مملكة داود عليه السلام (مملكة يهوذا – نسبة إلى السبط يهوذا – أو مملكة إسرعيل ، أو مملكة إسرعيل المتحد ة) ، وبما أنه قد جعل أورشالم عاصمة لهذه المملكة ، فهي مثلها مثل ممالك فلسطين الأخرى ، حيث تسمى المملكة باسم المدينة العاصمة ، ومن الأصح أن نطلق عليها اسم (مملكة أورشالم ، أو مملكة بيت داود) ، ولا شيء يدعم غير ذلك .

واعتمادا على ما سبق ، فأن التعداد السكاني ، والتطور الحضاري ، وعدم وجود أية آثار تدل على وجود مملكة متحدة مزعومة في القرن العاشر قبل الميلاد عاصمتها أورشالم ، وبالمواصفات التوراتية ، يقول فينكلشتاين : " من زاوية علم الآثار لا يمكننا أن نقول عن داود وسليمان أكثر من أنهما وجدا فعلا ، وأن

أسطورتهما ثبتت وبقيت إلى اليوم . " (**فينكلشتــاين ، التوراة اليهودية ، ص 190**) .

المملكة المتحدة في الميزان :

وردت أحداث تنصيب داود عليه السلام ملكا على بني إسرعيل ، في سفــر صموئيل الثاني ، كما ويتحدث سفر الملوك الأول والثاني ، والأيام الأول والثاني أيضا عن داود وسليمان عليهما السلام . وبمراجعة هذه النصوص مراجعة نقدية ، تبين لنا منها ما يلي :

1- أن الواقع الذي كان يسود أحداث هذه الأسفار ، يــدل علــى أن المجتمــع الإسرعيلي في ذلك الوقت كان مجتمعا قبليا عشائريا ،مثله كغيره من مجتمعات فلسطين . وأن الملك داود وسليمان عليهما السلام لم يكونا أكثر من شيخي قبيلة ، أو عشيرة ، وليس لمفهوم (الملك) عند بني إسرعيل حينذاك أكثر من ذلك . وهذا المجتمع الإسرعيلي البدوي القبلي كان يعيش كثير من أفراده في الخيام ، وفي الكهوف .

2- لقد تحدث العهد القديم عن داود وسليمان عليهما السلام ، وكأنهما أفراد ، أو ملوك متعصبين ، ظالمين ، سفاكين للدماء ، ينفقون الأموال ببذخ طائل ، وينتقمون من الآخرين ، يميلون إلى الرقص والغناء ، وكثرة الزواج ، وغير ذلك من الصفات التي لا تتناسب مع مكانتهما الدينية ، فهم أنبياء الله تعالى ، مما يجعلنا نرفض كل ذلك جملة وتفصيلا .

3-	لقد صوّر العهد القديم طالوت (شاؤول) على أنه شخصية (سوداوية) ، يكره الكهنة ، همجيا فظا ، في حين أنها صورت داود عليه السلام على أنـــه حبيبُ الكهنة ، وأنه وإن فعل كثيرا من الجرائم – على حد قول العهد القديم – فلها تبريرها ، وأنهم ينظرون إليه بعين العطف والتفهم .

4-	يرى العهد القديم أن داود عليه السلام قد انتزع الملك من طالوت وابنه بالقوة ، وأنه لم تكن له شعبية عند معظم القبائل الإسرعيلية الشمالية المزعومة خاصـــة لكونه من يهوذا ، ولهذا لجأ إلى الكهنة يستميلهم للوقوف إلى جانبه ، ومساعدته في تثبيت أركان حكمه ، وكذلك استخدم الجنود والقادة المرتزقة في الجيش بكثرة لتدعيم حكمه . ومع أنه كان سببا في مقتل طالوت (شاؤول) فقد أعلن عليه الحداد ، تقربا إلى قبيلته ، ومن يؤيدونه .

5 –	هناك فرق واضح في الأصول بين سكان منطقة المرتفعات الوسطى والشمالية ، وسكان منطقة المرتفعات الجنوبية (يهوذا) . فسكان الأولى ، وخاصة السامرة كانوا من ذوي الأصول الكنعانية ، والشعوب المختلفة التي عادت لتسكن المنطقة بعد انتهاء فترة الجفاف ، وهم لا ينتسبون إلى بني إسرعيل ، إذ ليس هناك ما يدل على هذا النسب . بعكس المرتفعات الجنوبية ، والتي تشمل أصولا سكانية من بني إسرعيل . وعلى هذا الأساس كانت الخصومة دائمة بين الشمال والجنوب ، والنزاع على السلطة ، وعلى أماكن العبادة ، لا تنقطع . وهــذا الاختلاف في الأصول العرقية بينهما ، كان ينعكس سلبا على الأحوال السائدة ، فـــي مملكة داود وسليمان عليهما السلام .

6- لقد حاول بعض العلماء والمؤرخين إيجاد تبرير للخلاف العرقي بين الشمـــال والجنوب ، بأن أرجع ذلك إلى أن فرعا من بني إسرعيل القدماء ، قد يكون خرج من مصر قبل موسى عليه السلام ، وجاء إلى المنطقة الشمالية واستوطنها ، أو أن بعــض عمومة بني إسرعيل الذين بقوا في فلسطين ، قد سكنوا تلك المناطق ، ومع مرور الزمن انصهروا في البوتقة الكنعانية ، واعتنقوا ديانتهم . وعليه ظهر هذا الخلاف العرقي بين الشمال والجنوب فيما بعد ، وكان سببا في عدم اتفاق الطرفين . ولكن من المؤكد أن شيئا من ذلك لم يثبت حتى الآن لا تاريخيا ، ولا أثريا .

7- لقد كان الخلاف بين الشمال والجنوب واضحا في العادات والتقاليد ، والمذاهب الدينية . ففي الوقت الذي كانت تسود فيه الديانة التوحيدية في الهضاب الجنوبية في زمن داود وسليمان عليهما السلام – على عكس ما يراه العهد القديم – ، كان قسم كبير من سكان الشمال لا زال يعبد الآلهة (بعل وعشتار) وغيرها . وما أن تم انفصال الشمال عــن الجنوب ، حتى قاموا ببناء مركزين دينيين ، الأول في بيت إيل ، والثاني في دان ، مما أدى إلى زيادة العلاقة بينهما سوءا .

8 – استغل قادة وكهنة الشمال موت سليمان عليه السلام ، وعدم وجود ملك قوي بعده ، فأعلنوا انفصالهم عن الجنوب ، مكونين مملكة جديدة ، أطلقوا عليه اسم (مملكة السامرة) وبالتأكيد فإن سكان هذه المملكة لا علاقة لهم ببني إسرعيل ، وليس لهم أساس عرقي مشترك معهم ، ولا حتى روابط دينية ، كما يحاول العهد القديم أن يظهر ذلك . واستقلت مملكة الشمال عن مملكة الجنوب ، وكانت هي الأكثر تعدادا للسكان ، والأكبر مساحة ، والأغنى ، والأكثر ارتباطا بالعلاقات الدولية والسياسية والتجارية مع غيرها من الممالك والدول .

9- إن عدم تجانس سكان مملكة داود وسليمان عليهما السلام ، وعدم اتفاقهم على كثير من الأمور ، جعل المملكة في حالة نزاعات وصدامات مستمرة ، ومن المستحيل أن تكون مملكة بهذه الصورة ، وتتمكن من توسيع رقعتها المساحية ، على حساب الدول المجاورة ، الأكثر أمنا واستقرارا . وأن الثمانين سنة التي عاشتها هذه المملكة بحكمة داود وسليمان عليهما السلام ، قلّلت من العداوة بين الشمال والجنوب ، نظرا لوجود مصالح مشتركة بينهما ، ولكن هذا لا يمنع من وجود بعض حالات الاضطراب التي سادت هذه المملكة أحيانا ، مما جعلها عرضة لاعتداء كثير من القبائل والممالك المجاورة ، على العكس تماما مما يراه العهد القديم ، من أن داود وسليمان عليهما السلام قد احتلا مناطق شاسعة خارج الحدود الفلسطينية ، وعلى الأغلب أنهما لم يصلا تلك المناطق ولو زيارة .

10- يعتبر المؤرخون المؤيدون لمرويات العهد القديم ، وكما جاء فيه أن هذه المملكة قد انقسمت بعد وفاة سليمان عليه السلام ، إلى دولة (مملكة) في الشمال اسمها (إسرعيل) ، ودولة (مملكة) في الجنوب اسمها (يهوذا) . وعودة إلى السجلات الأشورية ، والبابلية ، نجد أنها لا تعرف مملكة اسمها (إسرعيل) ، بل أنها تدعو تلك المملكة باسم (مملكة السامرة أو بيت عُمري) ، مما يؤكد أن المملكة الشمالية ليس لها علاقة ببني إسرعيل في يهوذا .

11- من المستبعد جدا أيضا أن يكون بنو إسرعيل في عهد داود وسليمان عليهما السلام قد بلغوا من الشأن والقوة والعدد ما يمكنهم من إنشاء هذه المملكة المتحدة المزعومة التي لم يتحدث عنها أحد غير العهد القديم . فمنذ خروجهم من مصر كانوا رعاة ، ينتقلون من مكان إلى آخر ، وأول استقرار لهم كان في عهد يشوع

عليه السلام ، ولكن هذا الاستقرار ، وبعده لم يكن إلا في خيام ، دليلا على أنه لم يكن إلا استقرارا مؤقتا . وقد أشار العهد القديم إلى ذلك في أكثر من موقع .

فعندما انتهى يشوع من إلقاء التعليمات على جماعته : " قال لهم : انصرفوا الآن إلى خيامكم ، في أرض مُلككم . " يشوع 22 : 4

وفي عهد القضاة ، بعد أن انتقى جدعون أحد قضاة بني إسرعيل مقاتليه أمر كل واحد أن يذهب إلى مكانه " وأرسل سائر رجال إسرعيل كل واحد إلى خيمته . " قضاة 7 : 8 .

وفي عهد شاؤول ، وبعد أن اختار لنفسه ثلاثة آلاف من إسرعيل ، أرسل الباقين إلى خيامهم : " وأما بقية الشعب فأرسلهم كل واحد إلى خيمته . " صموئيل الأول 13 : 2 .

وفي عهد داود عليه السلام " . . . وأما إسرعيل فهربوا كل واحد إلى خيمته . " صموئيل الثاني 19 : 8 .

ومع اقتراب وفاة داود عليه السلام ، وتعيين سليمان عليه السلام ملكا على بني إسرعيل : " فأخذ صادوق الكاهن قرن الدهن من الخيمة ومسح سليمان . " الملوك الأول 1 : 38 .

وفي عهد سليمان عليه السلام ، بعد أن بارك الشعب له بالمُلك : " وفي اليوم الثامن صرف الشعب فباركوا الملك وذهبوا إلى خيمهم فرحين وطيّبي القلوب . . . . " الملوك الأول 8 : 66 .

وغير ذلك كثير . فهل شعب يعيش في الخيام على مدى مئات السنين ، حتى عهد سليمان عليه السلام ، كان بإمكانه أن يقيم مملكة متحدة ذات حضارة متقدمة ، وقوة هائلة ، تستطيع أن تتغلب على الممالك القوية التي كانت قائمة في ذلك العصر ، ولها وجود مستقر في بيوت حجرية ؟ !

الفصل الثامن
أسطورة هيكل سليمان

الهيكل في الرواية التوراتية :

تقول روايات العهد القديم أن الرب طلب من داود عليه السلام أن يبني لـه مذبحا في بيدر (أرونة اليبوسي) صموئيل الثاني 24 : 24 ، وأنه اشترى منه البيدر وبقره بخمسين شاقلا من الفضة ، وبنى مذبحا ، والذي بني عليه الهيكل فيما بعد .

ولما تولى الحكم سليمان عليه السلام ، وفي سنة الأربع مائة والثمانين لخروج بني إسرعيل من مصر في السنة الرابعة لملك سليمان على إسرعيل بنى هذا الهيكل ، الملوك الأول 6: 1 ، وقد استغرق العمل فيه عشرين سنة (الأيام الثاني 8 : 1) .

أما مواصفات هذا الهيكل الأساسية فهي :

- الطول 60 ذراعا .
- العرض 20 ذراعا .
- السمك 30 ذراعا .
- الرواق أمام هيكل البيت طوله 20 ذراعا .
- عرض الرواق 10 أذرع .

وقد وردت أغلب مواصفات الهيكل ، وكيفية بنائه كاملة في سفر الملوك الأول ، الإصحاح السادس . والأيام الثاني ، الإصحاح 3، 4، 5، 6، 7 .

وكانت الاستعدادات لبناء الهيكل المزعوم قد بدأت في عهد داود عليه السلام ، واكتملت في عهد سليمان عليه السلام ، الذي أوصاه داود بأن يتم بناءه . وكان ذلك على جبل المريا في بيدر أرنان (أرونة) اليبوسي .

أين جبل المريا ؟

إذا كانت التوراة ترى أن الهيكل المزعوم قد تم بناؤه على جبل المريا في بيدر أرونة اليبوسي ، فمعنى هذا أن جبل المريا ، هو الجبل الذي كان يقيم فيه اليبوسيون عندما احتل داود عليه السلام أورشالم ، ويفهم من ذلك أن هذا الجبل هو جبل أوفل (عوفل) كما هو متعارف عليه عند علماء التاريخ والآثار .

فقد أثبتت الحفريات التي جرت في أورشالم أن هذه المدينة قد نشأت فعليا في العصر البرونزي الوسيط (2000 – 1550 ق. م.) ، على هضبة أوفل ، وذلك على الجهة الجنوبية الشرقية من هذه الهضبة ، على سفح وادي قدرون ، حيث يقع فيه نبع جيحون .

ولم تثبت الحفريات التي قام بها علماء الآثار على مختلف جنسياتهم ، في المدينة عن وجود جبل اسمه (جبل المريا) كما تدل على ذلك روايات العهد القديم وبالتالي فإننا نستطيع القول بأن جبل المريا غير موجود في أورشالم .

ومن ناحية أخرى ، جاء في المرويات التوراتية : " وشرع سليمان في بناء بيت الرب في أورشليم في جبل المريا حيث تراءى لداود أبيه ، حيث هيأ داود مكانا في بيدر أرنان اليبوسي . " الأيام الثاني 3: 1 ، مما يعني كما جاء سابقا أن البيدر موجود على جبل المريا .

وقد ورد اسم جبل المريا في الأحداث التي وقعت في زمن إبراهيم عليه السلام ، كما جاء في الخطاب التوراتي الذي يقول : " فقال خذ ابنك وحيدك الذي

تحبه إسحق واذهب إلى أرض المريا وأصعده هناك محرقة على أحد الجبال الــذي أقول لك . " التكوين 22: 2

وهذا يعني أن المريا هي (أرض ، منطقة) وتحتوي على عدة جبال منهــا الجبل الذي سيذهب إليه إبراهيم عليه السلام .

وذهب إبراهيم عليه السلام إلى الموقع المذكور (المريا) كما يقول العهــد القديم : " . . . وفي اليوم الثالث رفع إبراهيم عينيه وأبصر الموقع من بعيد . . . " التكوين 22: 4 .

وإذا كان العهد القديم في ذلك العصر لم يحدد اسم المدينة على الأقل التــي توجد فيها هذه الأرض ،أو هذا الجبل ،فلا بد من التخمين والبحث عن هذا الموقع .

وشيء آخر لا بد من ملاحظته في هذه الأسطورة ، وهو أن إبراهيم عليــه السلام عندما جاء إلى جبل المريا ، ونفذ كلام الرب ووضع ابنه ليذبحــه ، تقــول التوراة : " فرفع إبراهيم عينيه ونظر وإذا كبش وراءه ممسكا في الغابة بقرنيــه . " التكوين 22: 13 .

وهذا يدل على أن جبل المريا كان في زمن إبراهيم عليــه الــسلام غابــة مليئــة بالأشجار . وإذا سلمنا جدلا بأن جبل المريا ، هو جبل أوفل في أورشــالم ، فمعنى ذلك أن جبل أوفل في ذلك العصر ، عصر إبراهيم عليه السلام ، ألا وهــو حوالي سنة 1800 ق. م. وفي هذا التاريخ ،كان الجبل يعرف باسم (جبــل أوفــل) وليس (جبل المريا) ، وفي ذلك الوقت أيضا ،كان الجبل مسكونا ،ولم يكن غابة ، فضلا عن أنه ليس من الكبر حتى نقول بأنه كان مسكونا وبه غابة ، وخاصة فــي المكان الذي يدور الحديث عنه . وهذا يؤكد لنا أن مكان الفداء الــذي كــان فيــه إبراهيم عليه السلام في ذلك الوقت هو ليس المكان الذي تتحدث عنه التوراة ، وأنه كان غابة ، أو قريبا جدا منها ، وتشير الدراسات التاريخية القديمة إلى أن (منــى) قرب جبل (عرفات) كانت في ذلك العصر منطقة غابات ، وهي المكان الأرجــح

الذي ضحى عليه إبراهيم عليه السلام بالكبش الذي أرسله الله إليه ، فداء لإسماعيل عليه السلام ، وليس إسحق عليه السلام كما يدعي العهد القديم .

وأيضا ، إذا كان العهد القديم ، يقول لداود عليه السلام " اصعد وأقم للرب مذبحا في بيدر أرونة اليبوسي . " صموئيل الثاني 24: 18 ، يجب أن لا ننسى أن داود عليه السلام ، هو نبي من أنبياء الله تعالى ، وقال عنه : " **ولقد آتينا داود وسليمان علما وقالا الحمد لله الذي فضلنا على كثير من عباده المؤمنين . " النمل 15**

وأيضا : " **فهزموهم بإذن الله وقتل داود جالوت وآتاه الله الملك والحكمة وعلمه مما يشاء . " البقرة 251**

وإذا كان الله تعالى قد طلب ذلك أيضا من إبراهيم عليه السلام ،قبل داود عليه السلام ، بحوالي 800 سنة ، فإنه لم يطلب منه أن يبني (مذبحا) للرب ، بل طلب منه أن يبني (بيتا) ، قال تعالى : " **وإذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت وإسماعيل ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم . " البقرة 127**

وأن هذا البيت هو مثابة وأمن ومصلى للناس ، قال تعالى : " **وإذ جعلنا البيت مثابة للناس وأمنا واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى وعهدنا إلى إبراهيم وإسماعيل أن طهرا بيتي للطائفين والعاكفين والركع السجود . " البقرة 125** ، وأنه هدى للعالمين ، وأنه أول بيت وضع للناس ، قال تعالى : " **إن أول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركا وهدى للعالمين . " آل عمران 96** . وأن هذا البيت يجب أن يكون مطهرا من الشرك والكفر والأصنام ، قال تعالى : " **وإذ بوأنا لإبراهيم مكان البيت أن لا تشرك بي شيئا وطهر بيتي للطائفين والقائمين والركع السجود . " الحج 26**

وهكذا نرى أن إبراهيم عليه السلام ، وهو قبل داود عليه السلام ، عندما أراد الله منه أن يبني مكانا لعبادة الله ، قد طلب من أن يبني (بيتا) – يرفع قواعده

- ، وليس (مذبحا) ، ولهذا فإن الله تعالى لم يطلب من داود عليه السلام أن يبني (مذبحا) أو (هيكلا) ، وإنما طلب منه أن يبني (بيتا) لعبادة الله وحده لا شريك له .

بيت الله وليس مذبحا :

وهكذا فإن الله تعالى أمر ببناء (بيت) ، وليس (مذبحا) ، أو (هيكلا) ، أو (كنيسا) ، أو (ديرا) ، وغيرها من الأسماء . وإذا كان البيت الحرام (العتيق) قد أُمر إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام برفع قواعده ، وكان ذلك ، ففي تلك الفترة أيضا قد تم بناء المسجد الأقصى ، وعلى الأغلب أن بناءه في ذلك العصر ، كان مشابها للشكل والطريقة والهدف الذي من أجله رفعت قواعد البيت الحرام .

عن أبي ذر الغفاري رضي الله عنه ، قال : " سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أول مسجد وضع في الأرض ، قال المسجد الحرام ، قلت : ثم أي ؟ قال : المسجد الأقصى . قلت : كم بينهما ؟ قال : أربعون عاما . ثم الأرض لك مسجد ، فحيثما أدركتك الصلاة فصل . " رواه الشيخان والنسائي .

وعودة إلى عصر إبراهيم عليه السلام ، نقول :

- إذا كان عمر إبراهيم عليه السلام عندما ولد إسماعيل هو 86 سنة .
- وإذا كان التاريخ يقول لنا بأن إبراهيم عليه السلام ، قد وضع زوجته هاجر وابنه إسماعيل في مكة ، عندما كان إسماعيل رضيعا ، وأنه عندما كان يبني البيت الحرام (الكعبة) كان إسماعيل عليه السلام ، يساعده في نقل الحجارة.
- وإذا كان إبراهيم عليه السلام قد توفي وعمره 175 سنة .

فمعنى ذلك أن البيت الحرام قد تم بناؤه عندما كان عمر إبراهيم عليه السلام بين 86 – 175 سنة ، وهي كما نرى فترة بإمكان إبراهيم عليه السلام أن يبني فيها بيتا آخر في أورشالم ، بحيث يكون بين البيتين (40 سنة) . ولهذا فليس من المستبعد أن يكون إبراهيم عليه السلام قد بنى (البيت / المسجد الأقصى) ، وأن داود عليه السلام قد أمر بإعادة بناء البيت وتجديده ، وفي نفس المكان ، ولو أن التوراة أسمته (مذبحا) وما هو بمذبح .

ولا شك أنه كانت هناك بيوت قبل البيت الحرام تعبد فيها الآلهة الوثنية ، ولكن من المتفق عليه أن البيت الحرام أول بيت وضع لعبادة الله وحده ، وأن إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام هما اللذان قاما برفع قواعده .

وما كان شراء داود عليه السلام ، لبيدر أرونة اليبوسي – إن كان صحيحا – إلا بوحي من الله تعالى ، فما كان له أن يأخذ أرضا ليست أرضه ، حتى ولو كان يريد بناء مسجد عليها . ولا شك أن هذا الوحي الإلهي ما جاء إلا تأكيدا وبعثا من جديد لذلك المكان ، الذي كان منذ أمد بعيد مكانا يعبد فيه الله تعالى .

ومن خصائص المذبح – أي مذبح – المذكور في العهد القديم المزعوم ، وادعائه أن عددا كبيرا من الأنبياء قد قاموا ببناء مثل هذه المذابح ، فإنه يتم ذبح التقدمات (الذبائح) في هذه المذابح قربى إلى الله تعالى ، ولم يكن المقصود بذلك إلا الأصنام التي كانت تعبد في ذلك الوقت . ولم يحدثنا التاريخ عن إبراهيم عليه السلام ، ولا أبنائه من بعده ، أنهم كانوا يذبحون في (مذبح) مكان محدد ، ومنذ عهد إبراهيم عليه السلام ، فإن التضحية (الذبح) لا مكان محدد لها ، وأنها (الأضحية) تقبل في أي مكان ذبحت فيه .

وعليه ، فإن ما بناه داود عليه السلام لم يكن إلا مسجدا لله تعالى ، ثم جاء سليمان عليه السلام ووسعه ، وزاد فيه .

الإسلام دين الله الأوحد :

لقد بعث الله تعالى الأنبياء والرسل ابتداء من آدم عليه السلام ، وانتهاء بمحمد صلى الله عليه وسلم ، وكانت دعوتهم واحدة ،ولم تتغير على مر العصور، وهي كما قال تعالى : " **وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون . " الأنبياء 25** ، فأصل الدعوة عند الجميع واحد ألا وهو الدعوة إلى عبادة إله واحد ، لا شريك له .

وبما أن الكتب السماوية جميعها من عند الله تعالى ، بما فيها (توراة وزبور) موسى وداود عليهما السلام ، فإن ما جاء فيها متشابه ، ولا يخالف بعضه بعضا .

وهكذا أيضا جميع الأنبياء ، كانوا جميعا على دين واحد ، ألا وهو دين الإسلام ، فنوح وإبراهيم وإسماعيل وإسحق ويعقوب ويوسف وموسى وهارون واليشع (يشوع) وداود وسليمان وعيسى ومحمد عليهم السلام جميعا ، وغيرهم كانوا مسلمين ، وهذا ثابت في القرآن الكريم .

وما يهمنا هنا هو (داود وسليمان) عليهما السلام ، وليس هناك في القرآن الكريم ما يدل على أنهما قد جاءا بدين اسمه (اليهودية) ، بل كانت دعوتهما هي نفس دعوة الأنبياء والرسل الآخرين . قال تعالى : " **ولقد آتينا داود وسليمان علما وقالا الحمد لله الذي فضلنا على كثير من عباده المؤمنين . " النمل 15**

وعندما كتب سليمان عليه السلام إلى ملكة سبأ وقومها ، كتب قائلا : " **بسم الله الرحمن الرحيم ألا تعلو علي وأتوني مسلمين . " النمل 30، 31** ،ولم يقل طائعين ، أو مسرعين ، أو نادمين . . . . الخ . بل كان مطلبه الوحيد أن يأتوه مسلمين ، فلو لم يكن سليمان عليه السلام مسلما ، لما طلب ذلك .

ولما جاءت إليه ، أسلمت قائلة : " . . . **رب إني ظلمت نفسي وأسلمت مع سليمان لله رب العالمين . " النمل 44** .

فداود وسليمان عليهما السلام كانا نبيين مسلمين ، وأن ما قاما ببنائـــه فـــي أورشالم ما هو إلا بيت (مسجد) لعبادة الله تعالى ، وليس مذبحا .

وعلى هذا الأساس ، فإننا معشر المسلمين علينا أن نشجع وندعو إلى مزيد من التنقيبات الأثرية لاكتشاف أصول هذا المسجد إن بقيت . فداود نبينا ، وســـليمان نبينا عليهما السلام ، ودينهما ديننا ، وبيتهما (مسجدهما) بيتنا ، ونحن أحق بهمـــا وبدينهما من الآخرين ، لكذب دعواهم وفساد أمرها .

ولا شك في أن مواصفات هذا البيت ، والذي يدعـــوه بنـــو إسرعيـــل بـــــ (الهيكل) والموصوفة في التوراة ، ما هي إلا خيالات اســـتوحاها مؤلفـــو العهـــد القديم مـــن المعابد والهياكل القديمة المعاصرة التي كانت تعبـــد فيهـــا الأصنـــــام المختلفـــة . وما كان داود وسليمان عليهما السلام لأن يبنيا بيتاً للصلاة فيه هم ومن اتبعهم ، ويكون الذهب والتماثيل جزءا أساسيا من مكوناته التي ينكرها ويرفـــضها الإسلام في هذا المقام . وأن هؤلاء العلماء والمؤرخين الذين صدقوا ما جاءت بـــه مرويات العهد القديم ، بهذا الخصوص لا شك أنهم مضللون ، وما أرى الحـــديث عن هذه المواصفات الخيالية إلا مضيعة للوقت والجهد .

وإذا كان داود عليه السلام ، قد بنى بيته (مسجده) للمـــؤمنين مـــن بنـــي إسرعيل في بيدر أرونة اليبوسي ، فقد كان ذلك حوالي ســـنة (1000 – 965 ق. م.) . وتؤكد جميع التنقيبات الأثرية التي جرت في أورشالم ، بأنها كانت في تلـــك الفترة قرية صغيرة محصنة ، تقول مارغريت شتاينر : " إن البقايا الأثريـــة التـــي جرى اكتشافها حتى الآن لتدل على أن أورشليم كانت خلال القرن العاشر والقـــرن التاسع قبل الميلاد بلدة متواضعة تشغلها بصورة رئيسية الأبنية الإداريـــة ، أمـــا مساحتها فلم تزد عن 30 أكرا ، ولم يسكن فيها أكثر مـــــن 2000 نـــسمـــة . " (**طومسون ، القدس أورشليم العصور القديمة ، ص 115**) .

كما نشر عالم الآثار الإسرعيلي (زائيف هيرتزوغ) في صحيفة (هآرتس) مقالة قال فيها :

" أن التنقيبات الأثرية خلال فترة قرن ونصف القرن تقريبا قد كشفت في موقع أورشليم عن بقايا أثرية هامة تعود إلى عصر البرونز الوسيط وعصر الحديد الثاني . أما عصر داود وسليمان (القرن العاشر قبل الميلاد) فلم تكشف التنقيبات إلا عن عدد قليل من كسرات الفخار . إن صمت الوثائق الأثرية هذا لذو دلالة هامة في رأيه ، خصوصا عند مقارنته بغزارة المعلومات الأثرية في الفترات السابقة واللاحقة ، وهو يدل على أن أورشليم كانت مدينة صغيرة في عصر داود وسليمان وربما كانت مركزا إداريا لمشيخة محلية ، لا عاصمة لمملكة كبيرة . " **(طومسون ، القدس أورشليم العصور القديمة ، ص 366، 367)** .

وكذلك يرى فينكلشتاين " أن نقص الوثائق الأثرية في القرن العاشر لا يقتصر فقط على البنى المعمارية الضخمة ، وإنما يتعداها إلى اللقى الأثرية الصغيرة ."**(طومسون ، القدس أورشليم العصور القديمة ، ص 367)** .

ولهذا فإن ما تدعيه المرويات التوراتية من بناء (هيكل) بتلك المواصفات في أورشالم ، في القرن العاشر قبل الميلاد ، في الوقت الذي لم يكن فيها كثير من السكان ، هو أمر لا يمكن للعقل قبوله ، ولا تصوره .

ولكن فيما بعد ، وفي عصر الحديد الثاني ، بدأت أورشالم تنهض ، وتوسع من سيطرتها السياسية والاقتصادية على كثير من المدن المجاورة ، وأصبحت مركزا للمنطقة ، وهاجر إليها عدد كبير من السكان وخاصة بعد سقوط لخيش على يد الأشوريين سنة 701 ق. م. ولهذا " " يقدر بعض الباحثين أن سكان المدينة في أواخر القرن الثامن قبل الميلاد قد تجاوز الـ 15000 نسمة ضمن مساحة

زادت عن الخمسين هكتــارا. " " (**طومسون ، القدس أورشليم العصور القديمة ، ص 180) .**

وفي ذلك العصر أيضا ، وبعد وفاة داود وسليمان عليهما الـسلام بفتــرة ، ارتد كثير من بني إسرعيل عن عبادة التوحيد ، وعبدوا الأوثان ، وآلهــة الـشعوب الأخرى ، وبنوا لها الهياكل والمذابح ، ولهذا ، فليس من المستبعد أن يكون هــؤلاء الملوك المرتدون الذين حكموا أورشالم في عصر الحديد الثاني ، قد حولــوا بيــت (مسجد) داود وسليمان عليهما السلام إلى هيكل ، وزادوا في مساحته ، حتــى أصبح رمزا من رموز الكفر، ومكانا يحج إليه عبدة الأوثان من كل أنحاء فلسطين.

ففي عهد الملك (يوشيا) الذي حاول تركيز العبادة الإسرعيلية في أورشالم، قام بتدمير المعابد الأخرى في منطقة الهضاب الجنوبية (يهوذا) ، وأبقى معبـــد (هيكل) أورشالم فقط ، مع ما فيه من المعبودات .

ولهذا فما أن جاءت سنة (586 ق. م.) إلا وكانت أورشالم مدينة مركزية مليئة بالسكان ، والتجار من مختلف البلاد ، وأكبر عاصمة في فلــسطين ، وتبعــا لذلك كان الهيكل الوثني فيها يتناسب مع هذه الصورة الجديــدة لأورشــالم القــرن السادس قبل الميلاد .

لماذا هيكل سليمان عليه السلام ؟

تأتي أهمية أورشالم وهيكلها المزعوم عند بني إسرعيل من ادعائهم أنهــا تقع في مركز الكون . فقد جاء في (المدراش) الإسرعيلي :

" " كما أن السرة موجودة في وسط الجسد

كذلك فإن أرض إسرعيل هي سرة الدنيا ، فهي تقع في مركز الكون

والقدس تقع في مركز إسرعيل
والهيكل في مركز القدس
وقدس الأقداس في وسط الهيكل
وتابوت العهد في وسط قدس الأقداس
وحجر الأساس أمام قدس الأقداس
لأن العالم خلق منه . " " (**محمود عواد ، إقامة الهيكل المزعوم ، ص 44**) .

وإذا كان هذا القول مسروقا عن المعتقدات الكنعانية ، يتبين لنا أن هذا الادعاء الذي لا يعتمد على أي أساس ديني ، إنما هو وسيلة من أجل امتلاك أورشالم والبقاء فيها . وأنهم عازمون على إعادة بنائه ، على اعتبار أنه هو الرمز الذي يجمع اليهود من جميع أنحاء العالم ، ولو أنهم لا ينتمون إلى إثنية واحدة ، فاليهودية دين وليست جنسا .

ولهذا نجد اليهود أنهم في كل وقت ، ما إن يتم تدمير الهيكل المزعوم ، وتسنح لهم الفرصة لإعادة بنائه إلا وقاموا بذلك . وبعد احتلال كامل القدس في حرب عام 1967م ، عندما تمت مناقشة موضوع القدس في أحد اجتماعات الحاخامات الإسرعيليين ، طالب المجتمعون بإعادة بناء الهيكل المزعوم ، وكان رد وزير الأديان في حينه على المجتمعين أن قال لهم : " "إن أحدا لا يجادل في أن الهدف النهائي لنا هو إقامة الهيكل ." " (**محمود عواد ، إقامة الهيكل المزعوم ، ص 36**) .

فليس من الغريب إذن أن يكون هدف عزرا ونحميا الأول عندما عادا إلى أورشالم في أوسط القرن السادس قبل الميلاد ، أن يبدءا ببناء هيكلهما على

أنقاض الهيكل القديم كما يدعون ، وهذا دليل على أن بني إسرعيل في ذلك الوقت لم يكونوا من المؤمنين الموحدين لله تعالى ، بل أن الوثنية كانت هي الطابع الغالب على ديانتهم ، وعلى أماكنهم الدينية .

واليوم عندما تحاول إسرعيل إعادة بناء الهيكل في مكان بيت (مسجد) داود وسليمان عليهما السلام ، لا تفعل ذلك من قبيل التمسك بالدين الذي تتبعه ، وإنما هو هدف سياسي أكثر منه ديني .

أين هو الهيكل المزعوم ؟

" لا أحد يعرف المكان الذي كان فيه الهيكل بالتحديد ." هذا ما قالته عالمة الآثار الإسرعيلية (إيلات مازار) . فمنذ أن احتلت إسرعيل القدس عام 1967م ، وحتى الآن وهي تقوم بالتنقيبات الآثارية في كل مكان من فلسطين عامة والقدس خاصة ، ولكن لم يتم الكشف عن أي أثر لما يسمى بـ (هيكل سليمان) .

وقد صرح بذلك أكثر من عالم آثار إسرعيلي وغيرهم . قال عالم الآثار الإسرعيلي بنيامين مازار بعد العديد من التنقيبات والاكتشافات الأثرية : " ببساطة يمكن الاستنتاج من كل هذا عدم وجود أي أثر للهيكل . " (**محمود عواد ، إقامة الهيكل المزعوم ، ص 38**) .

ويقول فينكلشتاين : " كما أن الدليل الآثاري على مشاريع البناء المشهــورة لسليمان في أورشالم (القدس) مفقود تماما . لقد أخفقت كل التنقيبات الآثارية التي أجريت ، في القرن التاسع عشر ، وبدايات القرن العشرين ، حول جبل الهيكل فــي أورشالم (القدس) في التعرف حتى على مجرد أثر بسيط لهيكل سليمان الأسطــوري . " (**فينكلشتاين ، التوراة اليهودية مكشوفة على حقيقتها ، ص 173**) .

كما يؤكد العالم (مئير بن دوف) " أنه لا صحة لما يقال أن بقايــا الهيكل موجودة أسفل الحرم القدسي الشريف . " (**صحيفة الرأي الأردنية ، 2001/1/23م**) . وإذا كان البعض يدعي أن المسجد الأقصى قائم على جدران الهيكل المزعوم ، فقد حسم البروفيسور أرنست مارتن الأمر بأن قال : " إن هياكل القدس لــم تكــن في الحقيقة في الحرم الشريف " جبل الهيكل " المشار إليه تقليديا ، بل إلى الجنوب من الحرم مباشرة فوق عين جيحون (عين أم الدرج) . كما أن جدران ما يسمــى " جبل الهيكل " – أي الحرم الشريف – القائمة الآن ، هي فــي الحقيقــة جــدران حصن أنطونيا . " (**محمود عواد ، إقامة الهيكل المزعوم ، ص 39**) .

وإذا كان هيكل سليمان عليه السلام المزعوم ، وقصوره ، بالمواصفات التي جاءت في العهد القديم ، فإن ذلك ولا شك كان يتطلب مساحة واسعة حتى تتم إقامة هذه الأبنية عليها . فمن الناحية الجنوبية لأورشالم لم يكن التوسع ممكنا لوجود وادي سحيق . وكذلك من الجهة الشرقية . وبقــي التوسع منحصــرا في الجهــة الغربية ، والشمالية ، وهذه تعتبر أسهل الجهات للتوسع العمراني .

وترى (كنيون) أن " هيكل سليمان يقع على بعد 232 م إلى الشمال مــن السور الشمالي لمدينة داود وقد وصل موقعه بهذه المدينة القديمة بــشريط ضــيق على قمة السلسلة ، وقد وجد دليل على خط السور الشرقي بهذا الامتداد . . . وهذا الامتداد وفر المساحة المطلوبة لسليمان لبناء قصوره وأبنيته الإدارية . " (**كنيون ،**

الكتاب المقدس والمكتشفات الآثارية الحديثة ، ص 68) . ويبقى ذلك كله مجرد تخمين ، لأنه لا توجد أية مكتشفات أثرية حتى الآن تثبت ذلك .

ولهذا فإن هذه الحفريات التي ينشط الإسرعيليون على القيام بها حول المسجد الأقصى والصخرة المشرفة ، وساحات المسجد ، لا تهدف إلى إيجاد ما يسمى (هيكل سليمان) لأنهم يعرفون حق المعرفة أن ذلك غير موجود ، وإنما يهدفون من وراء ذلك إلى هدم المسجد والصخرة ، وإقامة المباني الجديدة التي يريدونها بحجة أنها أرض هيكل سليمان . يقول شبتاي أبو سنينة : " . . . لا يمكن تفسير الحفريات الإسرعيلية تحت الأقصى بأنها جهود حقيقية من قبل الصهاينة لتحديد موقع " الهيكل " بل أن المستهدف هو المسجد الأقصى لتشويه وتغيير الوجه الإسلامي للشطر الشرقي من القدس . " **(محمود عواد ، إقامة الهيكل المزعوم ، ص 41)** .

الهيكل في مخطوطات خربة قمران :

سبق وأن قلنا بأن داود وسليمان عليهما السلام كانا نبيين مسلمين ، وبالتالي فإن ما يدعيه العهد القديم وغيره من ممارسات وثنية في هذا البيت على عهدهما ما هي إلا أساطير لا يمكن قبولها بأي حال من الأحوال . وقد تحدثت لفائف خربة قمران عن هذه الممارسات الوثنية ، وذلك في المخطوطة المعروفة باسم (مخطوطة الهيكل) .

تصف هذه المخطوطة الطقوس الوثنية التي كانت تمارس في الهيكل في العصور المتأخرة على بنائه ، معتبرة إياه أكبر هياكل أورشالم ، والذي كان يعتبر قدس الأقداس الواقع في مركزه ، مركز الكون المخلوق أيضا . وتمضي المخطوطة في وصف الكيفية التي يحضر بها الرب إلى هذا الهيكل بصورة أسطورية ، فتقول : " إلى هذا المكان يأتي الرب في حضرة غير مرئية . وراء

قدس الأقداس الفارغ تتوضع أفنية الهيكل : " فناء الكهنة ، ثم فناء الإسرعيليين ، وأخيرا فناء النساء ". ووراء الهيكل هناك المدينة المقدسة ، أما وراء المدينة المقدسة فهناك بقية العالم . حيث تتناقص القداسة ثم تتلاشى . " (**فيليب ديفز ، القدس أورشليم العصور القديمة ، ص 241**) .

كما تحدثت مخطوطة (وثيقة دمشق) وهي أيضا وجدت في خربة قمران، وكان قد وجد ما يشابهها في كنيس يهودي بالقاهرة ، وهما نسختان يعود تاريخهما إلى القرن العاشر الميلادي . ففي مخطوطة دمشق ، ينتقد كاتبها الشعائر التي كانت تقام في الهيكل ، ولكنه لا يرفضها ، فهو يؤكد على مركزية العبادة في الهيكل شريطة أن تكون على الوجه الصحيح كما يدعي .

ومنذ أن هدم (هادريان) مدينة أورشالم وهيكلها المزعوم سنة 132 م. لم يتحدث اليهود عن شيء اسمه (الهيكل) ، وبقي هذا الأمر مهجورا حتى ظهرت الحركة الصهيونية في أواخر القرن التاسع عشر الميلادي ، حيث ظهر الموضوع من جديد . وأخذت تتحدث عن فكرة المدينة المقدسة ، وفكرة أرض إسرعيل ، وهنا أخذت مدينة أورشالم القدس وهيكلها المزعوم مكان الصّدراة في جميع الأحاديث والخطابات التي كان يتحدث بها زعماء الصهاينة ، معتبرين إياها (المدينة الأبدية المقدسة) ، ليس باعتبارها مسكنا لله ، وإنما مسكنا لإسرعيل .

ومن أجل زيادة تمسك اليهود بإسرعيل ، عملت الصهيونية على إحياء فكرة إعادة بناء (هيكل سليمان) المزعوم وإعادة الطقوس الوثنية التي كانت تمارس فيه ، والتي توقفت منذ الثلث الأول للقرن الثاني الميلادي .

وقد تحدث فيليب ديفز عن هذا الموضوع ، فقال :

" ولكن من أين تأتي أهمية جبل صهيون بالنسبة إلـى اليهـودي المعاصـر ؟ هنالك عدة أجوبة عن هذا السؤال . فهناك قلة من اليهود ، طبعا ترغـب فـي إعـادة تأسيس الهيكل ، واستئناف طقوسه التي من شأنها تعزيز الاقتصاد الحيواني والمساهمة في تلويث البيئة بدخان القرابين . وبالنسبة إلى فريق آخر فإن الله يقيم الآن فـي جبـل صهيون الحقيقي ، بشكل رمزي أو حتى فعلي ، وهو قد منحهم بركتـه ثانيـة . أمـا بالنسبة إلى الفريق العلماني من اليهود ، فليس للهيكل أية أهميـة لهـم إلا باعتبـاره شاهدا ضخما على ملكية اليهود للمدينة منذ قرون عديـدة خلـت . " (**طومـسون ، القدس أورشليم العصور القديمة ، ص 244**) .

وإذا ما عرفنا بأن (السامريين) وهم طائفة من اليهود ، لا يؤمنون بمركزية العبادة في هيكل سليمان المزعوم ، ولا يرون فيه مسكنا للإله يهوه ، وضح لنا لماذا يصر اليهود الصهاينة على احتلال أورشالم القدس ، وبناء هيكلها المزعوم وجعله مركزا لعبادة بني إسرعيل .

ولا شك في أن الهدف السياسي ، هو الموجه لما تقوم به إسرعيل ، ومن وراءها في فلسطين ، وغيرها .

كما نجد أن الكاهن عزرا ، منذ أن أقدم على كتابة التوراة في أثناء التهجير البابلي ، يحرص على تسمية (البيت) الذي بناه داود وسليمان عليهما السلام ، يحرص على تسميته باسم (الهيكل) ، ويؤكد على أنه تم تدميره على يد نبوخذنصر البابلي ، وأنهم عازمون على إعادة بنائه وإعماره على اعتبار أنه يمثل الرمز الإسرعيلي في فلسطين .

الهيكل الثاني :

يعتبر الإسرعيليون أن (البيت) الذي بناه داود وسليمان عليهما السلام ، هو الهيكل الأول ، وأن هذا الهيكل قد تم تدميره على يد نبوخذ نصر عندما احتل أورشالم حوالي سنة 586 ق. م.

وبعد السماح لبني إسرعيل بالعودة إلى أورشالم في عهد قورش الفارسي، بعد سقوط بابل ، سنة 539 ق. م. كان من ضمن العائدين إلى أورشالم (زروبابل Zerubbabel) الذي عمل على بناء هيكل على أنقاض بيت داود عليه السلام ، لممارسة الطقوس الإسرعيلية الوثنية فيه ، ومدعيا أن ذلك سوف يتم فوق أساسات بناء الهيكل الأول المزعوم .

في ذلك الوقت ، كانت أورشالم مدينة صغيرة ، تعيش حالة فقر وعوز ، كبقية مدن إقليم يهوذا الفارسي . وإذا كان زروبابل يدعي أن قورش قد سمح له وساعده بالمال لإعادة بناء الهيكل المزعوم ، فليس هناك أي مستند تاريخي أو أثري ، يؤيد هذا الادعاء ، خارج مرويات العهد القديم ، الذي جاء فيه : " هكذا قال كورش ملك فارس جميع ممالك الأرض دفعها إلي الرب إله السماء وهو أوصاني أن ابني له بيتا في أورشليم التي في يهوذا . . . " سفر عزرا 1: 2 .

وإذا ما علمنا بأن قورش الفارسي كان وثنيا ، فبالتالي فإن بناء الهيكل الذي يريده لم يكن إلا لتمارس فيه الطقوس الوثنية التي يريدها . وأيضا فإن الإسرعيليين العائدين من بابل ، كانوا يمارسون طقوسهم الوثنية المقتبسة عن الفرس وغيرهم في بابل في أماكن سمح لهم بممارسة مثل هذه الطقوس بها ، وعندما عادوا إلى أورشالم رغبوا في أن تكون لهم أماكن خاصة بهم لممارسة مثل هذه الطقوس . فاختاروا بناء (هيكل) على أنقاض بيت داود وسليمان عليهما السلام ، حيث أن ذلك المكان على جبل أوفل ، كان مكان تجمع لمعظم سكان

أورشالم في تلك الفترة ، وهكذا أطلق الإسرعيليون على المبنى الجديد اسم (الهيكل الثاني) .

فالهيكل الثاني ، حسب الادعاءات الإسرعيلية قام زروبابل والعائدون معه ببنائه في أورشالم التي كانت تعتبر عاصمة المقاطعة الفارسية حينذاك في قسم من يهوذا .

وبعد سنتين من البدء في وضع أساسات الهيكل ، توقف العمل فيه ، لعدة أسباب من بينها الخلافات بين العائدين ، ومن بقي في أورشالم ، الذين يرون أن الوقت غير مناسب لبناء الهيكل في حينه . وأنه بدلا من أن ينشغلوا في بناء هيكل ، ليبنوا بيوتا يسكنون فيها . كما أن الفقر المدقع الذي كان يسود المنطقة بكاملها ، جعل من الصعوبة بمكان توفير المال اللازم لبناء الهيكل ، وتأثيثه .

كذلك كان لمعارضة جيران أورشالم من القبائل ، وجماعات السامريين في السامرة ، أثر كبير في تأخير بناء الهيكل الثاني .

ومهما يكن الأمر فإن العهد القديم ، يرى أن الهيكل الثاني قد تم بناؤه حوالي سنة 516 ق. م. وما من شك في أن هذا الهيكل الجديد لم يكن بمواصفات (هيكل سليمان المزعوم) ، بل أقل منها بكثير . وبقي هذا الهيكل قائما ، وقد تم تطويره وتوسعته في عهد الحشمونيين فيما بعد .

وعندما تولى الملك السلوقي (أنطيوخوس أبيفانس 175 – 164 ق. م.) الحكم في الدولة السلوقية ، زار أورشالم سنة 173 ق. م. فاستقبل من قبل جميع سكانها استقبالا حافلا ، وعلى أثر ذلك وافق على تحويل أورشالم إلى مدينة (بوليسة) أي مدينة إغريقية . ثم أصدر أمرا ألغى بموجبه قوانين الشريعة الموسوية المحرفة التي كان يعمل بها في الهيكل ، وتم استبدالها بطقوس إغريقية وثنية . وهكذا أصبح هيكل زروبابل هيكل أورشالم مركزا دينيا عالميا لكل الوثنيين ، بعد أن كان خاصا ببني إسرعيل فقط .

وحدثت بعد ذلك عدة تغييرات على وضعية الهيكل الثاني ، وممارسة الشعائر الدينية الوثنية العامة فيه ، وبقي الأمر كذلك بين مد وجزر ، حتى تولى حكــم أورشالم هيرود (حرد) ، والذي تجمع الروايات على أنه كـــان (نصف يهودي) ، ولهذا فإن حكمه لأورشالم لم يكن حكما يهوديا بالمعنى الحقيقي، وإنما هو حكم علماني هيلينستي .

وفي هذا العهد تراجعت منزلة الهيكل الدينية عند اليهود ، حيث تم تحويله إلى مزار عالمي لكل الديانات ، وحتى يتم لهيرود ذلك ، قام بإعادة بناء الهيكل من جديد .

الهيكل الثالث :

يطلق بنو إسرعيل على الهيكل المزعوم الذي بناه سليمان عليه السلام اسم الهيكل الأول . وعلى الذي بناه زروبابل اسم الهيكل الثاني . ويطلق المؤرخون على هيكل هيرود اسم الهيكل الثالث . وهناك من يتجاهل هيكل زروبابل ، ويسمي هيكل هيرود باسم الهيكل الثاني .

فلما تولى هيرود حكم أورشالم سنة 37 ق. م. جعلهـــا مدينـــة هيلينستيـــة عالمية ، أوجد فيها كثيرا من الإصلاحات والعمران ، حتى تكون مناسبة للوضع الجديد الذي أراده . وكان من ضمن التحديثات الجديدة التي أضافها في المدينة ، إعادة بناء (هيكل زروبابل) . وليس هذا هو الهيكل الوحيد الذي بناه هيرود ، فقد بنى مثله عدة هياكل في مدن أخرى . ومن هنا لا يمكننا القول بأن هيكل هيرود في أورشالم ، كان هيكلا يهوديا ، بل هو هيكل وثني عالمي لمختلف الديانات . وما اليهود إلا واحدا من هذه الشعوب التي كانت تمارس طقوسها الوثنية في هذا الهيكل .

ولهذا فإننا نقول ، إذا كان داود وسليمان عليهما السلام النبيان المسلمان قد بنيا (بيتا) لعبادة الله وحده في أورشالم ، فإنه لا علاقة لهذا البيت ببني إسرعيل وبطقوسهم الوثنية فيما بعد ، التي لم يكن داود أو سليمان عليها السلام يدعوان لها .

وبعد وفاتهما وحصول ردة كبيرة عند بني إسرعيل ، وتحولهم إلى عبادة الأوثان ، وتقديسها ، أسوة بالفراعنة في مصر ، والأشوريين ، والبابليين ، والفرس ومن بعدهم الإغريق والرومان ، فإن هذه الردة فتحت المجال أمام بني إسرعيل لعبادة مختلف الأوثان والآلهة التي كانت تعبد في ذلك الوقت . وليس هناك ما يؤكد تاريخيا ولا أثريا على أن الهيكل الأول كان حسب المواصفات التي تحدثت عنها المرويات التوراتية . وبعد أن جاء زروبابل وبنى الهيكل الثاني ، لم يكن إلا بناء متواضعا ، يؤمه عدد قليل من بني إسرعيل ، كما كانت هناك هياكل أخرى في أورشالم أصغر مساحة في نفس الوقت ، للجماعات الدينية الأخرى التي كانت تقيم في المدينة .

وفي فترات محدودة من حكم الحشمونيين لأورشالم ، كان للكاهن الأعلى – من بني إسرعيل – سلطة كبيرة في مختلف الشؤون السياسية والدينية ، وفي هذه الفترة انتعشت مكانة الهيكل الدينية ، والتي ما لبثت أن خمدت بعد أن أصبحت أورشالم مدينة هيلينستية عالمية .

وقد بدا ذلك واضحا في عهد هيرود (حرد) الذي ألغى مكانة الهيكل الدينية التي كانت في عهد الحشمونيين ، وأعاد بناءه وإصلاحه وتحديثه ، ليتناسب مع التوجه الديني الجديد (غير اليهودي) لمملكة هيرود في أورشالم ، والتي أسسها من سنة (37 – 4 ق. م.) . ولهذا يمكن القول أن هيكل هيرود ، لم يكن هيكلا لبني إسرعيل ، وأنه لا يجوز لهم الادعاء بأن هذا الهيكل كان تابعا لهم ، نظرا لمخالفة ذلك للسجلات التاريخية والتنقيبات الأثرية .

ويما أن هيرود كان محبا للثقافة والعمارة الهيلينستية الإغريقية ، لذلك بنى هيكله على هذا النمط ، ويقال أنه استخدم أساسات بيت (مسجد) سليمان عليه السلام ، فطغت عليها ،وغيّرت معالمها كلية " لدرجة لم يستطع معها الأثريون حتى الآن من العثور على أية معالم مؤكدة من هيكل سليمان ، أو أية تحصينات قديمة . " **(وليم أولبرايت ، آثار فلسطين ، ص 149)** . ويضيـــف أولبرايت قائــلا : " ومن المؤسف حقا أنه لم يبق لنا حتى قطعة واحدة من هيكل هيرودس نفسه . " **(وليم أولبرايت ، آثار فلسطين ، ص 150)** .

ويصف (جون سترينج) هيكل هيرود ، فيقول :

" يتكون مخطط الهيكل من سبعة منازل أو مجالات متوضعة فوق بعضها ، تتدرج في الاتساع من دائرة المحيط الخارجي إلى نقطة المركز حيث محراب المعبد ، فالقادم مـــن الخارج يجتاز أولا المنزلة الأولى وهي فناء الوثنيين ، ثم فناء النساء ، ففناء إسرعيل ، ليصل إلى بناء المعبد فيجتاز الردهة الخارجية ثم القاعة الوسطى ليقف أمام الستارة التي تفصل المنزلة الأخيرة وهي المحراب أو قدس الأقداس ، التي لا يستطيع الولوج إليها إلا الكاهن الأعظم ، والتي كانت تحتوي في الماضي على تابوت العهد . إن اجتياز هذه المنازل السبعة أشبه برحلة عبر أفلاك الكواكب السيارة السبعة . وهو مفهوم هيلينستي ذو صلة بعلــم التنجيم . وفي اعتقادي فإن مخطط الهيكل كان ينطوي على رسالة موجهة إلـــى العالــم الهيلينستي والروماني ، فهنا في أورشليم يقوم مركز الكون . " **(طومسون ، القـــدس أورشليم العصور القديمة ، ص 161، 162)** .

ونظرا لأن المنطقة التي يقع عليها الهيكل ، هي عبارة عن تلة ، فقد كان الهيكل يشرف على أورشالم كلها في ذلك الوقت . وقد استخدم الهيكـــل لتأديـــة مهمتين . الأولى : كان مكان عبادة وثنية عامة ، وليس لبني إسرعيل وحدهم ،

حيث وضعت فيـــه معبودات لمختلف الأديان . وكأن هيرود أراد أن يعلن بذلك أن الديانة اليهودية أصبحت الآن جزءا من الديانات الهيلينستية المختلفة . والثانية : كان مركزا لنشر الثقافة الإغريقية في أورشالم القدس خاصة،ومملكة هيرود عامة .

مما سبق ، نرى أن (بيت) أورشالم ، أو (هيكل) أورشالم حســب ادعاءات بني إسرعيل ، لم يكن في يوم ما (اسرعيليا) خالصا ، إلا لفترة قصيرة – أقل من مائة سنة – في عهد الحشمونيين ، فعلى أي أساس تطالب إسرعيل بـــ (الهيكل) المزعوم ؟ وما هو بهيكل في الأساس عند بنائه ، إنها أسطورة من أساطير التاريخ الإسرعيلي القديم ، التي تدعيها ، وتكررها صباح مساء ، وتدعمها بكل ما أوتيت من قوة سياسية وماديـــة وإعلامية ، لتلفيق الأصول ، واختلاق الفصول .

الفصل التاسع

التهجير والتدمير الآشوري والبابلي

مملكة السامرة :

كان المصريون يسيطرون على الطرق التجارية التي تمر من فلسطين ، والمتجهة شمالا إلى سورية ، ومنطقة الفرات . ولكن في القرن الحادي عشر قبل الميلاد ، وبعد انسحاب المصريين من فلسطين ، انفرط عقد الهدوء ، والتبعية الفلسطينية للمصريين ، واستقلت كل مدينة بنفسها ، وأصبحت كل مدينة تتولى حماية القوافل التجارية التي تمر بالمنطقة التابعة لها ، وتحصل مقابل ذلك على مبلغ من المال ، أو البضاعة .

كما أصبحت كل مدينة (مملكة) تتحكم بثرواتها ، مهما كان نوعها ، وعليها يقع عبء استغلالها وتسويقها ، وكان من أهم الخطوط التجارية في فلسطين الخط التجاري القادم من مصر ، مارا بسهل (يزرعيل / مرج ابن عامر) متجها إلى وادي الأردن الشمالي ، ومنه إلى بلاد آشور .

وكانت بيت شان (بيسان) القاعدة العسكرية المصرية القديمة ، هي البوابة التي تتحكم في هذا الخط شمالا ، ولكونها مدينة صغيرة ، ولا جيش قويا لها ، فلم يكن بإمكانها أن تتحدى ممالك المدن الأخرى الواقعة في سهل يزرعيل ، وعلى أطرافه . وكذلك الممالك الأخرى ، مثل مملكة صور ، ومملكة دمشق .

ولهذا ، دخلت هاتان المملكتان الكبيرتان في حينه ، في صراع للسيطرة على سهل يزرعيل، وعلى الطريق التجاري الذي يمر به ، وبقيت سيطرتهما على المنطقة قائمة طيلة القرن الحادي عشر ، والعاشر قبل الميلاد .

ولكن في القرن التاسع قبل الميلاد ، ظهرت قوة ثالثة في المنطقة ، ألا وهي قوة مملكة السامرة .

ويعتبر (عُمري) مؤسس مملكة السامرة ، بعد الانفصال عن مملكة داود عليه السلام (مملكة أورشالم) ، والذي تسميه النصوص الآشورية (هُمري Humri) ، ومملكته مملكة بيت هُمري . Bit Humri ، وكان ذلك حوالي سنة 885 ق. م. وهو عربي الأصل على الأغلب ، حيث " أن اسم أُمري ، وصيغته الآشورية هُمري ، إنما هو اشتقاق واضح في اللغة السامية الغربية والشرقية للإسم العربي المعروف عُمر . " (**طومسون ، يوم القدس ، الندوة السابعة ، عمان 1996م ، ص 40**) . واتخذ من ترصة (ترزة) عاصمة له في البداية ، ثم انتقل إلى السامرة (سبسطية) ، واتخذها عاصمة له .

وقد استقبلت السامرة كثيرا من مهاجري الأغوار ، بعد انتهاء فترة الجفاف الميقيني ، حيث استقر عدد كبير منهم في المناطق الزراعية الواسعة في المنطقة ، واستعملوا المحاريث الزراعية الحديدية بكثرة ، وحفروا الآبار ، وأنشأوا خزانات لجمع المياه ، وشقت القنوات للري ، وأكثروا من زراعة الزيتون ، مما استوجب فيما بعد إنشاء عدد من معاصر الزيتون التي كانت تنتج كميات وافرة من زيت الزيتون ، مما استدعى الإدارة المركزية إلى العمل على إيجاد أسواق لتصريف إنتاجها من الزيت ، الذي كان الآشوريون من أكثر الممالك استيرادا له .

ونظرا لأن حكومة السامرة كانت تحتكر تجارة الزيت والزيتون ، وأن ذلك يتعارض مع مصلحة المملكة الآشورية ، لهذا رأى الآشوريون أن من مصلحتهم احتلال المنطقة ، والسيطرة على هذه الزراعة ، والصناعة ، والتجارة .

ومما لا شك فيه ، أن مملكة السامرة هي ليست مملكة إسرعيلية ، أو يهودية ، كما يحلو للبعض أن يدعي ، وإنما هي مملكة فلسطينية كنعانية ، وأغلب سكانها هم فلسطينيون محليون كانوا قد هجروا المنطقة لظروف اقتصادية صعبة ،

ثم ما لبثوا أن عادوا إليها بعد زوال هذه الظروف ، وأنه لا علاقة لهم بالأسباط العشرة التوارتيين ، الذين يرى كتبة العهد القديم أنهم استوطنوا الهضاب الشمالية والوسطى من فلسطين بعد أن قام يوشع عليه السلام ، بتوزيع أرض فلسطين التي احتلها على الأسباط كما يدعون .

وكانت حدود هذه المملكة تقع بين بيت إيل قرب رام الله جنوبا ، إلى شمالي وادي يزرعيل (جزريل) ، ووصلت في حدودها شرقا إلى نهر الأردن ، وإلى ساحل البحر غربا .

ولما كانت مملكة السامرة ترى أن الخطر الأكبر محدق بها من المملكة الآشورية ، فقد دخلت في حلف مع إثنى عشر ملكا ، وخاضت معركة قرقرة ضد الآشوريين سنة 854 ق. م. تقريبا . وقد خلد شلمنصر الثالث الآشوري هذه المعركة على مسلة ، كتب عليها :

" . . . وعدتهم اثنا عشر ملكا دخلوا ضدي في معركة حاسمة وحاربتهم بعون آشور وقوى آشور التي أمدني بها وأسلحة " نرجال " قائدي الذي أهداني إياها ، وأوقعت بهم الهزيمة بين مدن " قرقارة " و " جلزاو " ونبحت 14000 من جندهم بالسيف واجتحتهم كسيول " أدد " حين يبعث بها ونثرت جثثهم في كل مكان وملأت السهل كله بجندهم الفارين . . . . " (**نجيب ميخائيل ، مصر والشرق الأدنى القديم ، ص 260/5**) .

وبعد ذلك خضعت السامرة سياسيا للآشوريين ، وصارت تؤدي الجزية السنوية لهم ،ثم ما لبث الآشوريون أن اعتبروها مقاطعة آشورية تحكم من قبلهم.

وبعد أن تولى تيغلات بيلاصر الثالث الآشوري الحكم (745 -727 ق. م.) ، استطاع إخضاع أكثر ممالك بلاد الشام الداخلية والساحلية ، بما فيها مملكة دمشق والسامرة ، وإجبارهم على دفع الجزية .

وبعد عدة سنوات ، رفض ملك دمشق ، وملك السامرة (فقح) دفع الجزية للآشوريين ، فجاء تيغلات بيلاصر حوالي سنة 734 ق. م. وقتل رحيانو ملك دمشق ، وحاصر السامرة ، وخلع ملكها (فقح) وعين بدلا عنه الملك (هوشع) .

وفي عهد شلمناصر الخامس ، حاول الملك هوشع الاتصال بالمصريين ليساعدوه في الوقوف أمام الآشوريين ، بعد أن رفض دفع الجزية لهم ، فما كان من شلمناصر الخامس إلا أن جاء إلى السامرة ، وأجبر ملكها على دفع الجزية ، ولكنه ما لبث أن ثار ثانية ، فحاصره شلمناصر الخامس سنة 724 ق. م. ولمدة ثلاث سنوات توفي خلالها. وكان سرجون الثاني قد تولى الأمر من بعده ، فتابع حصار السامرة ، حتى سقطت سنة 722 ق. م.

وهكذا سقطت السامرة ، وبقيت تابعة للحكم الآشوري ، حتى تم القضاء على الدولة الآشورية .

الآشوريون وسياسة التهجير :

لا تعتبر سياسة التهجير الآشورية سياسة مبتدعة ، فقد مارس هذه السياسة من قبل كثير من الممالك ، ومنهم الفراعنة ، والكلدانيون ، والحثّيون . وما تسخير بني إسرعيل في مصر ، وتجميعهم في منطقة محددة إلا من هذا القبيل ، مع وجود فرق واضح بين السياستين .

ولكن هذه السياسة في العهد الآشوري ،كانت أكثر تعقيدا وتنويعا ، وترتب عليها نتائج كبيرة وخطيرة أحيانا ، سواء في بلاد آشور ، أو في البلاد المحتلة .

لقد كانت سياسة التهجير الآشورية مبنية بالدرجة الأولى على الناحية التجارية ، ولهذا لم يكن لديهم أي مانع في أن يحاربوا ، وفي أي مكان يوفر لهم تجارة رابحة ، ومصدرا للمواد الخام التي كانوا يحتاجونها ، " إذ أنهم ومنذ البداية عدّوا التجارة مع الشعوب الأولى عنصر أساسيا في الحياة ، ولم يروا أي عواقب

وخيمة ناتجة عن الاختلاط مع الشعوب الأخرى " . (**ساغز ، عظمة آشــور ، ص 170)** .

وبالنسبة للسامرة ، كانت تجارة الزيت والزيتون ، وتأمين الطرق التجارية من الأسباب الرئيسة التي جعلتهم يستولون عليها ، ويخضعونها لسيطرتهم .

وحتى يضمنوا تبعية المناطق التي يحتلونهــا ، كــانوا يقومــون بــبعض التغييرات الإدارية والسياسية والعسكرية والسكانية ، لضمان ولاء هذه المناطـــق المحتلة .

ومن هذه السياسات التي اتبعوها كانت سياسة التهجير ، وليس السبي . ولم يكونوا يعاملون المهجّرين على أساس أنهم عبيد أو أسرى في أغلب الأحوال ، بل " إن الشعوب المهجرة كانت تستوطن وتعامل كالآشوريين بالضبط . " (**ســاغز ، عظمة آشور ، ص 170)** .

وهذه السياسة التي طوّرها الآشوريون ، خلقت نماذج جديدة من المجتمعات لم تكن معروفة من قبل . فأصبحت تجد في المجتمعات المهجّرة شعوبا من مختلف الأجناس والديانات والعادات والتقاليد ، ولكنهم جميعا يتبعون لمسؤول حاكم آشوري واحد .

وهذا المفهوم الآشوري للتهجير، له قداسته واحترامه عندهم ، نظرا لعلاقته بالمفاهيم الدينية التي يؤمنون بها . وذلك لأن الآلهة هي التي أعطتهم الحق فـــي أن يكونوا فوق جميع الشعوب .

" فقد دعا الملك توكولي نينوترا الأول نفسه بأنه الشخص الذي نادى باســمه الإله آشور والآلهة العظمى بإخلاص وثقة ، وأنه الشخص الذي سلمته الآلهــة زمــام أركان الأرض ليحكمها ، وأنه الشخص الذي وثقت به الآلهة وائتمنته على أملاكها .

وهكذا فإن الآلهة قد خصصت جميع البلــدان الأجنبيــة لملــوك آشــور . "

(ساغز ، عظمة آشور ، ص 171) .

وإذا كان الآشوريون يرون أن الشعوب المغلوبة لا حقوق لها ، وأنهم غنيمة حرب للملك ، وعلى الملك أن يحسن معاملة هذه الشعوب ، فهو الراعي وهو الحامي ، وعليه أن يستغل هذا الوضع الجديد لمصلحة الطرفين ، المملكة الآشورية ، والشعوب المحتلة .

وقد نقل طومسون عن (أوديد B. Oded) ما جاء في دراسة له عن (سياسة التهجير الآشورية) فقال :

" أ- رغم أن أقل من نصف 157 نصا آشوريا موجودا تتعلق بحالات نقل السكان على نطاق واسع ، تشير إلى المنطقة التي ينقل إليها السكان ، فإن نسبة 85% منها تشير إلى اتجاه واحد للتهجير هو إلى آشور وبالتحديد آسور (Assur) وكلح (Calah) ونينوى ودورساركين (Dur Sarrukin) .

ب - التهجيرات الأخرى تمثلت في نقل السكان المقتلعين من أحد أجزاء الإمبراطورية لتوطينهم في مناطق أخرى تم تهجير سكانها أيضا . كما تم نقل سكان من منطقة لتوطينهم في مناطق مختلفة . " **(طومسون ، التاريخ القديم للشعب الإسرعيلي ، ص 233)** .

وقد خضع الجيش الآشوري لأوامر وتنظيمات عسكرية صارمة ومحددة ، نظرا لاحتوائه على كثير من الشعوب ، فلم يكن همجيا ، ولا سفاك دماء ، بل أن كل وحدة من وحداته لها واجباتها الخاصة بها . ومع هذا فقد وجدت بعض أوصاف المعارك ونتائجها عند بعض ملوك آشور ، تدل على القسوة التي كانوا يعاملون بها البلاد المحتلة ، ولكن ذلك لم يكن سياسة عامة متبعة لجميع ملوك آشور وحروبهم . ويرى ساغز Sags أن " الذين أظهروا بعض التمردات هم الذين

تعرضوا لمثل تلك العقوبات التي استعملت فيها تلك البربرية والعنف للسكان المغلوبين على أمرهم . " **(ساغز ، عظمة آشور ، ص 388)** .

وقد حصل ذلك مثلا ، عندما احتل سرجون الثاني مدينة (رفح) الفلسطينية ، حيث أنها تمردت على الحكم الآشوري ، وانضمت إلى المصريين ، فكان مصير أهلها التهجير ، والمدينة التدمير . يقول سرجون في ذلك " . . . ودمرت رفح وهدمت أسوارها وحرقتها وهجرت منها 9033 من الأهلين بكل ممتلكاتهم ."**(نجيب ميخائيل ، مصر والشرق الأدنى القديم ، ص 274/5)** .

وعليه ، فإن حصلت أعمال قتل همجية من الآشوريين في بعض غزواتهم فإن ذلك لا يعتبر سياسة عامة من سياسات التهجير الآشوري ، وإنما هي لإنهاء تمرد ، أو احتلال مثلا .

وقد اعتمد الآشوريون سياسة تهجير أهالي البلاد المحتلة ، إلى مناطق أخرى ، وإعادة ملء هذه المناطق بسكان مهجرين آخرين من مناطق ثانية . وأن هؤلاء المهجرين كانوا ثلاثة أنواع :

1- المهجّرون العاملون : وهؤلاء كانوا يهجرون إلى مناطق ، يستطيعون فيها ممارسة الأعمال والمهن التي كانوا يمارسونها في أوطانهم قبل التهجير ، مثل النجارين ، والحدادين ، والنساجين ، وأصحاب المهن الأخرى .

2- المهجّرون الجنود : وهم الجنود الذين كانوا يحاربون في صفوف جيوش الأعداء المنهزمين ، وكذلك أصحاب الأجسام القوية ، فهؤلاء كان يتم إلحاقهم بالجيوش الآشورية المحاربة ، في مناطق مختلفة . فمثلا أخذ سرجون من السامرة " خمسين راكبا (وفي نسخة أخرى 200 راكبا) وضمهم إلى حرسه الملكي الخاص . كما أخذ

سنحاريب من حزقيا الكتائب الضاربة (الـصاعقة) . " (**مالمـات ، العبرانيون وبنو إسرعيل في العصور القديمة ، ص 278)** .

3- المهجّرون المزارعون : وهم المهجرون الذين كـانوا يـشتغلون فـي الزراعـة ، والضعفاء أيضا ، وعدد كبير من النساء ، فمثـل هـؤلاء كانوا يلحقـون بالأراضي الزراعية ، وكانوا لا يعاملون منفصلين عن الأرض ، بمعنى أنه إذا بيعت الأرض ، بيع هؤلاء العاملون فيها معها ، ولا يمكن بيعهم منفصلين عن الأرض .

ومن هنا ، نجد أن أسرى الحرب عموما لم يكونوا عبيدا بمعنـى الكلمـة ، ولهذا فليس غريبا أن نجد أحد الملوك الآشوريين يقول عنهم (لقـد جعلـتهم مثـل شعب آشور) .

ويعلق ساغز Sags على هذه السياسة فيقول :

" إن أفضل مصير عادي للأسرى عند التغلب على منطقة أو مدينة متمـردة كان الترحيل أو النفي ، وإن بذل العناية بهؤلاء المرحّلين هو أمر نمـوذجي ، مـع أن أساس هذه المعاملة رما كان لأغراض عملية أكثر منها إنسانية ، فقد أصـبح الأسـرى جزءا من الموارد التامة في الإمبراطورية الآشورية، وقد كانت الـسلطات الآشـورية ترغب أن يصل هؤلاء إلى الأماكن المقصودة وهم في حالة جيدة وأن يكونوا ذوي فائدة هناك . " **(ساغز ، عظمة آشور ، ص 389)** .

ويضيف قائلا :

" ولقد اتخذت إجراءات إدارية حازمة لهذا الغرض ، وقـد سـمعنا عن ترتيبات مفصلة لتغذية هؤلاء المهجّرين في طريقهم إلى الأماكن التي يقصدونها ،

وقد اهتمت الدولة حتى بتأمين أحذية لهم وهم في طريق سيرهم . وفي إحدى الحـالات حصلت مساعدة على الزواج . . . . " (**ساغز ، عظمة آشور ، ص 389**) .

وبمراجعة سياسة التهجير الآشورية نرى أنها كانت تهدف إلى ما يلي :

1- إحكام السيطرة على البلاد المحتلة بتهجير سكانها ، وإنهاء إنتمائهم إلى الأرض التي كانوا يعيشون فيها يوما ما .

2- إضعاف الرابط القومي بين السكان ، فوجود عدد كبير من السكان المختلفي الجنسية ، والعرق ، والدين في مكان واحـد ، لا يـساعد على قيام علاقات متينة بينهم ، وبالتالي يؤدي إلى استبعاد وجـود اتحادات تساعد على التمرد والثورة . كما أن ذلـك يـساعد علـى إيجاد مجموعات سكانية في المناطق التي تم التهجير إليها ، تعتمـد كلية على الحكومـة الآشورية في تلك المناطق ، ولذلك تبقى مـن أعوانها وعيونها .

3- الاستفادة من المهجّرين في أماكن أخـرى ، سواء في العمـل ، أو في الجيش ، أو في خدمة الأراضي الزراعية ، أو فـي تنفيـذ مشروعات البناء الملكية .

4- العمل على إزالة المنافسين المحليين ، والقادة المشهورين الذين لهم تأثير على أبناء شعبهم ، وقد يشكلون مستقبلا خطرا علـى أمـن الدولـة الآشورية .

5- " السيطرة من خلال التهديد بالترحيل ، على الزعمـاء الـسياسيين والمفكرين في الأراضي المفتوحـة . " (**طومـسون ، الماضـي الخرافـي التوراة والتاريخ ، ص297**) .

6- استخدام التهجير في بعض الحالات كعقاب على المقاومة والثورة ، كما حصل في رفح مثلا .

7- الاحتكار الاقتصادي للحرفيين والعمال المهرة ، وذلك بتوطينهم في المناطق التي يمكن فيها الاستفادة منهم إلى أقصى الحدود .

8- استخدام بعض المهجّرين كعبيد ، جعل الآشوريين تجارا للعبيد ، مما ساعد على انتشار هذا النوع من التجارة .

9- كان الآشوريون يحكمون إمبراطورية واسعة الأرجاء ، فكانوا يرون أن من مصلحتهم إقامة مستوطنات عسكرية على حدود هذه الإمبراطورية، وبعض المستوطنات الإستراتيجية ، وتزويدها بمقاتلين من المهجرين يكون انتماؤهم الأول للدولة ، وللقتال ، ولا يلهيهم شيء عن ذلك .

10- السيطرة على بعض جماعات البدو ، وخاصة العرب منهم ، وتوطينهم في الأراضي الخالية ، وبناء مدن جديدة ، وإبقائهم تحت رقابة الدولة ، والقضاء على تمرداتهم المرهقة للجيش الآشوري .

11- إيجاد مجمعات سكانية جديدة موالية للمملكة الأشورية ، وذلك بوضع السكان التابعين والمخلصين للحكم في أماكن خاصة ، وتوفير كل ما يلزمهم . بعكس هؤلاء المناوئين للحكم الذين كانوا يوضعون في معسكرات هي أشبه بمعسكرات النفي الآن .

وقد يقتضي الأمر من الآشوريين إلى تهجير مدن بكاملها أحيانا ، كما حصل في رفح ، وأخرى يقومون بتهجير مجموعات محددة من السكان ، كما حصل في السامرة . ولكنهم لم يكونوا ليتركوا المدن المهجّرة فارغة من السكان

بأي حال من الأحوال ، بل كانوا يهجّرون إليها سكانا آخرين من منــاطق محتلــة أخرى .

ويعلق (أوديد) على سياسة التهجير الآشورية ، فيقول :

" " المجموعات المنفية لعبت دورا مشابها لدور الحاميــات الآشــورية التــي تمركزت في كل أنحاء الإمبراطورية الآشورية ، أو دور المواطنين الآشوريين الذين استقروا في البلدان المفتوحة إما كسكان مدن أو فلاحين أو مــوظفين .هــذا يوضــح المعاملة الطيبة التي تمتع بها المهجّرون بصورة عامــة ، والاهتمام الكبير الذي أظهره الحكام الآشــوريون برفــاههم . " " **(طومــسون ، التــاريخ القــديم للــشعب الإسرعيلي ، ص 236)** .

السامرة في مرويات العهد القديم :

لا يوجد هناك مصدر تاريخي ، أو أثري ، أو ديني ، يدل على أن السامرة قد دمّرت ، وهجّر سكانها بكاملهم بصراحة . حتى في المرويات التوراتيــة لــيس هناك ما يدل على ذلك صراحة . أما بالنسبة للتهجير ، فقد أجمعت المصادر كلهــا تقريبا على أن ذلك قد حصل فعلا ، ولكن ليس كاملا .

ففي العهد القديم نرى أن (هوشع) قد ملك في السامرة ، ولم يكن حــسن السيرة ، وكان معاديا لملك آشور (شلمناصر) ، حيث أنه وقف إلى جانب مصر، ورفض دفع الجزية إلى الآشوريين ، فجاء الملك (شلمناصــر) إلــى الــسامرة ، واحتلها ، وقبض على ملكها (هوشع) وسجنه . ويضيف قائلا : " وصــعد ملــك آشور على كل الأرض وصعد على السامرة وحاصرها ثلاث سنين . فــي الــسنة التاسعة لهوشع أخذ ملك آشور السامرة وسبى إسرعيل إلى آشور وأسكنهم في حلــح وخابور نهر جوزان وفي مدن مادي . " الملوك الثاني 17 : 5 ، 6 .

ويضيف قائلا : " وأتى ملك آشور بقوم من بابل وكوث وعوّا وحماة وسفروايم وأسكنهم في مدن السامرة عوضا عن بني إسرءيل فامتلكوا السامرة وسكنوا في مدنها . " الملوك الثاني 17 : 24 .

وهكذا نرى حتى العهد القديم يؤكد على أن الذي حصل في السامرة كان تهجيرا لسكانها ، ولكنه تم استبدالهم بسكان آخرين من مناطق أخرى ، من خارج فلسطين ، ولم يذكر شيئا عن تدمير المدينة (السامرة) .

ولكن لماذا حصل هذا البلاء بالسامرة كما يراه العهد القديم ؟

يرى العهد القديم أن تدمير (السامرة) ، لم يتم إلا بعد أن عمل الشر في أعين حكام السامرة ، وكفروا بإلاههم ، ولم يخلصوا لعبادته ، هم وشعبهم الذي انحاز إليهم ، وهكذا كان زوال مملكة السامرة عقابا لملوكها وشعبها على أفعالهم .

التهجير السامري : المبعدون والباقون :

من المؤكد أن التهجير الذي وقع لسكان السامرة لم يشمل جميع سكانها . ومن الواضح أن هذا التهجير كان أقرب إلى التبادل السكاني ، بين السامرة ، وبين غيرها من المدن . فقد جاء الآشوريون بسكان جدد من مناطق الإمبراطورية المختلفة ، كانوا يثيرون الفتن والقلاقل .فقد جيء بهؤلاء المتمردين على الحكومة المركزية مثلا من جنوبي العراق ، وتم توطين قسم منهم في السامرة ، وقسم آخر حول بيت إيل ، أبعد مدينة عن السامرة باتجاه الجنوب إلى المرتفعات الجنوبية (يهوذا) ، وآخرون في مناطق أخرى .

ومهما يكن الأمر ، فإن التهجير الآشوري حسب مصادرهم ، والذي قام به تيغلات بيلاصر من الجليل ، وسرجون الثاني من السامرة ، كان تعداده حوالي (40) ألف نسمة تقريبا . وإذا ما عرفنا أن تقديرات عدد سكان المملكة الشمالية

في القرن الثامن قبل الميلاد ، كان حوالي (200) ألف نسمة ، فمعنى ذلك أن المهجّرين من الجليل والسامرة حوالي خمس عدد السكان تقريبا .

ويظهر من الدراسات التي أجريت حول هذا الموضوع أن تهجيرات تيغلات بيلاصر شملت الفلاحين المثيرين للشغب ، والممتنعين عن دفع الضرائب . أما تهجيرات سرجون الثاني في السامرة فقد شملت بشكل رئيس الطبقة الارستقراطية ، ثم الجنود ، والحرفيين الماهرين الذين كانت الإمبراطورية الآشورية بحاجة إليهم .

وهكذا نرى أن أغلب السكان قد بقوا في مساكنهم وأراضيهم الزراعية ، وقد تكون هذه سياسة مقصودة ، لعدم تدمير صناعة الزيت والزيتون المنتشر في المدينة ومناطقها المختلفة ، حيث أن الإمبراطورية الآشورية كانت المستورد الأول لهذه المواد ، ومن مصلحتها أن تبقى مستمرة .

أورشالم في العهد القديم :

أما بالنسبة لأورشالم ، فقد يكون الأمر أكثر صعوبة وتعقيدا . حيث جاء في العهد القديم :

" وفي السنة التاسعة لملكه في الشهر العاشر في عاشر الشهر جاء نبوخذناصر ملك بابل هو وكل جيشه على أورشليم ونزل عليها وبنوا عليها أبراجا حولها ، ودخلت المدينة تحت الحصار إلى السنة الحادية عشر للملك صدقيا . في تاسع الشهر اشتد الجوع في المدينة ولم يكن خبز لشعب الأرض . فثغرت المدينة وهرب جميع رجال القتال ليلا من طريق الباب بين السورين اللذين نحو جنة الملك . وكان الكلدانيون حول المدينة مستديرين فذهبوا في طريق البرية . فتبعت جيوش الكلدانيين الملك فأدركوه في برية أريحا وتفرقت جميع جيوشه عنه . فأخذوا

الملك وأصعدوه إلى ملك بابل إلى ربلة وكلموه بالقضاء عليه . وقتلوا بني صدقيا أمام عينيه وقلعوا عيني صدقيا وقيدوه بسلسلتين من نحاس وجاءوا به إلى بابل .

وفي الشهر الخامس في سابع الشهر وفي السنة التاسعة عشرة للملك نبوخذناصر ملك بابل جاء نبوزرادان رئيس الشرط عبد ملك بابل إلى أورشليم ، وأحرق بيت الرب وبيت الملك وكل بيوت أورشليم وكل بيوت العظماء أحرقها بالنار وجميع أسوار أورشليم مستديرا هدمها كل جيوش الكلدانيين الذين مع رئيس الشرط . وبقية الشعب الذين بقوا في المدينة والهاربين الذين هربوا إلى ملك بابل وبقية الجمهور سباهم نبوزرادان رئيس الشرط . ولكن رئيس الشرط أبقى من مساكين الأرض كرامين وفلاحين . " الملوك الثاني 25 : 1 – 12 .

وبالإضافة إلى ذلك ، فقد هدم البابليون بيت الرب ، وأعمدته وقواعده ، وأخذوا نحاسه وقدوره وصحونه وجميع آنيته إلى بابل ، وكل الذهب والفضة التي كانت به نهبت ، وكل ما في بيت الرب (الهيكل) قد نهب .

وقد أكد إرميا ذلك بقوله : " وأدفع كل يهوذا ليد ملك بابل فيسبيهم إلى بابل ويضربهم بالسيف . وأدفع كل ثروة هذه المدينة وكل تعبها وكل مثمناتها وكل خزائن ملوك يهوذا أدفعها ليد أعدائهم فيغنموها ويأخذونها ويحضرونها إلى بابل . " إرميا 20 : 5 .

لقد حاولت مرويات العهد القديم أن تبين لنا ، بل ومن كثرة تكرارها أن تؤكد أن ما حصل في أورشالم إنما هو وضع (تاريخي) ثابت لا مجال للشك فيه . فمثل هذه النصوص العاطفية ، ذات اللغة المؤثرة والتي جاءت في سفر (أشعيا ،ونحميا ،وعزرا ، وإرميا ، والمراثي) هي أقرب إلى (النصوص الأدبية الإنشائية) ، منها إلى الوقائع التاريخية .

فما جاء في هذه النصوص ما هو إلا تصوير للغضب الإلهي (الإله يهوه) على بني إسرعيل اليَهونيّين الذين عبدوا الأوثان ، وارتكبوا الفواحش ، وظلموا

الناس ، فكان أن سلّط الله عليهم من يقهرهم ، ويذلهم ويهجّرهم . وكان أن دفعت أورشالم الثمن " كيف جلست وحدها المدينة الكثيرة الشعب ،كيف صارت كأرملة العظيمة في الأمم . السيدة في البلدان صارت تحت الجزية ، تبكي في الليل بكاء ودموعها على خديها ، ليس لها معز من كل محبيها . كل أصحابها غدروا بها ، صاروا لها أعداء ، قد سبيت يهوذا من كثرة المذلة ومن كثرة العبودية ، هي تسكن بين الأمم ، لا تجد راحة . . . " مراثي إرميا 1: 1 – 3 .

وعن الدمار الذي حصل بها تقول المراثي : " تاخت في الأرض أبوابها ، أهلك وحطم عوارضها ، ملكها ورؤساؤها بين الأمم ، لا شريعة ، أنبياؤها أيضا لا يجدون رؤيا من قبل الرب . " المراثي 2 : 9 .

وعن القتل وسفك الدماء الذي حصل لساكنيها تقول المراثي : " أيقتل في مقدس السيد الكاهن والنبي ، اضطجعت على الأرض في الشوارع الصبيان والشيوخ ، عذاري وشبابي سقطوا بالسيف ، قد قتلت في يوم غضبك ذبحت ولم تشفق . " المراثي 2 : 20 ، 21

وهكذا أصبحت أورشالم مثل الصحراء لا ناس فيها ولا مساكن ولا ماء ، جرداء قاحلة .

هذه هي صورة أورشالم اللاهوتية ، وليست التاريخية . لأن العهد القديم نفسه ، نستطيع أن نتوصل منه إلى صورة أخرى عن وضع أورشالم بعد التهجير . فيقول : " قد صار ميراثنا للغرباء ، بيوتنا للأجانب ، صرنا أيتاما بلا أب ، أمهاتنا كالأرامل ، شربنا ماءنا بالفضة ، حطبنا بالثمن يأتي ، على أعناقنا نضطهد ، نتعب ولا راحة لنا . " المراثي 5 : 1، 2 . كما يمكننا أن " نعلم من الفصل الختامي لسفر الملوك الثاني وسفر إرميا أنت هناك جزءا من سكان يهوذا بقوا ، ولم يبعدوا ، بل سمحت السلطات البابلية لهم بنوع من الحكم الذاتي ، وعينت عليهم

مسؤولا اسمه جدليا بن أخيقام . "(**فينكلشتاين ، التوراة اليهودية مكشوفة على حقيقتها ، ص 354**) .

وهكذا فالمدينة الخربة ، الصحراء القاحلة موجود بها السكان ، ولكنهم فقراء ، وقد أودى بهم الفقر إلى الوقوع في الرذيلة ، وانتشار العبودية والخوف والظلم وغيره : " جلودنا اسودت كتنور من جرى نيران الجوع ، أذلوا النساء في صهيون العذارى في مدن يهوذا ، . . . أخذوا الشبان للطحن والصبيان عثروا تحت الحطب ، كفت الشيوخ عن الباب والشبان عن غنائهم ، مضى فرح قلبنا صار رقصنا نوحا . . . . " المراثي 5 : 10 – 15 .

وما حصل لأورشالم لم يكن إلا نتيجة لأخطائها : " قد أخطأت أورشليم خطية من أجل ذلك صارت رجسة . " المراثي 1 : 8 ، وهي ما ترى ذلك إلا خديعة لها من ساكنيها " ناديت محبي ، هم خدعوني . " المراثي 1 : 19 . " أنبياؤك رأوا لك كذبا وباطلا ولم يعلنوا إثمك ليردوا سبيك بل رأوا لك وحيا كاذبا وطوائح . " المراثي 2 : 14 .

فتدعو عليهم وعلى أعدائها الذين فرحوا بمصيبتها ، وتطلب من الله أن يفعل بهم ما فعل بها : " ليأت كل شرهم أمامك ، وافعل بهم كما فعلت بي من أجل كل ذنوبي لأن تنهداتي كثيرة وقلبي مغشي عليه . " المراثي 1 : 23 .

وإذا كان صبر الإله يهوه على بني إسرعيل وأتباعهم قد نفد ، فقد توعدهم بالشر إذا استمروا على طريقتهم الكافرة : " فانتبهوا واستمعوا إلى صوته ولا تتمردوا عليه لأنه لا يصفح عن ذنوبكم لأنه يعمل باسمي . " وها هو الآن قد نفذ وعده فدمر المدينة وأحرقها ، وهجّر أهلها : " فعل الرب ما قصد ، تمّم قوله الذي أوعد به منذ أيام القدم . قد هدم ولم يشفق وأشمت بك العدو . " المراثي 2 : 17 .

وبعد عودتهم يصور اللاهوت ذلك برضى الله عنهم ، وأن ما حصل هو تكفير عن هذه الذنوب . الدمار والحريق والتهجير ، ثم المكافأة (العودة) كما

يصورها العهد القديم للصابرين من بني إسرعيل ، الذين من حقهم أن يفرحوا ، وأن تفرح بعودتهم أورشالم : " عزّوا عزّوا شعبي يقول إلهكم طيبوا قلب أورشليم ونادوها بأن جهادها قد كمل ، أن إثمها قد عفي عنه ، أنها قد قبلت من يد الرب ضعفين عن خطاياها . " إشعيا 40 : 1 – 2 .

هذه هي الصورة التي يرسمها العهد القديم للغضب الإلهي ، وللتهجير البابلي لبني إسرعيل وأورشالم ، أشبه ما تكون بالقصة التراجيدية ، التي خبكت من أجل أسباب لا تخفى على القارئ ، وقد تبين فيما بعد عدم صدقية هذه الروايات .

وإذا كان سفر الملوك الثاني ، لا يذكر لنا عدد المهجرين من أورشالم سنة 586 ق. م. ، ويكتفي بالقول أن ريف يهوذا قد بدا مهجورا ومقفرا كليا ، ففي هذا السفر أيضا نجد أن عدد المهجرين في التهجير البابلي الأول سنة 597 ق. م. كان عشرة آلاف نسمة (الملوك الثاني 24 : 14) ، وفي مكان آخر من نفس السفر أن العدد كان ثمانية آلاف (الملوك الثاني 24 : 16) .

أما في سفر إرميا فجاءت رواية تقول أن مجموع المهجّرين في التهجير الأول والثاني كان 4600 نسمة . وعلى هذا الأساس نستطيع التخمين بأن مجموع المهجّرين لن يزيد عن خمسة عشر ألفا بأي حال .

وبمقارنة عدد سكان يهوذا :

* في أواخر القرن السابع قبل الميلاد ، قبل دمار أورشالم (القدس) ، يمكننا أن نأخذ فكرة عن حجم عمليات الإبعاد . يمكن تقدير عدد سكان يهوذا بنحو دقيق تماما من خلال البيانات التي يتم تجميعها أثناء عمليات البحث والتنقيب المكثفة بنحو خمسة وسبعين ألفا (تمتلك أورشالم (القدس) عشرين بالمئة على الأقل من ذلك العدد – أي خمسة عشر ألفا – مع حوالي خمسة عشر ألفا آخرين يسكنون – احتمالا

– المناطق الزراعية المجاورة) . وعليه ، فحتى لو قلنا بـأعلى رقـم ممكـن لعـدد المهجّرين (عشرون ألفا) ، فإنه يبدو أنهم لا يشملون – على أقصى تقـدير – سـوى ربع سكان الدولة اليهوذوية . وهذا يعني أن حوالـي خمسا وسبعيـن بالمئـة – علـى الأقل – من السكان بقـوا في البـلاد . " (**فينكلـشتاين ، التـوراة اليهوديـة مكشوفة على حقيقتها ، ص 365**) .

أما (رو) فيرى أنـه تم تهجـير " ثلاثة آلاف يهودي إلى وادي الرافدين . " (**جورج رو ، العراق القديم ، ص 508**) . في حين أن عدد سكان أورشـالم في ذلك الوقت حسب التقديرات كان أكثر مـن 20000 نـسمة . وتؤكـد ذلـك المسوحات الآثارية التي أجريت للمدينة حيث " توحي المسوحات الأثريـة ليهـوذا القرن السادس وتقديرات سكان أورشالم في القرن الخامس أن الأخيـرة لـم تفقـد سكانها في ترحيلات أوائل القرن السادس . " (**طومـسون ، الماضـي الخرافـي التوراة والتاريخ ، ص 339**) .

ولا يوجد لدينا حتى الآن نص بابلي واحد ، يدل على أن البابليين قد قاموا بتدمير مدينة أورشالم ، كما يدعي العهد القديم ، ولا شك في أن أجزاء من سور المدينة قد تهدمت عند تقدم الجيش البابلي ، الذي قام بنهب المدينة وخاصة معبدها، كما تفعل كل الجيوش بالمدن المحتلة .

ونقلا عن ما جاء في العهد القديم تسابق المؤرخون والكتاب ، إلى تأكيـد تدمير وسبي أهالي أورشالم ويهوذا ، دون تمحيص وتدقيق . يقول عبدالله الشريقي : " فأرسل نبوخذنصر عام 586 ق. م. جيشا لتدمير أورشليم وقتل الملك ورجاله . وحاصر المدينة وهدم أسوارها ودخلها وأحـرق الهيكـل والقصـور الملكيـة . " (**إبراهيم الشريقي ، أورشليم وأرض كنعان ، ص 140**) .

وهكذا أعلن أكثر الكتاب والمؤرخين عربا وأجانب عن أفكارهم .

وهناك من ينكر وقوع أي سبي أو تهجير لأهالي أورشالم ، أمثال (دوغلاس ريد) الذي يصف ما حدث فيقول :

" أما ما حدث حقا فلم يكن أبدا يشبه السبي الجماعي . ومن ثم العودة الجماعية لشعب بكامله . لم يحدث أي تهجير أو سبي جماعي من أورشالم إلى بابل ، ولا يمكن أن يحدث ذلك ما ، لأن الغالبية من الشعب اليهودي " الذي انبثق منه العبرانيون " كانت قد توزعت على شواطئ المتوسط إلى الغرب وإلى الشرق من اليهودية بحثا عن ظروف أفضل للتجارة ، حيث كانت ظروف تلك الأيام في هذا المجال متشابهة جدا مع ظروفنا الحالية . . . وبقي في أورشالم فقط نواة أكثرها من المتعصبين لقدسية الهيكل بالإضافة إلى من ربطتهم أعمالهم بتلك الأرض . "

(دوغلاس ريد ، جدل حول صهيون ، ص 35 ، 36) .

ولكن هل حقا أن ما حصل في أورشالم كان المقصود به التدمير والتخريب والتهجير ؟ لقد سبق وأن جاء نبوخذنصر إلى أورشالم قبل ذلك ، بعد أن رفض ملكها دفع الجزية ، فما كان منه (نبوخذنصر) إلا أن قام بتهجير جزء من سكان المدينة ، وأبقى أغلب سكانها في مكانهم ، بمن فيهم ملك أورشالم ، بعد أن اتفق معه إعادة دفع الجزية .

ولكن في هذه المرة ، وبعد أن أشهَر ملكُ أورشالم السلاح في وجه نبوخذنصر ، ورفض دفع الجزية ، حصل ما حصل لأورشالم ، ومع هذا فإن ما يورده العهد القديم ، وما كتبه بعض المؤرخين في هذا الموضوع ، لا يخرج عن نطاق التهويل والتضخيم .

السامرة وأورشالم وخرافة التدمير :

لقد سبق ورأينا أن ما حصل في السامرة لم يكن تدمير مدينة ، بل تهجير سكان ، بل وجزء من السكان على الأغلب . ولا شك أن الذين قالوا بدمار السامرة وأورشالم وبابل أيضا ، قد استوحوا ذلك من رواية إرميا ، وإشعيا .

يقول إشعيا عن أورشالم : " بلادكم خربة ، مدنكم محرقة بالنار ، أرضكم تأكلها غرباء قدامكم وهي خربة كانقلاب الغرباء . " إشعيا 1 : 7 .

وعن رؤيا إرميا في أورشالم : " فأخذت الكأس من يد الرب وسقيت كل الشعوب الذي أرسلني الرب إليهم . أورشليم ومدن يهوذا وملوكها ورؤساؤها لجعلها خرابا ودهشا وصفيرا ولعنة كهذا اليوم . " إرميا 25: 17 ، 18 .

ويقول في بابل : " ويكون عند تمام السبعين إني أعاقب ملك بابل وتلك الأمة يقول الرب على إثمهم وأرض الكلدانيين وأجعلها خرابا أبدية . " إرميا 25 : 12 .

ولكن لا بد من الشك في حصول تدمير لهذه المدن الثلاث (السامرة ، وأورشالم ، وبابل) . حيث لم تذكر لنا السجلات التاريخية ، ولا الآثار المكتشفة شيئا قاطعا عن ذلك .

فالسامرة كما مر معنا لا توجد حتى رواية في العهد القديم صريحة تقول أنها دمرت ، كما أن سياسة الآشوريين في الاحتلال لم تتبع تدمير المدن المحتلة ، وخصوصا وأنهم كانوا يهجرون إليها سكانا من مناطق أخرى .

وليس هناك دليل مؤكد على أن تهجير السامرة قد حصل لجميع سكانها ، " فإن كثيرين بقوا في المنطقة وقدموا اللغة والثقافة والديانة وأسلوب الحياة لأجل (العائدين) المتنوعين الذين جُلبوا إلى البلاد من شبه الجزيرة العربية وعيلام وسورية . لم يذهب الجميع إلى المنفى ، ولا ذهب الجميع إلى مصر . إن

الاستمراريات الأثرية ظاهرة ، مثلما هي استمراريات اللغة والثقافة والدين وأسلوب الحياة . " **(طومسون ، الماضي الخرافي التوراة والتاريخ ، ص 393) .**

كما وينفي فينكلشتاين وسيلبرمان ، أن يكون التهجير الذي حصل في مملكة السامرة شاملا ، نظرا لوجود شواهد أثرية تدل على ذلك ، فقد قالا :

" إن المنطقة الهضبية حول مدينة السامرة التي غدت مركزا للولاية الآشورية الجديدة ، لم تتأثر إلا قليلا بعملية الترحيل الآشورية . . . وفي الوديان الشمالية (يزرعيل وبيت شان) دمر الآشوريون مراكز الإدارة الإسرعيلية ، ولكنهم تركوا المناطق الريفية الزراعية على حالها (وكان سكان هذه المناطق أكثر قربا إلى الكنعانيين والفنيقيين والآراميين) . وعلى أرض الواقع ، فإن التنقيبات الأثرية في وادي يزرعيل أثبتت استمرارية سكانية مدهشة حقا . . . وحول مدينة السامرة بقي نصف القرى والبلدات الزراعية مسكونا خلال القرون التالية . . . لقد استمر قسم كبير من سكان مملكة السامرة يعيشون في المناطق الهضبية الشمالية إلى جانب السكان الجدد الذين جاء بهم الآشوريون . " **(طومسون ، القدس أورشليم العصور القديمة ، ص 295 / الحاشية).**

كما يؤكد (ليمخي Lamche) أن الثقافة السامرية ، بقيت موجودة في السامرة ولم تتقطع ، مما يدل على أن التهجير لم يكن شاملا ، كما يدعي البعض ، فيقول :

" لقد تم رفد السكان المحليين بدفعة كبيرة من السكان الجدد الغرباء خلال العصر الآشوري ، وكان على الرفد السكاني أن ينعكس في البقايا المادية للثقافة السامرية ، ولكن تلك الثقافة بقيت على حالها ولم تبد تغيرا يذكر ، فلقد عاش أهل السامرة بعد الفتح الآشوري حياة زراعية ساكنة دونما أحداث تذكر . " **(طومسون ، القدس أورشليم العصور القديمة ، ص 294 / الحاشية).**

أما بابل فلم تدمر إطلاقا ،حيث أن الملك قورش الفارسي قد دخل المدينة سلما ، وذلك بمساعدة المهجّرين من أورشالم لجيشه عند احتلال المدينة ، بعد أن وُعدوا بإعادتهم إلى أورشالم ، كما ثبت ذلك تاريخيا . يقول طومسون :

" مردوك – إله الفرس – برحمته ، بحث عن الحاكم المناسب وأخيرا دعا قورش الذي بعد أن أصبح حاكم العالم كله " عامل بعدل أصحاب الرؤوس السوداء " الذين جعله (مردوك) يهزمهم . مردوك أمر قورش بالزحف على بابل لأنه كان طيبا ومستقيما. قورش بالطبع ، وقد حاز على مردوك كصديق حقيقي له ، لم يستعمل السلاح . لم يكن بحاجة إلى ذلك ، فقد رحبوا به باعتباره قد ساعد الشعب على (العودة إلى الحياة) . " **(طومسون ، التاريخ القديم للشعب الإسرعيلي ، ص 238) .**

وفي أورشالم ، لا زالت هناك بعض الشكوك ، والروايات التي تقول بأن المدينة قد هدم سورها وهيكلها وبيوتها ، ولكن هذا غير مؤكد بعد . ولو أن الاتجاه يميل إلى القول بأن بعضا من هذه قد تهدم .

وقد أثبتت المسوحات الأثرية لأورشالم القرن السادس قبل الميلاد أنها لم تفقد مكانتها السياسية والتجارية في تلك الفترة . كما لم يلاحظ وجود انقطاع أو تغير كبير في الموروثات الثقافية التي كانت سائدة في حينه . وهذا يدل على أن التواصل الثقافي كان مستمرا ، مما ينفي وجود تهجير جماعي بشكل كبير وقع في أورشالم .

وقد يكون مندنهول منصفا حقا إذ يرى أن ما حصل في أورشالم لم يكن إلا نزعا للسلاح ، والقضاء على المظاهر العسكرية التي قد تستغل ثانية . فيقول بعد أن استعرض أسفار الملوك الثاني ، وإرميا :

" على أنه يتضح من الوصف أن النظام البابلي كان ينوي نزع سلاح القـدس ويهوذا وإزالة العسكريين (الرجال الأقوياء ذوي الشجاعة) والحدادين الذين يستطيعون صنع السلاح ورجال الإدارة السياسية ، بمن فيهم الملك وموظفوه . ومن الطبيعـي أن الموارد اللازمة للقيام بالحرب أزيلت أيضا : الخزنة الملكية وكنـوز الهيكـل . وقـد اتبعت هـذه المحاولات لإنزال العقوبة وكذلك لإزالـة إمكانيـة العـصيان ومغرياتـه الإجراءات القياسية التي اقتضاها العرف في الإمبراطوريـات القديمـة . " (**كامـل العسلي ، القدس والتاريخ ، ص 79**) .

ومع أن الحريق كان يبدو في أورشالم عاما ، إلا أن هذا لم يمنـع الـسكان من البقاء في بعض أحيائها ، كما لم يمنع البعض من المجـيء إليهـا ، ومزاولـة بعض النشاطات فيها . كما أن هناك إشارات أثرية تدل على استمرارية السكنى في الجزء الشمالي والجنوبي من أورشالم .

وكذلك خارج مدينة أورشـالم ، فقـد أثبـت (أوديـد ليبـشيتس Oded Lipschits) أن التواجد السكاني بقي على حقيقته ، وأن المدن لم تـدمر ، فتـل النصبة قرب رام الله ، وبيت إيل ، وجبعون ، استمرت مسكونة . وكـذلك حـوالي بيت لحم وغيرها .

وهكذا نرى أن منطقة أورشالم ويهوذا منذ التهجير الثاني سـنة 586 ق. م. حتى عودة المهجّرين إليها سنة 538 ق. م. تقريبا لم تكن مهجورة كمـا يـدعي البعض ،ولكن لا شك أنه كان للتهجير أثر على بعض النواحي الاقتصادية خاصة.

وقد سار البابليون على نفس سياسة التهجير الآشورية ، وكثير منها قد جاء لنفس الأسباب ، ومنها ما كان " لهدف واضح هو تشجيع هذه الشعوب على قبـول التغيير الجذري الذي أدى إليه تغير الإمبراطوريـة . " (**طومـسون ، التـاريخ القديـم للشعب الإسرعيلي ، ص 236**) .

وقد ساد عند البابليين تعبير أطلقوا عليه اسم (العودة) ، بمعنى أن هؤلاء المهجّرين قد عادوا إلى الحظيرة البابلية ، بعد أن غرر بهم ملوكهم وحكامهم ، والآن أصبحوا أحرارا في ظل الحكم البابلي . ولهذا فإن كل ما حصل مع هذه الشعوب يجب أن يُلقى فيه اللوم على هؤلاء الحكام السابقين . ولذلك فإننا نجد أن البابليين عندما كانوا يحتلون منطقة ، ويقومون بتهجير بعض من سكانها ، كانوا يقتصون من حكامها أولا ، ويوقعوا بهم أشد أنواع العقوبات .

ويرى طومسون أن مرويات سفر الملوك الثاني عن تدمير أورشالم بأنها " قصة مطلوبة لاهوتيا وعن طريق (ديناميك) قصة أكبر موضوعها هو موت (إسرعيل) ورفض يهوه للميثاق ، ووعوده لسليلي داود . " (**طومسون ، الماضي الخرافي التوراة والتاريخ ، ص 304**) .

ونستطيع أن نؤكد القول أن التهجيرات من السامرة وأورشالم لم تكن شاملة ففي السامرة يؤكد سرجون الثاني ذلك في أحد نقوشه ، فيقول :

" وفي بداية حكمي الملكي حاصرت وفتحت السامرة (سامي ري نا) وقدت من سكانها 27290 كغنيمة وكونت من بينهم فرقة من خمسين من العربات . وأما باقي السكان فتركتهم يمارسون وظائفهم الاجتماعية وعينت عليهم ضابطا من ضباطي وفرضت عليهم الجزية مماثلة لجزية الملك السابق . " (**نجيب ميخائيل ، مصر والشرق الأدنى القديم ، ص 273/5**) .

ويضيف فراس السواح على هذا النص قائلا : " . . . أما المدينة فقد أعدت بناءها فصارت أفضل مما كانت عليه ، وأسكنت فيها شعوبا . . . . " (**فراس السواح ، تاريخ أورشليم ، ص 171**) .

وسرجون نفسه أيضا يعترف بأنه قد أعاد توطين بعض الجماعات في السامرة ، وما كان ذلك ليحصل لو أنه قام بتدميرها من قبل ، فيقول :

" طبقا لوحي صادق من آشور إلهي قضيت على قبائل تـامود وإيباديـدي ومرسيمانو وحيابا والعرب الذين يعيشون بعيدا في الصحراء والذين لا يعترفـون برؤساء أو موظفين والذين لم يكونوا قد جاءوا بجزاهم (بجزيتهم) لأي ملك ، سبيت الأحياء منهم ، ونقلتهم إلى السامرة . "(**نجيب ميخائيل ،مصر والشرق الأدنى ، ص 5 / 275**) .

ولهذا فإن ما يدعيه بعض المؤرخين والعلماء ، اعتمادا علـى مـا توحيـه بعض روايات العهد القديم من تدمير لمدينة السامرة ، هو محض اخـتلاق ، لـم يحصل في يوم ما.

أما بالنسبة لأورشالم فإنها استعصت في البداية على الجيش البـابلي ، فـتم حصارها لمدة ثمانية عشر شهرا – حسب بعض الروايات – ونقل عـن وايـزمن قوله : " " أن الفترة ما بين اختراق السور الخارجي للمدينة وبين الفتح الكامل لها ، امتدت شهرا كاملا وربما كانت هذه الفترة هي لمحاولة البـابليين لإقنـاع سـكان المدينة بالتفاوض والاستسـلام . " " (**هديب أو غزالة ، الدولة البابلية الحديثة ، ص 80**) .

ولو كان هدف البابليين هو الاستيلاء على المدينة بأي ثمن كـان ، لقـاموا بتهديمها ودك أسوارها منذ البداية ، ولما استغرقت هذا الوقـت الطويـل معهـم لاحتلالها .

لماذا تم اختلاق هذه الأسطورة ؟

كما مر معنا في أحد الفصول السابقة ، فقد ذكرنا أن كتبة العهد القديم عندما بدأوا كتابة أحرفه الأولى في بابل ، كانوا حريصين على أن يختلقوا تاريخا لبني إسرعيل يتناول بداية الكون ، ثم هجرتهم من مصر ، وأن يصوّروا هذا التاريخ بالعظمة والقوة ، وأن موطنهم هو الأفضل والأعمر ، وذلك حتى يغرسوا في عقول وقلوب أبناء بني إسرعيل واليَهوديّين المهجّرين حب الوطن ، والحنين إلى العودة إليه مهما طال الزمن .

إذن ، ففكرة تضخيم الأحداث هي جزء من اللاهوت الإسرعيلي – كما أرادها مؤلفو العهد القديم – الذي يدعو على انبعاث هذا الشعب من جديد ، ودعوته إلى استلام زمام الأنام ، وقيادة العالم كما كانوا يخططون ، ولا يتم ذلك من خلال سرد تاريخي مشابه لتاريخ الأمم والشعوب الأخرى ، بل لا بد من استثناءات خاصة بالشعب الإسرعيلي ، حتى ولو كانت مختلقة ، لتعزيز هذا الشعور ، وترسيخ الانتماء إلى ذلك الوطن ، وإضفاء المشروعية الدينية على حق وواجب العودة إلى أورشالم .

كتبت صحيفة (ها آرتس) الإسرعيلية تقول :

" إن المدرسة النقدية لتاريخ التوراة التي ازدهرت في ألمانيا بدءا من النصف الثاني للقرن التاسع عشر زعزعت تاريخ روايات التوراة وادعت أن التاريخ الجغرافي التوراتي صيغ " واختلق " بدرجة كبيرة في عهد شتات بابل ، والباحثون في التوراة وخصوصا الألمان ، ادعوا أن تاريخ شعب إسرعيل كتسلسل أحداث بدءا من عهد إبراهيم وإسحق ويعقوب ومرورا بالنزوح إلى مصر والاستعباد هناك ، ومن ثم الخروج من مصر وانتهاء باحتلال أرض كنعان ، وتوطن أسباط إسرعيل فيها ، ليست إلا استرجاعا لاحقا للماضي لأغراض لاهوتية دينية . " **(صحيفة ها آرتس الإسرعيلية ، 1999/10/29م)** .

ولهذا كان اختلاق قصة تدمير أكبر مدينتين في فلسطين بعد القرن الثـامن قبل الميلاد ، وهما السامرة وأورشالم . وكان الكتبة حريصين على أن يظهروا أن هذا التدمير ما كان ليحصل لهذه المدن ، وأن التهجير لعبدة الإله يهوه مـا كـان ليقع ، لولا تمردهم وعصيانهم ، وعدم اتباعهم للتعاليم الإسرعيلية الدينية التوراتية ، مما أدى إلى غضب الإله (يهوه) الذي دعا عليهم بما حل بهم ، كما جـاء فـي خطابهم في العهد القديم : " ها أنا مرسل ملاكا أمام وجهك ليحفظك في الطريـق وليجيء بك إلى المكان الذي أعددته . احترز منه واسمع لصوته ولا تتمرد عليـه ، لأن لا يصفح عن ذنوبكم لأن اسمي فيه . " الخروج 23 : 20 ، 21 .

وأيضا : " اسمعي أيتها الأرض هأنذا جالب شرا على هـذا الـشعب ثمـر أفكارهم لأنهم لم يصغوا لكلامي وشريعتي رفضوها . " إرميا 6 : 19 .

وقول دانيال : " لك يا سيد البر ، أما لنا فخزي الوجوه كما هو اليوم لرجال يهوذا ولسكان أورشليم ولكل إسرعيل القريبين والبعيدين في كل الأراضـي التـي طردتهم إليها من أجل خيانتهم التي خانوك إياها . . . . " دانيال 9 : 7 . وغيـر ذلك كثير .

ولهذا فلن يكون هناك خلاص لبني إسـرعيل إلا بـالعودة إلـى تعاليـم الشريعـة الموسوية التي أرسلت إليهم ، والتي حرص عزرا على أن يسردها على مسامع الشعب ، في أول اجتماع له معهم بعد العودة من بابل إلى أورشالم حـسبما يدعون .

وهم يؤمنون بأن هذا التدمير الذي وقع لأورشالم والسامرة ، قد وقع مـن قبل قوى معادية للأمن والسلام ، وتتصف بالهمجية ، وسفك الدماء – وينسون مـا فعلوه زمن يشوع وداود عليهما السلام – كما يدعون – وأن شعب يهـوه شعـب

مغلوب على أمره وهو الضحية ، شعب مسالم ذو حضارة متقدمة ، وعليه أن لا ينسى ذلك ، وأن يسعى جاهدا لاستعادة ذلك الماضي العظيم .

ولو اعتمد كتبة العهد القديم ، على ما كان يجري تداوله من أقاصيص عادية في كتابة كتابهم ، لما استطاعوا أن يبعثوا روح الحنين والعودة في المهجّرين إلى أوطانهم . فقد كان هؤلاء الكتّاب (الرؤساء) بحاجة إلى ذلك الشعب لاستغلاله في تحقيق طموحاتهم القيادية والسياسية .

ومع كل هذه الجهود الكبيرة التي بذلها رؤساء وكهنة بني إسرعيل في بابل، فإننا نجد عددا كبيرا من المهجّرين فضّلوا البقاء في بابل ، على العودة إلى أورشالم ، لاندماجهم في الحياة البابلية العادية ، وأصبحوا أصحاب نفوذ وثراء ، واكتفى العديد منهم بدفع مبالغ مالية للمهجّرين العائدين ، على أن يبقى في موطنه الجديد .

الفصل العاشر

المكابيون . . . ثورة أم تمرد

فلسطين قبل المكابية :

في سنة 200 ق. م. استطاعت جيوش الملك (السلوقي أنطيوخوس الثالث 232 – 187 ق. م.) من احتلال فلسطين بكاملها . وفي سنة 198 ق. م. دخل الملك السلوقي أورشالم . ولم يحاول تغيير نظام الحكم الذي كان متبعا في المنطقة منذ العهد الفارسي والبطلمي ، بل أنه قام بمنح اليهود في أورشالم مزيدا من الحقوق الجديدة ، فقد :

" أعفى سكان المدينة من الضرائب ثلاث سنوات ، ثم أمر بإنزال ثلث هذه الضرائب بأجمعها بعد السنوات الثلاث الأولى . أما أعضاء الغيروسيا – أعضاء مجلس الشيوخ – والعاملون في الهيكل فقد أعفوا من دفع الضرائب إطلاقا . فضلا عن ذلك فقد تبرع أنطيوخوس بالمال لإصلاح الهيكل أو بناء أجزاء جديدة أضيفت له . "

(نقولا زيادة ، الموسوعة الفلسطينية ، ص 150/2/2) .

كما تم تثبيت النظام السياسي الديني القائم في المدينة والتي كانت تحكم بموجبه ، من قبل الكاهن الأعظم وأتباعه . كما يلاحظ اهتمام أنطيوخوس الثالث بالهيكل اليهودي ، فأجزل له العطايا. ولم يقصّر في العمل على إعمار المدينة التي تهدم جزء كبير من أبنيتها من جراء الحروب . وقد سمح أيضا للهاربين اليهود وغيرهم من المدينة بالعودة إليها ثانية ، وأعتق الأسرى دون مقابل .

وكان في أورشالم في ذلك الوقت عشيرتان تتنازعان على منصب الكهانة ، وهما (العنانيون) و (الطوبيون) . وفي عهد أنطيوخوس كان هناك تأثير

واضح للكاهن وأتباعه وهم من العنانيين ، بينما ضعف تأثير المتـأغرقين وعلـى رأسهم الطوبيون .

وكان من عشيرة العنانيين الكاهن الأعظم ، ولهم سلطة الإشـراف والإدارة على هيكل أورشالم . أما الطوبيون فكانوا ذوي " نفوذ قـوي فـي مدينـة الهيكـل المقاطعـة – أورشالم – وكذلك في مناطق شرقي فلسطين حيث امتلكـوا أراضـي فيها . كما وكان لهم قلعة وهيكل خاص بهم ، بالإضافة إلى نفوذ قوي في المنطقـة المحيطة بمدينة كانت تعرف باسم صور والتي هـي الآن (عـرق – عـراق – الأمير) في شرقي فلسطين . "(**زياد منى ، مقدمة في تاريخ فلسطين القديمـة ، ص 119**) .

وكان الكاهن الأعظم في أورشالم في ذلك الوقت هو من أسرة (أونيـاس الثاني) من عشيرة العنانيين . " " تلك الأسرة الكهنوتية التـي عينـت مـع أبنـاء صادوق منذ عهد سليمان . " " (**هاني جوهر ، اليهود في فلسطين في العـصرين البطلمي والسلوقي ، ص 20**) .

ولهذا كان من الطبيعي ظهور الغنى الفاحش على أفراد هذه الأسرة ، التي أصبحت تشكل الطبقة العليا في المجتمع اليهودي ، في أورشالم خاصة ، مما أوجـد انقساما حادا بين هذه الأسرة وباقي أفراد مجتمع أورشالم .

وكانت عشيرة الطوبيين ، تُعتبر العشيرة الثانية اليهودية في أورشالـم ، ومن أهم الشخصيات الذين تولوا تمثيل هذه الأسرة كان (شمعون ، ثم منـيلاوس ، ثم ليسيماخوس ، ثم هيركانوس) . وكان هذا الأخير هو الأكثر ارتباطا من إخوتـه مع البطالمة ، أما الآخرون فكانوا يميلون إلى النظام السلوقي .

وبعد أن استولى السلوقيون على فلسطين وأورشالم ، فر هيركانوس إلـى شرقي النهر ، ويقال أنه " انتهى الأمر به إلى الانتحار بعـد أن ضـيّقت عليـه

الحكومة السلوقية الخناق حينما شعرت بخطورته . " (**هاني جوهر ، اليهود في فلسطين ، ص 21**) .

وكان أفراد عشيرة الطوبيين قد تمكنوا من السيطرة على منصب (جامعي الضرائب) في فلسطين ، وأحيانا يمتد ذلك إلى خارجها . وهذا المنصب يتطلب من موظفيه العمل على استمرارية تدفق العوائد الضريبية إلى الخزينة وزيادتها قدر الإمكان ، مما يتطلب ضغطا على الأهالي والفلاحين والإقطاعيين لتحصيل أكثر ما يستطيعون تحصيله ، ونتيجة لذلك كان الكره واضحا من الأهالي لعشيرة الطوبيين ، لأن جامعي الضرائب منهم .

ولكن في أواخر سنة 190 ق. م. هزم السلوقيون أمام الرومان في معركة (مغنسيا Magnesia) مما أدى إلى تراجع وضعف الدولة السلوقية ، وتمرد العديد من المقاطعات التي كانت تحت سيطرتها .

وبعد وفاة أنطيوخوس الثالث ، تولى حكم الدولة السلوقية ابنه (سلوقوس الرابع 187 – 175 ق. م.) الذي ورث دولة فقيرة ، وكان بحاجة إلى الأموال بأية طريقة ، خصوصا وأنه كان لزاما عليه أن يدفع مبلغ (1000) تالنت سنويا إلى روما لمدة إثني عشر عاما .

ولهذا سعى إلى الاستيلاء على أموال الهيكل في أورشالم ، وبمساعدة سمعان (شمعون) من عشيرة الطوبيين ، والذي كان يشغل وظيفة وكيل الهيكل ، وكان على خلاف مع الكاهن الأعظم (أونياس) من عشيرة العنانيين . كما كان سمعان من المتعاطفين مع الهيلينستية الإغريقية ، فاستغل سلوقس الرابع ذلك وأرسل أحد وزرائه (هيلودوروس) ليستطلع الأمر ، ويصادر تلك الأموال إن وجدت ، لدفع الجزية إلى روما . ولكن على ما يبدو أنه لم يستطع الحصول على تلك الأموال للمعارضة الشديدة التي لقيها من كهنة الهيكل ، فعاد إلى أنطاكية صفر اليدين .

وفي عهد سلوقوس الرابع تم استبدال الكاهن الأعظم العناني المحافظ ، بابن سمعان (شمعون) (أونياس الثالث) من عشيرة الطوبيين ، مع أنه كان يظهر ميولا للبطالمة في مصر . وهكذا انتقل منصب الكهانة العظمى في أورشالم من عشيرة العنانيين ، إلى عشيرة الطوبيين .

وبعد وفاة الملك سلوقوس الرابع ، تولى حكم الدولة السلوقية الملك (أنطيوخوس الرابع 175 – 164 ق. م.) ، فتقرب إليه يشوع (جاسون Jason) أخو أونياس الثالث الكاهن ، وقدم رشوة ضخمة من أجل تعيينه كاهنا أعظم لأورشالم ، وكان ميالا إلى الهيلينستية أكثر من غيره ، وتعهد بأن تكون الصبغة الهيلينستية هي السائدة في أورشالم . وأن يجعلها مدينة (بوليسة) إغريقية بكاملها ، وبالطبع فإن ذلك يتعارض مع مبادئ الشريعة اليهودية التي كانت متبعة في أورشالم .

أورشالم في عهد أنطيوخوس الرابع :

أصبح اليهود في أورشالم في عهد الملك السلوقي أنطيوخوس الرابع فريقان :

الفريق الأول : ويؤمن هذا الفريق بأغرقة المدينة ، وعلى رأس هؤلاء الكاهن الأعظم الجديد (يشوع / جاسون) الذي بدأ بإصباغ مظاهر الحياة اليونانية على أورشالم ، تقول آرمسترونج في ذلك :

" إذ لم يكن يريد أن تستمر دولة يهوذا دولة معبد ذات طراز عتيق قائمة على أساس التوراة ، بل كان يأمل أن تتحول أورشالم إلى مدينة يونانية (بولسة) وأن تسمى أنطاكية ، استلهاما لاسم راعيها الملكي ، وما كان أنطيوخوس كشأنه دائما في

حاجة على المال ، فقد قبل المنحة – الرشوة – ووافق على برنامج جاسون ، إذ كان يرجو أن يؤدي ذلك إلى تدعيم سلطته في يهوذا . " (**كارين آرمسترونج ، القدس مدينة واحدة ، ص 196)** .

ومن الأعمال التي قام بها هذا الفريق :

1- استخدام اللغة اليونانية بدلا عن اللغة الآرامية التي كانت سائدة في أورشالم ، وأصبحت اللغة الرسمية للكاهن الأعظم ، وأعوانه ، وفي جميع الإدارات الحكومية .
2- إنشاء أبنية إغريقية المظهر والغرض ، مثل الجمنازيوم المغطى ، قرب جدار الهيكل ، واستخدام إيراداته في الإنفاق على النشاطات العامة ، ذات النفع العام ، وليس للإنفاق على الهيكل .
3- تشجيع الشباب اليهود على دراسة العلوم والفلسفة اليونانية .
4- تغيير كثير من الأسماء اليهودية أو غيرها ، إلى أسماء يونانية ، ومنها (يشوع) إلى (جاسون) ، وأصبح الكثير من الأفراد اليهود يحملون أسماء مركبة (يهودية / يونانية) .
5- بناء علاقات اقتصادية واجتماعية مع السلوقيين وغيرهم على أسس يونانية .
6- التحول إلى عبادة الآلهة اليونانية ، وتقديم القرابين لها .

الفريق الثاني : وهذا الفريق عرف باسم (الحسيديم) ، وكان ينادي بالمحافظة على العادات والتقاليد اليهودية القديمة ، والتمسك بالأحكام والشرائع اليهودية ، ونادوا بمخالفة نشر الثقافة الهيلينستية في أورشالم . وقد عرف من هؤلاء جماعة (الفريسيين) الذي كان لهم دور كبير في الحياة السياسية فيما بعد .

هذا الوضع المضطرب الذي كانت تعيشه أورشالم في ذلك الوقت ، بين المؤيدين للهيلينستية ، وبين المعارضين لها ، جعل الناس يعيشون في أجواء مليئة بالحذر والترقب ، والخوف ، وعدم الأمن .

بداية التمرد المكابي :

كان أنطيوخوس الرابع (أبيفانس) متأثرا جدا بالأنظمة والأحكام الرومانية نظرا لقضائه فترة من الوقت في روما ،ولهذا كان يحبذ تطبيق مثل هذه القوانين في مملكته . وكان من الطبيعي أن تكون (يهوذا وأورشالم) إحدى المناطق السلوقية من بين المناطق التي ستطبق فيها هذه القوانين . وقد ساعده على ذلك تعيين (جاسون) كاهنا أعظم لليهود في أورشالم ، الذي لم يدخر وسعا في التحول إلى الهيلينستية في كافة المجالات .

ونتيجة لذلك ، بدأت مظاهر العزوف عن الدين واضحة عند الشعب اليهودي ، حتى عند رجال الدين أنفسهم ، حيث بدأ الكهنة ورجال الدين يتركون واجباتهم الدينية ، وعنايتهم بالهيكل ، ليذهبوا لمشاهدة الألعاب الرياضية ، المقامة في الجمنازيوم ، أو المشاركة فيها إن أمكن .

ومع انتشار الأحكام والقوانين اليونانية الجديدة في أورشالم ، بدأ تطبيق أحكام الشريعة التوراتية المزعومة في التراجع ، والانقراض شيئا فشيئا ، وأصبح الحكم في أورشالم يعتمد على (المجلس التشريعي) للمدينة ، بدلا من الكاهن الأعظم .

وكان هذا المجلس يعتمد المرجعية الإغريقية في كل ما يقوم به من أعمال وراح يدبر الدسائس للإيقاع بالكاهن الأعظم (جاسون) ، وللاستحواذ أيضا على الكهانة العظمى للهيكل .

والذي حصل ، هو أن الكاهن الأعظم (جاسون) كان قد اعتاد على إرسال الأموال والهدايا للملك السلوقي بواسطة مندوبه (منيلاوس) . ولكن منيلاوس قدم إلى الملك السلوقي رشوة ، ليعزل جاسون ، ويعينه كاهنا أعظم لأورشالم ، فوافق الملك السلوقي على ذلك . وتم تعيين منيلاوس كاهنا أعظم على أورشالم ، وهو شقيق شمعون (سمعان) الذي كان وكيلا للهيكل من قبل ، وساعد الملك السلوقي على سرقة أموال الهيكل في حينه .

ولكن منيلاوس لم يكن محبوبا عند اليهود لعدة أسباب منها :

- أن أصل منيلاوس لم يكن من الأسرة اليهودية الكنسية . فلم يكن من سلالة الصدوقيين .فهو ليس من سلالة هارون ، وإنما من سبط بنيامين . ووفقا للعرف والشرع اليهودي التقليدي لا يحق له تولي هذا المنصب ، ولكنه أصر على ذلك وضرب بتعاليم التوراة عرض الحائط .
- لم يكن مؤهلا دينيا لأن يصبح الكاهن الأعظم .
- سرقة أموال الهيكل لتغطية نفقاته الخاصة والوفاء بما التزم بدفعه إلى أنطيوخوس الرابع .

ونتيجة لذلك حصلت نزاعات مسلحة بين (جاسون) الكاهن المخلوع ، وبين (منيلاوس) الكاهن الجديد ، تدخل على أثرها أنطيوخوس الرابع السلوقي بقواته العسكرية ، وأعاد الاستقرار والهدوء إلى أورشالم ، وبنى فيها قلعة (الأكرا) ، ووضع فيها حامية سلوقية دائمة لحفظ الأمن . وبالطبع فقد كان هذا التدخل لصالح الكاهن (منيلاوس) ، وبعد ذلك اضطر الكاهن (جاسون) إلى الفرار ، وقيل أنه اتجه إلى شرقي النهر .

ولكن كيف كان اليهود في مجتمع أورشالم في هذه الفترة ؟

تقول الروايات ، بأن مجتمع بني إسريل في أورشالم لم يكن ميالا إلى الإغريقية ، ولهذا بقيت مقصورة على الكاهن الأعظم وحاشيته ، وقليل من الأهالي الذين كانت لهم مصلحة في ذلك ، وكانوا جميعا معتمدين على حماية ودعم الحامية السلوقية في أورشالم . ولا شك بأن هؤلاء كانوا يشكلون قلة من المجتمع اليهودي في المدينة ،ومن هنا بدأ الانقسام يأخذ أبعاده بين اليهود أنفسهم من جهة ، وبين اليهود المتمسكين بالشريعة اليهودية ، والسلوقيين من جهة أخرى ، مما سيكون له أثر كبير في الخلافات والانقسامات التي حصلت في أورشالم فيما بعد .

وقد عمل منيلاوس جاهدا على جعل أورشالم مدينة هيلينستية نموذجية ، وقد وصف مندنهول الأعمال التي قام بها منيلاوس من أجل ذلك فقال :

" وقد دفع ثانية مبلغا كبيرا من المال لجعل القدس بوليتيوما Politeuma في أنطاكية ، أي نوعا من الكيان المنفصل في العاصمة السلوقية وأعاد تسميتها بالقدس أنطاكية في اليهودية وأقام فيها المؤسسات الهيلينية النموذجية كالجمنازيوم (دار الرياضة) والإيفيبيات Ephebate (مركز التدريب العسكري للشباب) والألعاب على الطراز اليوناني . ولما كانت المدينة ما تزال صغيرة في هذا الوقت ، ولا تشغل فيما هو واضح سوى التل الشرقي وجبل الهيكل فيبدوا من المحتمل أن هذا الإجراء ، مع أنه كان بمثابة الصدمة للحسيديم Hasidim المحافظين ، أولئك المخلصين للتقاليد التوراتية ، لم يكن له تأثير جدي على طريقتهم الخاصة في الحياة ، وفي هذا الوقت لم يكن هناك عمليا مقاومة منظمة . " **(مندنهول ، القدس والتاريخ ، ص 87) .**

ونتيجة لذلك أصدر الملك السلوقي أنطيوخوس الرابع عدة قرارات لإلغاء قوانين الشريعة التوراتية ، وإحلال القانون المدني السلوقي مكانها ، وتحويل هيكل أورشالم إلى مركز ديني عالمي ، كما أصدر قرارات أخرى منها :

" 1- منع تعليم التوراة أو تعلمها .
2- تحريم الختان .
3- إجبار اليهود على الاشتراك في طقوس دينية ، وتقديم القرابين للآلهة الوثنية .
4- أكل لحم الخنزير .
5- عدم حفظ يوم السبت .
6- تدمير المباني التي يجتمع فيها اليهود للصلاة ،وإقامة معابد للآلهة اليونانية محلها . " **(هاني جوهر ، اليهود في فلسطين ، ص 40) .**

وقد لاقت كل هذه القرارات قبولا من الكاهن الأعظم منيلاوس ، حيث أنه لم يبد أي اعتراض على أي منها . في مثل هذه الظروف ظهر المكابيون .

التمرد المكابي :

منذ أكثر من ثلاثين سنة قبل تمرد المكابيين ، وأورشالم وسكانها يعيشون في صراعات عائلية ، وخلافات حول الكهانة العظمى . حيث أن منصب الكاهن الأعظم كان يخول صاحبه سلطة لا تتوفر لأي مسؤول آخر في أورشالم ، وعن طريق هذا المنصب يستطيع صاحبه أن يفرض الأحكام والقوانين التي يراها مناسبة، كما توفر الدولة السلوقية صاحبة اتخاذ القرار له ولأتباعه الحماية . وفي أكثر من مرة رأينا أن تعيين الكاهن الأعظم كان يتم عن طريق الرشوة ، وبالتالي فإن الكاهن كان يفرض الضرائب على أبناء الشعب ، خاصة الأغنياء منهم ، وبشكل تعسفي في كثير من الأحيان ، مما اضطر الكثيرين منهم إلى بيع أراضيهم وممتلكاتهم نتيجة لهذه السياسة التعسفية ، وأصبح الهيكل بمثابة (بنك مركزي) للكاهن وأتباعه ، بدلا من أن يكون مكانا للعبادة .

كما ظهرت في أورشالم طائفة ترى أن لا تعارض بين اتباع شـريعة بنـي إسرعيل وبين ممارسة بعض جوانب الحياة الإغريقية الهيلينـستية . كمـا كانـت هناك فئة تطالب بالتطبيق الحرفي للشريعة التوراتية ، وأخرى تريد فرض القوانين الإغريقية ولو بالقوة .

وهكذا وجد في مجتمع يهوذا وأورشالم مختلف التناقضات ، بحيث أن كـل جماعة كانت تنتظر ساعة الخلاص من الجماعة الأخـرى ، وتنتظـر الفرصـة المناسبة للانقضـاض عليها وتدميرها إن استطاعت . ويـرى زيـاد منـى " أن التعصب في العقيدة وحب السلطة والتملك ، خاصة بين طبقـة الكهنـة ، أوصـل التعايش بين مختلف الطوائف الفلسطينية وقادتها ، وبغض النظـر عـن انتمائهـا الأصلي ، إلى طريق مسدود . " (**زياد منى ، مقدمة في تاريخ فلسطين القديمة ، ص 130**) .

وكما جاء في سفر المكابين الأول (2- 17) ، في رواية التمرد المكابي ، أن (متتياهو بن يوحنا الحشموني) كان كاهنا ، وأيضا حاكما للقرية التـي وقـع فيهـا التمرد وهي قرية (مودين) . وتقول الرواية أنـه فـي سـنة 167 ق. م. جاءت قوة سلوقية إلى قرية مودين Modein قرب اللد ، وطلبوا من اليهود تقديم قربان لإلههم الوثني ، فقام أحد اليهود الموالين للسلوقيين لتقديم القربان ، فتـصدى له الكاهن متتياهو وضربـه بالسيف فقتله ، ثم ضرب القائد السلوقي أيضا وقتلـه ، ثم اندفع أبناؤه ومؤيدوه يقاتلون السلوقيين .

وبعـد ذلك هـرب متتياهو وأبناؤه الخمسة (يوحنـا الملقـب كـديس ، وسمعان الملقب طسّي ، ويهوذا الملقب المكابي ، وأليعازر الملقب أوران ، ويونان الملقب أفوّس) ، هربوا إلى تلال (جفنة) خوفا من بطش السلوقيين . وما لبث أن

انضم إليهم جماعة من اليهود عرفت بالتعصب الديني ، أطلق عليهم اسم (الحسيديم) أي التقاة .

ولم يلبث متتياهو أن توفي سنة 165 ق. م. فتولى زعامة التمرد ابنه (يهوذا) .

المكابية ثورة أم تمرد ؟ :

يرى عدد كبير من المؤرخين والعلماء أن الحركة المكابية ، لم تكن ثورة دينية كما تصورها أسفار المكابيين ، بل هي تمرد اجتماعي اقتصادي مادي سياسي نظرا لخوف كهنتهم على المكاسب التي كانوا يحصلون عليها من الكهانة . وإذا ما عرفنا أن متتياهو ، والذي بدأ التمرد كان كاهنا تبين لنا مدى صدق ذلك .

والكاهن سواء كان في الهيكل ، أو في أي مكان ديني آخر ، في ذلك الوقت كان من حقه أن يحصل على ما يلي :

"1- عشر الأعشار من أفراد الطائفة اليهودية (العدد 18: 21، 24).
2- فداء الأبكار وذبائح الخطايا والآثام (اللاويين 23: 9، 19) (العدد 18: 15، 16) .
3- بواكير المحاصيل (الخروج 23: 19) ، (العدد 18: 12، 13) .
4- جزء من غنيمة الحرب (العدد 31: 28) .
5- خبز ولحم التقدمات التي تقدم أثناء الخدمة وذبائح التكفير عن الخطايا والآثام (اللاويين 6: 5- 7 ، 14-18 ، 24) ." (**هاني جوهر ، اليهود في فلسطين ، ص 50**) .

وبتطبيق القوانين السلوقية الإغريقية الجديدة ، فإن مثل هذه المخصصات سوف يحرم منها الكهنة . ولهذا كان التذمر بينهم واضحا بعد قوانين أنطيوخوس

الرابـــع ، وكانوا ينتظرون الوقت المناسب للتمرد على هذه القوانين . فقــد كـــان الهيكل هو مصدر الرزق والوحيد لهؤلاء الكهنة ، بصفتهم خدام بيت الـــرب كمـــا يعتقدون . ومن ناحية أخرى ، فقد تضرر أيضا أثرياء اليهود الذين كانوا يقدمون للهيكل كثيرا من الخدمات التي يحتاجها المواطنون ، وزوار الهيكل ، والتي ســوف تتوقف الآن نظرا لأنه أصبــح مــسموحا لأفــراد آخــرين ، ومــنهم الــسلوقيون والإغريقيون القيام بمثل هذه الأعمال ، لأن الهيكل أصبح مكانا دينيا عاما لجميــع الديانات .

لقد وافق عدد كبير من اليهود في البداية أنطيوخوس الرابع على قوانينه ، واتبع هؤلاء اليهود الأحكام الإغريقية ، بدلا من التعاليم التوراتية ، وكان لهم دور كبير فـــي مساعدة الملك السلوقي وحكامه على تطبيق هذه القوانين ، في فلــسطين عامة ، وأورشالم خاصة .

وكان (متتياهو) صاحب التمرد الأول ، كاهنا قاد حركة التمـــرد سعيــــا للحفاظ على مصدر رزقه وثرائه ، هو وأبناؤه . وقد انخدع (الحسيديم) بأفكـــار هذه الحركة عند بدايتها ، فانضموا إليها ، ولكنهم ما لبثوا أن تركوهـــا ، بعـــد أن تبينت لهم أهدافهـــا ومقاصدها المادية والدنيوية .

وبعد أن تولى (يهوذا المكابي) ، قيادة هذا التمـــرد ، راح يـــشن حـــرب عصابات على القوافل التجارية مهما كان نوعهـــا ، وعلـــى التجمعـــات الـــسكانية المنعزلة خاصـــة ، وسرقة ما يستطيع سرقته منها هو وأعوانه . وقد ساعد عـــدم الاستقرار السياسي السلوقي في أنطاكية ، ساعد يهوذا على دخول أورشالم واحتلال الهيكل ، مما اضطر السلوقيين إلى عقد اتفاق معه نص على إلغاء القوانين السلوقية واستبدالها بقوانين الشريعة التوراتية ، وإعادة ما كان للكهنة من حقوق وامتيازات .

وفي سنة 134 ق. م. تولى (يوحنا هيركانوس) قيادة الجماعة المكابية ، وفي عهده زادت حدة الصراع بين الطائفــة الحــشمونية (المكـــابيين) ، وبـــين

الطوائف اليهودية الأخرى ، وكان الصراع شديدا على الأمور المادية والسياسية . ومن الفرق التي شاركت في هذا الصراع (الفريسيون ، والصدوقيون) .

وقد طالب الفريسيون بتطبيق الشريعة التوراتية عامة ، ولم يعترفوا بالفصل بين الأمور الدينية والدنيوية . في حين أن الصدوقيين قد تساهلوا كثيرا في هذه الأمور ، وقد وقفوا إلى جانب المكابيين ، لأنهم كانوا يمثلون الطبقة العليا الارستقراطية في المجتمع اليهودي .

كما اشتد الصراع بين الطائفتين (الفريسيين ، والصدوقيين) عندما انتقد الفريسي (أليعازر) انتقد الكاهن الأعلى هيركانوس، وأنه لا يحق له تولي هذا المنصب ، نظرا لأن أمه كانت مسبية في عهد الملك السلوقي أنطيوخوس الرابع ، وردا على هذا التطاول الفريسي كان جزاء أليعازر هو جلده (أربعين) جلدة ، وقد رفض الفريسيون قتله ، مما أدى إلى نشوب نزاع طائفي بين الصدوقيين يدعمهم الكاهن الأعظم ، والفريسيين ، على أثره نادى الكاهن الأعظم : " في جميع المدن اليهودية بأن لا يتعلم أحد من أفراد الطائفة اليهودية على أيدي الفريسيين ، وقام بقتل كثير ممن خالفوا أوامره . " (**هاني جوهر ، اليهود في فلسطين ، ص 130**) .مع وجود رواية أخرى حول هذا الموضوع ، وإن كانت الروايتان تحملان نفس المعنى تقريبا .

وهكذا فإن الأمور الشخصية والسياسية والمادية للمكابية ، قد طغت على الأمور الدينية لبني إسرعيل .

وقد بلغ الابتعاد عن الأمور الدينية ذروته في عهد (أرسطو بولوس الأول 104 ، 103 ق. م.) الذي تولى الكهانة بعد وفاة هيركانوس ، بعد حصول صراعات دامية على السلطة بين المكابيين أنفسهم الطامعين في الحكم . وكذلك حرب أهلية بين الحكام ، وبين الأحزاب الدينية . وسادت الفوضى ، والخوف جميع أنحاء فلسطين ، وخاصة المناطق المسكونة من قبل اليهود .

وكان أرسطو بولوس محبا للعظمة ، تبدو عليه علامات الغطرسة ، ومؤيدا للإغريقية ، فأطلق على نفسه اسم (فيلهيلين) أي (محب الهيلينية) . واتخذ لنفسه لقب (الملك) ، وخوفا من أن ينازعه الحكم أحد ، قام بقتل والدته ، وقتل شقيقه (أنتيجونوس) ، وسجن بقية إخوته .

وهكذا نجد أن حكام المكابيين سواء كانوا (كهنة) أم (قواد) جيوش ، فقد اتصفوا جميعا بالقسوة ، والعدوانية ، وحبهم للسلطة لأنها تجلب لهم المركز والمال، وما كان حب بعضهم للإغريقية ، والتقرب إلى السلوقيين حبا في هذا الاتجاه ، بل من أجل الحصول على دعم السلوقيين لتثبيتهم في السلطة .

إن الحركة المكابية ، والتي يطلق عليها البعض اسم (ثورة) ، لم تكن كذلك ، بل هي (تمرد) قاده زعماؤهم الكهنة عندما رأوا أن مصدر رزقهم الوفير مهدد بالانقطاع أو التناقص ، فكان هذا التمرد الذي تذرع بالدين سببا ، وهم بعيدون عنه كل البعد .

الفصل الحادي عشر
أسطورة شعب الله المختار

العهد القديم وأسطورة شعب الله المختار :

يعتمد بنو إسرعيل في ادعاءاتهم على أنهم هم شعب الله المختار على أرضه ، على ما جاء في مرويات العهد القديم من نصوص مشكوك فيها ، ومن أجل ذلــك منحهــم (الأرض الموعودة) . وقد ورد ذلك في العديد من إصحاحات العهد القديم ، ومنها :

" . . . أنتم رأيتم ما صنعت بالمصريين ، وأنا حملتكم على أجنحة النسور وجئت بكم إلي ، فالآن إن سمعتم لصوتي وحفظتم عهدي تكونون لي خاصة من بين جميع الشعوب ، فإن لي كل الأرض ، وأنتم تكونون لي مملكة كهنة وأمة مقدسة . " سفر الخروج 19 : 4 – 6

وأيضا : " لذلك قل لبني إسرعيل أنا الرب ، وأنا أخرجكم من تحت أثقــال المصريين وأنقذكم من عبوديتهم وأخلصكم بذراع ممــدودة وبأحكــام عظيمــة ، وأتخذكم لي شعبا وأكون لكم إلها . " سفر الخروج 6 : 6

وأيضا : " ولا يسمع لكما فرعون حتى أجعل يدي علــى مــصر فــأخرج أجنادي شعبي بني إسرعيل من أرض مصر بأحكام عظيمة . " سفر الخــروج 7 : 4

كما يقول (يهوه) الإله المزعوم لبنــي إســرعيل مخاطبــا الــشعــب الإسرعيلي : " والآن اسمع يا يعقوب عبدي وإسرعيل الذي اخترته . . . أسكب روحي على نسلك وبركتي على ذريتك . " أشعيا 44 : 1، 2 .

وقد بين الرب – رب إسرعيل – حسب مرويـات العهـد القـديم ، لمـاذا اختارهم من دون سائر الشعوب ، وماذا يجب عليهم أن يفعلوا في الشعوب الأخرى فقـال : " ولكن هكذا تفعلون بهم تهدمون مذابحهم وتكسرون أنصابهم وتقطعـون سواريهـم وتحرقون تماثيلهم بالنار . لأنك أنت شعب مقدس للرب إلهك .

إياك قد اختار الرب إلهك لتكون له شعبا أخص من جميع الـشعوب الـذين على وجه الأرض .

ليس من كونكم أكثر من سائر الشعوب التصق الرب بكم واختاركم لأنكـم أقل من سائر الشعوب .

بل من محبة الرب إياكم وحفظه القسم الذي أقسم لآبائكم أخرجكم الرب بيد شديدة وفداكم من بيت العبودية من يد فرعون ملك مصر . " سفر التثنية 7: 5 – 8

ويقول أيضا : " مباركا تكون فوق الشعوب . لا يكون عقيم ولا عاقر فيك ولا في بهائمك . " التثنية 7 : 14

وغير ذلك كثير .

وهكذا فإن إله إسرعيل المزعوم (يهـوه) قـد أكـد علـى مثـل هـذه الخصوصيات التي يرى أنها موجودة في الشعب المختار ، شعب بنـي إسـرعيل ، حتى أصبحوا على قناعة بأنهم هم أفضل الشعوب ، وأعظمهم ، ومـن حقهـم أن تكون لهم السيادة . وليس عجيبا بعد هذا أن نرى عـددا كبيـرا مـن مـؤرخيهم وزعمائهم يرون أن لهم رسالة عالمية ، عليهم أن يوصلوها إلى الشعوب الأخرى ، وأن مفهوم (الشعب اليهودي المختار) يتضمن الاختيار لتأدية هذه المهمة .

فهم يرون أن العنصر اليهودي ، هو الأرقى حضارة ، والأكثـر كمـالا ، وخلقا ، وتفوقا عقليا على غيره ، . . . ومن كان في مثل هذا الموقـع يجـب أن يعطى الفرصة الكاملة لتحقيق الأهداف التي أوجد من أجلها ، كما يـدعي (آحـاد

هاعام) " " لكي ينبعث هذه العرق المتفوق لا بد له من مكان ثابت ومستقر حتى تتاح له الفرصة ثانية لتطوير عبقريته وإبلاغ رسالته كاملة متفوقة . " " (**جورجي كنعان ، تاريخ يهوه ، ص 45**) . وبالطبع فهم يرون أن المكان الأكثر مناسبة لذلك هو فلسطين .

القرآن وشعب الله المختار :

كما ورد في القرآن الكريم من الآيات ما يدل ظاهرها على أن الله تعالى قد اختار شعب بني إسرعيل ، وخصهم على غيرهم من العالمين .

قال تعالى : " **يا بني إسرعيل اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم وأني فضلتكم على العالمين . " البقرة 47 ، 122**

وفي سورة الأعراف جاء على لسان موسى عليه السلام قوله تعالى : " **أغير الله أبغيكم إلها وهو فضلكم على العالمين . " الأعراف 140**

وقوله تعالى : " **ولقد آتينا بني إسرعيل الكتاب والحكم والنبوة ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على العالمين . " الجاثية 16**

وقوله تعالى : " **ولقد اخترناهم على علم على العالمين . " الدخان 32**

ولكن كيف يكون هذا التفضيل والاختيار ؟

شروط تفضيل شعب على آخر :

لقد خلق الله تعالى الناس وجعلهم شعوبا وقبائل ، ولم يفضل جنسا على آخر ، ولم يجعل لأحد أفضلية على غيره ، إلا بشروط . فأصل الناس أمة واحدة كما قال تعالى : " **كان الناس أمة واحدة فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين . . . " البقرة 212**

وإذا كان الله تعالى قد قال في كتابه العزيز : " **يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عن الله أتقاكم إن الله عليم خبير . " الحجرات 13**

فهذه الآية تبين لنا قواعد تفضيل شعب على آخر ، وهي :

1- الناس في بداية الخلق عند الله متساوون في الحقوق والواجبات ، وفي الطبيعة والاعتبار ، فهم مخلوقون من ذكر وأنثى ، وأصلهم جميعا يعود إلى آدم عليه السلام ، وآدم من تراب .

2- بعد أن تكاثر الخلق ، تكونت الشعوب والقبائل واختلفوا فيما بينهم ، ليس اختلاف أصل وخلق ، ولا شعب على شعب ، ولا قبيلة على قبيلة لمجرد الاختلاف ، وجعل هذا الخلاف وسيلة لأن يسعى بعضهم إلى بعض ليتعارفوا ويتحابوا ويتعاونوا لتسود بينهم المحبة والإخاء .

3- إن مبدأ الأفضلية بين الخلق جميعا لا يعود إلى الانتماء إلى جنس ، أو إثنية محددة ، أو قوم ، أو شعب . . . الخ . وإنما يعود التفضيل كما قال تعالى : " **إن أكرمكم عند الله أتقاكم** " فالتقوى هي أساس المفاضلة بين شخص وآخر ، وشعب وآخر ، فيها يسود الاستقرار والأمن والتعاون والإخاء بين الخلق جميعا وهذا ما يريده الله تعالى .

وإن تفضيل الله لبني إسرعيل على غيرهم " جاء مشروطا بطاعة الخالق وحسن عبادته ، وحفظ عهوده ، فإن تخلف هذا الشرط فلا تفضيل لهم . وليسوا شعبا مختارا ، ويتخلى الرب عنهم ، بل ويذيقهم سوء العذاب . . لقاء ما تقترف أياديهم من آثام ، وهو ما تحقق فعلا بشهادة أنبيائهم ." (**محمد خضر ، شعب الله المختار ، ص 117**) .

وقد طالب الله تعالى بني إسرعيل صراحة بالوفاء بعهدهم له ، حتى يوفي بعهده لهم ، ويجعلهم هم الشعب المختار ، ولكن لما نقضوا هذا العهد ، نقض الله عهده معهم ، قال تعالى : " **يا بني إسرعيل اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم وأوفوا بعهدي أوف بعهدكم وإياي فارهبون . " البقرة 40**

وحتى ذلك كان مشروطا أيضا في العهد القديم ، كما جاء فيه : " إن سمعتم لصوتي وحفظتم عهدي تكونون لي خاصة من بين جميع الشعوب . " الخروج 19: 5. وهذا لا ينطبق على شعب معين .

نعم الله على بني إسرعيل :

تحدثت سورة البقرة في القرآن الكريم مطولا عن بني إسرعيل بعد خروجهم من مصر ، وقد بين الله تعالى في هذه الآيات أن تفضيله لبني إسرعيل ليس تفضيل شعب على آخر ، وإنما هو تفضيل لهم على غيرهم باختياره لهم في ذلك (للرسالة السماوية) وهي رسالة التوحيد . الرسالة السماوية التي تدعو إلى توحيد الله وطاعته ، وقد كان ذلك بواسطة الأنبياء الكثيرين الذين بعثهم الله تعالى إلى بني إسرعيل .

ولكن مع كل هذا التفضيل ، والكرم من الله تعالى ، فقد قابله أغلب بني إسرعيل بالكفر والشرك . ويذكر الله تعالى في سورة البقرة بعد الآية التي جاء فيها تفضيل بني إسرعيل ، يذكر في حوالي خمس وعشرين آية النعم التي أنعمها الله على بني إسرعيل ، رغبة منه في جعلهم يتقبلون رسالة التوحيد ،وأن يعملوا على نشرها ، ولكنهم لم يفعلوا . ونعم الله التي أنعمها على بني إسرعيل وذكرها الله في القرآن ، منها :

1- نجاتهم من عذاب ومجازر فرعون وآله ، قال تعالى : " **وإذ نجيناكم من آل فرعون يسومونكم سوء العذاب يذبحون أبنائكم ويستحيون نساءكم وفي ذلك بلاء من ربكم عظيم** . " **البقرة 49**

2- نجاتهم من الغرق في البحر ، بعد أن اتبعهم فرعون وجنوده ، قال تعالى : " **وإذ فرقنا بكم البحر فأنجيناكم وأغرقنا آل فرعون وأنتم تنظرون** . " **البقرة 50** .

3- العفو عن بني إسرعيل بعد أن ظلموا أنفسهم واتخذوا العجل وعبدوه في سيناء ، في الوقت الذي كان فيه موسى عليه السلام ، ذاهبا إلى لقاء ربه . قال تعالى : " **وإذ واعدنا موسى أربعين ليلة ثم اتخذتم العجل من بعده وأنتم ظالمون . ثم عفونا عنكم من بعد ذلك لعلكم تشكرون . " البقرة 51، 52.**

4- تكليف موسى عليه السلام وهو من بني إسرعيل بالرسالة لهداية قومه ، ودعوتهم إلى طريق الإيمان .قال تعالى : " **وإذ آتينا موسى الكتاب لعلكم تهتدون** . " **البقرة 53** .

5- بعثهم ثانية بعد أن أخذتهم الصاعقة ، جزاء لما طلبوه من رؤية الله تعالى جهرة . قال تعالى : " **وإذ قلتم يا موسى لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فأخذتكم الصاعقة وأنتم تنظرون . ثم بعثناكم بعد موتكم لعلكم تشكرون** . " **البقرة 55 ، 56** . مع أن هذا الذنب وحده يكفي لاستئصالهم نهائيا كعاد وثمود .

6- تظليلهم بالغمام ليقيهم حرارة الشمس أثناء خروجهم من مصر إلى الأرض المقدسة ، وعلى الأغلب فإن ذلك حصل في صحراء سيناء . قال تعالى : " **وظللنا عليكم الغمام . . . .** " **البقرة 57** .

7- إنزال المن والسلوى وغيرها من الطيبات على بني إسرعيل وهم في صحراء سيناء . قال تعالى : " . . . **وأنزلنا عليكم المن والسلوى كلوا من طيبات ما رزقناكم وما ظلمونا ولكن كانوا أنفسهم يظلمون .** " **البقرة 57**

8- تفجير عيون ماء في الصحراء ليشرب منها بنو إسرعيل . قال تعالى : " **وإذ استسقى موسى لقومه فقلنا اضرب بعصاك الحجر فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا قد علم كل أناس مشربهم كلوا واشربوا من رزق الله ولا تعثوا في الأرض مفسدين .** " **البقرة 60 .**

وغير ذلك من النعم كثير .

عصيان بني إسرعيل لله تعالى :

ولكن مع كل هذه النعم ، فقد عصى بنو إسرعيل الله تعالى ، وقابلوا نعيمه وخيراته ، بالكفر والعصيان ، والعبث ، والفساد ، وارتكاب المعاصي والآثام ، وقد أشار القرآن الكريم إلى كثير من ذلك . قال تعالى : " **سل بني إسرعيل كم آتيناهم من آية بينة ومن يبدل نعمة الله من بعد ما جاءته فإن الله شديد العقاب .** " **البقرة 211** . وهكذا فإن بني إسرعيل لم يحفظوا نعم الله التي أنعم عليهم بها ، فكفروا بهذه النعم،ومنها :

1- الكفر بالله تعالى بعد نجاتهم من فرعون وجنوده ، وعودتهم إلى عبادة الأوثان فقد عبدوا العجل الذي صنعه لهم السامري في سيناء . قال تعالى : " **ولقد جاءكم موسى بالبينات ثم اتخذتم العجل من بعده وأنتم ظالمون .** " **البقرة 92 .**

2- الكفر بالله تعالى وبما جاء به موسى عليه السلام ، وانهم علّقوا إيمـــانهم على شرط أن يروا الله جهرة ، قال تعالى : **" وإذ قلتم يا موســـى لـــن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فأخذتكم الصاعقة وأنـــتم تنظـــرون . " البقرة 55**

3- عدم اتباع تعاليم الله تعالى عند دخولهم القرية ، فكان جزاؤهم أن أنزل الله عليهم الرجز . قال تعالى : **" وإذ قلنا ادخلوا هذه القريـــة فكلـــوا منهـــا حيث شئتم رغدا وادخلوا الباب سجدا وقولوا حطة نغفـــر لكـــم خطاياكم وسنزيد المحسنين . فبدل الذين ظلموا قولا غير الـــذي قيـــل لهم فأنزلنا على الذين ظلموا رجزا من السماء بما كانوا يفـــسقون . " البقرة 58 ، 59 .**

4- التمرد على نعمة الله تعالى وطيباته من الطعام الـــذي أرســـل لهـــم ، وطلبهم من موسى عليه السلام ، أنواعا أخرى من الطعام . قال تعالى **: " وإذ قلتم يا موسى لن نصبر على طعام واحد فادع لنا ربك يخـــرج لنا مما تنبت الأرض من بقلها وقثائها وفومها وعدسها وبصلها قـــال أتستبدلون الذي هو أدنى بالذي هو خير اهبطوا مصر فإن لكـــم مـــا سألتم وضربت عليهم الذلة والمسكنة وبـــاءوا بغـــضب مـــن الله . " البقرة 61 .**

5- الكفر بالأنبياء الذين بعثهم الله تعالى إليهم ، حتى أن الكثير مـــنهم قـــد قتل على أيديهم ، فعاقبهم الله على ذلك . قال تعالى : **" وباءوا بغـــضب من الله ذلك بأنهم كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيين بغير الحق ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون . " البقرة 61 . وقال تعالى : " أفكلما جاءكم رسول بما لا تهوى أنفسكم استكبرتم ففريقـــا كـــذبتم وفريقـــا تقتلون . " البقرة 87** . وقوله تعالى : **" فبما نقضهم ميثاقهم وكفـــرهم**

بآيات الله وقتلهم الأنبياء بغير حق . . . . " النساء 155 وغيرها . والافتراءات على الأنبياء كثيرة جدا في المرويات التوراتية ، سواء على إبراهيم أو إسحق أو يعقوب أو داود أو سليمان عليهم السلام جميعا ، وغيرهم .

6- نقضهم عهد الله تعالى الذي قطعوه على أنفسهم ، عندما اشتدت بهم المحنة على جبل الطور . قال تعالى : **" وإذ أخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطور خذوا ما آتيناكم بقوة واذكروا ما فيه لعلكم تتقون . " البقرة 63 .**

7- نقضهم طلب الله تعالى منهم بعدم الصيد يوم السبت ، ولكنهم احتالوا على ذلك ،واستمروا في صيدهم ،فكان جزاؤهم أن مسخهم الله تعالى إلى قردة . قال تعالى : **" ولقد علمتم الذين اعتدوا منكم في السبت فقلنا لهم كونوا قردة خاسئين . " البقرة 65** . وقوله تعالى : **" وقلنا لهم لا تعدو في السبت وأخذنا منهم ميثاقا غليظا . " النساء 154**

8- جدالهم لموسى عليه السلام عندما طلب منهم أن يذبحوا بقرة كإمارة على الطاعة لله تعالى ، وكانت النتيجة أن ضيق الله عليهم ، لكثرة سؤالهم لرسولهم ، وما ذبحوها إلا بعد جهد جهيد . قال تعالى : **" وإذ قال موسى لقومه إن الله يأمركم أن تذبحوا بقرة قالوا أتتخذنا هزوا قال أعوذ بالله أن أكون من الجاهلين . . . . " البقرة 67 – 71 .**

9- وصفهم الله تعالى بالقاسية قلوبهم ، وذلك توبيخا وتقريعا لهم ، لكفرهم وعدم إيمانهم بالله تعالى . **" ثم قست قلوبكم من بعد ذلك فهي كالحجارة أو أشد قسوة . . . " البقرة 74 .**

10- تحريف كلام الله تعالى ، بما يتناسب مع أقوالهم وأفعالهم ، ومعتقـداتهم ، فالويل لهم مما يفعلون . قال تعالى : " **أفتطمعون أن يؤمنوا لكم وقد كان فريق منهم يسمعون كلام الله ثم يحرفونه من بعد ما عقلوه وهـم يعلمون . " البقرة 75 . وقوله تعالى : " من الذين هـادوا يحرفـون الكلم عن مواضعه . . . . " النساء 46 .**

11- قتل الناس زورا وبهتانا ، وإخراجهم من ديـارهم ظلمـا وعـدوانا ، والإيمان ببعض ما أنزل عليهم ، والكفر بالبعض الآخر . والأدلة على ذلك من العهد القديم كثيرة جدا . كذلك فإنهم كانوا يقتتلون فيمـا بيـنهم أيضا ، ويخرجون بعضهم بعضا من ديارهم ، كما قال تعـالى : " **ثـم أنتـم هـؤلاء تقتلـون أنفسكم وتخرجون فريقا منكم مـن ديـارهم تظاهرون عليه بالإثـم والعدوان وإن يأتوكم أسارى تفادوهم وهـو محرم عليكم إخراجهـم أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض فما جزاء من يفعل ذلك منكم إلا خزي في الحياة الـدنيا ويـوم القيامـة يردون إلى أشد العذاب وما الله بغافل عما تعملون . " البقرة 85 .**

12- عدم الإيمان بكثير من الرسل والأنبياء ، كما قال تعـال : " **أفكلمـا جاءكم رسول بما لا تهوى أنفسكم استكبرتم ففريقـا كـذبتم وفريقـا تقتلون . " البقرة 87 .**

هذا بالإضافة إلى تعاملهم بالربا ، والميـسر ، وإثـارة الفـتن ، وإشـاعة الفحشاء ، وتحريف التوراة ، ورفض الجهاد في سـبيل الله ، والغـش ، والزنـا ، والحسد ، والسحر ، والتجسس ، وغير ذلك كثير .

وإذا كان ذلك في القرآن الكريم ، فإن العهد القديم الذي يؤمنون به أيـضا يدينهم بذلك . فما أن خرج بنو إسرعيل من مصر ، وبعد ثلاثـة أيـام فقـط مـن

الخروج بدأو بالتذمر والعصيان . يقول كاتب التوراة : " ثم ارتحل موسى بإسرعيل من بحر سوف وخرجوا على برية شور ، فساروا ثلاثة أيام في البرية ولم يجدوا ماء . . . فتذمر الشعب على موسى قائلين : ماذا نشرب ؟ " سفر الخروج 15 : 22، 24 .

وفي اليوم الخامس عشر من الشهر الثاني لخروجهم ، لا زالوا غاضبين ومستائين حتى أنهم فضلوا الموت على الخروج من مصر ، : " ثم ارتحلوا من إيليم وأتى كل جماعة بني إسرعيل إلى برية سين التي بين إيليم وسيناء وفي اليوم الخامس عشر من الشهر الثاني بعد خروجهم من أرض مصر . فتذمر كل جماعة بني إسرعيل على موسى وهارون في البرية . وقال لهما بنو إسرعيل ليتنا متنا بيد الرب في أرض مصر إذ كنا جالسين عند قدور اللحم نأكل خبزا للشبع . فإنكما أخرجتمانا إلى هذا القفر لكي تميتا كل هذا الجمهور بالجوع . " سفر الخروج 16 : 1 – 3 . وغير ذلك كثير .

أسطورة التميّز والتفوّق :

بما أن بني إسرعيل يعتبرون أنفسهم شعب الله المختار ، كما لو أن الله تعالى لم يخلق أناسا غيرهم ، أو أنهم يتميزون عن غيرهم بمميزات من المتعذر وجودها في غيرهم من الشعوب ، فهم يرون أنفسهم أنهم يتفوقون على غيرهم . فهذه (الاستثنائية) التي خص بها بنو إسرعيل أنفسهم قد انعكست على علاقاتهم بغيرهم من الشعوب ، وذلك منذ القدم .

وبالتالي فهم يرون أن علاقاتهم مع الآخرين ، لا بد وأن يكون لـ (الفوقية) الإسرعيلية فيها دور كبير ، واضعين نصب أعينهم مصالحهم ومطالبهم أولا .

ولا شك في أن هذا التفضيل ليس من حكمة الله تعالى في خلقه ، وإنما هو أمر دنيوي بشري ، كتبه ودعمه بنو إسرعيل . يقول كوهن في كتابه التلمود :

" من الطبيعي في أدب ألفه اليهود ، واختص بهم ، أن تعطى الأولوية لشعب إسرعيل (اليهود) . بالحقيقة يمكن توزيع سكان العالم بين إسرعيل والأمم الأخرى كلية . إسرعيل هي الشعب المختار : عقيدة رئيسية إنها بالطبع عقيدة توراتية . غير أن الحاخامات قاموا بتضخيمها إلى درجة كبيرة جدا . " **(كوهن ، التلمود ، ص 113) .**

ونتيجة لهذا التضخيم ، أصبح بنو إسرعيل يظنون أنهم هم الشعب المختار وأن من يقف ضدهم فإنما يقف ضد إرادة الله تعالى ، ويتمرد على مشيئته .

وتأتي أسطورة تفوق بني إسرعيل على غيرهم ، من العهد القديم الذي يعتبرهم (حرّاسا) لله في أرضه ، ولهذا فإن عليهم تقع مسؤولية عبادة الله أولا ، ثم الإشراف على تنفيذ أوامره ونواهيه وهي طبعا من تأليف حاخاماتهم وعلمائهم .

ولكن لماذا يأتي اختيار الله تعالى لبني إسرعيل وحدهم في هذه المهمة كما يدعون ؟ يقول كوهن : " لم يكن اختيار إسرعيل اختيارا اعتباطيا ، وحتى لا توجد إمكانية لوصف الله بالمحاباة ،يروى تقليد أن التوراة قد أعطيت لجميع الأمم ، وإسرعيل وحدها قبلت بها . " **(كوهن ، التلمود ، ص 115) .**

وهكذا فإن القبول الأوحد من إسرعيل للتوراة وبتعاليمها ، جعلهم عند الله تعالى هم الشعب المختار كما يدعون .

ولو نظرنا في واقع الأمر لوجدنا أن الابتزاز الذي يمارسه بنو إسرعيل في الهيمنة والسيطرة على مقدرات الأمم ومكاسبها ، ينبع من خلال سيطرتهم على الموارد التي تخلق هذه الهيمنة ، سواء كان ذلك في المال أو الاقتصاد أو السياسة .

ولكن في اليوم الذي نجد فيه من يقف أمامهم وجها لوجه ، نرى أن هذه الهيمنة سرعان ما تنهار ، ويكتشف ذلك الوجه البغيض الاستعلائي الذي يمارس به بنو إسرعيل هيمنتهم ضد إرادة الشعوب .

يعلق رجاء جارودي على فكرة (الشعب المختار) فيقول :

" وتعتبر فكرة (الشعب المختار) صبيانية من الناحية التاريخية . لأن جميع الشعوب قد عبرت في الكتابات الصادرة عن تحسسها لتمييز خاص بها، يصور الواحد منها بأنه هو (المختار) فلماذا يؤخذ بكتابات شعب ولا يؤخذ بغيرها ؟

وكذلك فكرة (الشعب المختار) – أيضا – فهي إجرامية ،من الناحية السياسية، إذ تكرس مشروعية الاعتداء والتوسع والتسلط .

كذلك لا يمكن تحمل فكرة " الشعب المختار " من الناحية اللاهوتية ، إذ أن افتراض وجود " مختارين " يستتبعه وجود " مقصيين " . **(رجاء جارودي ، قضية إسرعيل ، ص 73)** .

وقد تولدت هذه الأسطورة عند بني إسرعيل منذ خروجهم من مصر ، حيث أصبحوا يعتقدون برعاية الله ، وعنايته لهم في حلهم وترحالهم . ولكنهم بدلا من أن يقابلوا ذلك الإحسان بالإيمان والحمد والشكر ، قابلوه بالكفر والجحود والنكران . قال تعالى : " **فبما نقضهم ميثاقهم لعناهم وجعلنا قلوبهم قاسية يحرفون الكلم عن مواضعه . . .** " ..**المائدة 13** .

أسطورة نقاء الشعب الإسرعيلي :

إن الحديث عن ما يسمى بـ (شعب الله المختار) يقودنا إلى الحديث عن (نقاء الشعب الإسرعيلي) المزعوم . فهذا الوهم التاريخي الذي أحاط به بنو

إسرعيل أنفسهم لا يقوم على دليل ، وإنما هو اعتقاد بأن كل من هو (يهودي) الآن يعود إلى أصل واحد ، وعرق واحد . كما يرى المؤرخ الصهيوني (ناحوم سوكولوف) : " " إن اليهود يمثلون أنقى عرق وأعرق أمة بين جميع الأمم المتمدنة . " " **(جورجي كنعان ، تاريخ يهوه ، ص 44)** .

ولو عدنا إلى التاريخ لوجدنا أن هذه الخرافة لا أساس لها . فمنذ خروج بني إسرعيل من مصر ، قال الله تعالى : " **فما آمن لموسى إلا ذرية من قومه على خوف من فرعون وملأهم . . . " يونس 83 .**

وسواء كانت هذه (الذرية) من بني إسرعيل ، أو من قوم فرعون كما في بعض التفاسير ، فهي تتناقض مع مقولة نقاء شعب إسرعيل ، لأن من لم يؤمن من بني إسرعيل في ذلك الوقت ، قد بقي في مصر حسب تعبير العهد القديم ، وهؤلاء اختلطـوا بالمصريين وتزوجوا منهم ، فاختلطت الأنساب مع بعضها ، وأصبحوا يشكلون جماعة إسرعيلية (مختلطة) في مصر فيما بعد .

وإن كانوا من قوم فرعون ، فهم أصلا ليسوا من بني إسرعيل ، ولكنهم آمنوا بموسى عليه السلام وبرسالته ، وخرجوا معه عندما خرج من مصر ، وأصبحوا يشكلون جزءا لا يتجزأ من بني إسرعيل أيضا .

ومن ناحية أخرى ، يقول تعالى : " **فألقي السحرة سجدا قالوا آمنا برب هارون وموسى . " طه 70 . وأيضا " فألقي السحرة ساجدين . قالوا آمنا برب العالمين . رب موسى وهارون . " الشعراء 46 0 48 . وكذلك في سورة الأعراف 120 ، 121 .**

وهكذا آمن سحرة فرعون بموسى عليه السلام ورسالته ، وبالتأكيد فهؤلاء السحرة ليسوا من بني إسرعيل ، وقد هرب بعضهم من مصر مع موسى عليه السلام ، وانتسبوا فيما بعد إلى بني إسرعيل .

ويقول القرآن الكريم أيضا : " **وقال رجل مؤمن من آل فرعون يكتم إيمانه . . .** " **غافر 28** ، وهذا رجل آخر من جماعة فرعون آمن بموسى عليه السلام وكتم إيمانه ، وقد يكون مثله عشرات أو مئات ، ولا شك في أن عددا منهم قد هاجر مع من هاجر ، وأصبح منهم .

ولو عدنا إلى العهد القديم ، لوجدناه يؤكد ذلك ضمنيا عند قوله : " فارتحل بنو إسرعيل . . . وصعد معهم لفيف كثير أيضا مع . . . "سفر الخروج 12 : 37 ، 38 . ولا شك في أن هذا الـــ (لفيف) قد انضم إليه عدد من غير بني إسرعيل ، ولكنهم آمنوا بموسى عليه السلام .

ولهذا ينفي غوستاف لوبون أن يكون بنو إسرعيل الخارجون من مصر بقيادة موسى عليه السلام أبناء (نسل رجل واحد) فيقول :

" ولحق ببني إسرعيل عدد من المصريين الساخطين ومن الأسارى ومن العبيد المتمردين ، ولما جاوز بنو إسرعيل بحر القُلزُم بَدَوا عشيرة أي جماعة مصرة على الظهور بأنها نسل رجل واحد ، وإن كانت فاتحة صفوفها بالحقيقة لجميع الفُرّار المستبعدين لانتحال اسمها وتقاليدها ومعبوداتها الأهلية . " (**غوستاف لوبون ، اليهود في تاريخ الحضارات الأولى ، ص 33**) .

ومن ناحية أخرى ، فإننا نجد بعضا من الشعوب قد اعتنقت اليهودية كديانة وهم ليسوا من بني إسرعيل ، مما يعني أن مصطلح (بني إسرعيل) لم يعد مطلقا تجمعا عرقيا واحدا ، حتى أنه لم يكن لهم لغة موحدة ينطقون بها ، بل أن كل جماعة كان لها لهجتها الخاصة بها ،والتي تعود في أغلبها إلى اللغة الكنعانية قديما.

والتاريخ يحدثنا عن وجود (تهود) طوعي وقسري ، حصل لبعض الشعوب منذ القدم ، والذين لا ينتمون بأصولهم العرقية إلى الأسباط . وذلك واضح في أسفار (عزرا ونحميا وأستير وزكريا) ، وكذلك في أسفار المكابيين .

وسوف يأتي الحديث عن ذلك في سفري عزرا ونحميا فيما بعد . أما في سفر أستير فقد جاء فيه : " وفي كل بلاد ومدينة كل مكان وصل إليه كلام الملك وأمره كان فرح وبهجة عند اليهود وولائم ويوم طيب ، وكثيرون من شعوب الأرض تهوّدوا لأن رعب اليهود وقع عليهم . " أستير 8 : 17 . والأمر واضح هنا على وجود تهويد قسري لبعض الشعوب .

وفي سفر زكريا : " ترنمي وافرحي يا بنت صهيون لأني هأنذا آتي وأسكن في وسطك يقول الرب . فيتصل أمم كثيرة بالرب في ذلك اليوم ويكونون لي شعبا فأسكن في وسطك فتعلمين أن رب الجنود قد أرسلني إليك . " زكريا 2 : 10 ، 11 .

وفي عهد التمرد المكابي ، قام المكابيون بإجبار كثير من سكان فلسطين من غير بني إسرعيل ، على التهود ، أو القتل . وخلال التشتت الذي لاحق بني إسرعيل على مر العصور لسوء أفعالهم ، وكثرة دسائسهم ، فقد ساعد ذلك على انتشار (اليهودية) في بؤر متعددة من العالم ، ومنها شعوب الخزر ، الذين هم بعيدون كل البعد عن سلالة إبراهيم عليه السلام .

وفيما بعد ، في العصور الرومانية ، قام كثير من المبشرين اليهود بنشر الديانة اليهودية في بعض أرجاء الإمبراطورية . وما حصل ليهود الخزر ، أكبر دليل على أن اليهودية ما دخلت بلادهم إلا عن طريق التبشير اليهودي . كما كان جامعو الضرائب اليهود في أوروبا في القرون الوسطى يستغلون وظائفهم في نشر اليهودية بين السكان ، مقابل التساهل معهم في الضرائب المفروضة عليهم .

ورغم هذه الحقائق ، فلا زال بعض قادة وساسة بني إسرعيل يصرون على وحدة العرق الإسرعيلي ونقائه ، وأنهم ينحدرون من سلالة الأسباط الاثنى عشر ، الذين لم يعد لهم وجود بعد انقضاء التيه .

النقاء العرقي والأصول :

إذا كان العهد القديم يعود بنقاء بني إسرعيل إلى إبراهيم عليه السلام ، الذي يعتبر أبا للأنبياء ، وليس خاصا بأنبياء محدد ين ، كما يذعي بنو إسرعيل ، فلم يكن إلا حنيفا مسلما ، كما قال تعالى : " **ما كان إبراهيم يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما وما كان من المشركين . " آل عمران 67**

ومن ناحية السلالة ، فأول زوجاته كانت (سارة) وهي قريبة لـــه ، والثانيـــة (هاجر) وهي أميرة مصرية أهداها إليه ملك مصر في حينه . والثالثـــة هـــي (قطورة) (التكوين 25: 1) . والرابعة " " جحور بنت أرهير من قبيلة جرهم . " " (**يوسف الحداد ، هل لليهود حق ، ص 106**) . وهكذا نرى أن زوجة إبراهيم عليه السلام الأولى فقط هي التي كانت قريبة لـــه ، أما الباقيات فمن أقوام أُخر . وعليه فإن أبناء إبراهيم عليه السلام من زوجاته غير سارة ، هم ليسوا من بني جنسه حسب الشرع اليهودي .

ومع هذا نجد أن إبراهيم عليه السلام – وحسب العهد القديم – قد رفض ترويج ابنه اسحق من بنات الكنعانيين ، قائلا : " واستحلفني سيدي قائلا لا تأخذ زوجة لابني من بنات الكنعانيين الذين أنا ساكن في أرضهم . بل إلى بيت أبي تذهب وإلى عشيرتي وتأخذ زوجة لابني . " التكوين 24 : 37 ، 38 .

وتكرر الأمر ثانية عندما أراد يعقوب عليه السلام أن يتزوج : " فدعا اسحق يعقوب وباركه وأوصاه وقال له لا تأخذ زوجة من بنات كنعان . قم اذهب إلى فـدان أرام على بيت بتوئيل أبي أمك وخذ لنفسك زوجة من هناك من بنات لابان أخي أمك . " التكوين 28 : 1، 2 .

وبالطبع فإننا نستبعد جدا أن يكون إبراهيم وإسحق عليهما السلام ، بهـذه العنصرية التي وصفا بها في الخطاب التوراتي .

وإذا كان هذا هو طلب العهد القديم لمن أراد أن يتزوج من بني إسرعيل ، أن تكون زوجته منهم ، فهل ينطبق هذا الأمر على بني إسرعيل الآخرين ؟ بالتأكيد لا .

فمثلا ، عيسو تزوج من (يهوديت) ابنة بيري الحثّي و (بسمة) ابنة إيلون الحثّي . (التكوين 26 : 34) . ويهوذا أحد الأسباط تزوج من بنت شوع الكنعانية . ثم تزوج من (ثامار) والتي لم تكن بالتأكيد من بني إسرعيل . كما أن يوسف عليـه السلام تزوج من المصرية (أسنات بنت فوطي) كاهن أون ،وأنجبت اثنين من الأسباط ، هما (منسّى وأفرايم) التكوين 48 : 8 – 20 فتكون أمهما مصرية . وكذلك موسى عليه السلام الذي تزوج من (صفورة) ابنة كاهن مدين ، ومن أخرى كوشية ، والاثنتان ليستا من بني إسرعيل .

ومع هذا فإن العهد القديم يطلب من موسى عليه السلام أيضا أن لا يزوج أبناءه وأبناء بني إسرعيل من بنات الشعوب الأخرى : " احترز أن تقطع عهدا مع سكان الأرض . فيزنون وراء آلهتهم ويذبحون لآلهتهم فتدعى وتأكل من ذبيحتهم وتأخذ من بناتهم لبنيك ، فتزني بناتهم وراء آلهتهن ويجعلن بنيك يزنون وراء آلهتهن . " الخروج 34 : 15 ، 16 .

وقد صاح والدا شمشون فزعا عندما علما بزواج ابنهما من فتـاة فلسطينيـة : " فقال له أبواه وأمه أليس في بنات إخوتك وفي شعبي كله إمرأة

حتى تذهب وتأخذ إمرأة من الفلسطينيين القُلف . فقال شمشون لأبيه : بل إياها تأخذ لي لأنها حسُنت في عيني . " القضاة 14 : 3 .

وفي عهد القضاة أيضا ، تزوج كثير من بني إسرءيل ، وزوجوا بناتهم إلى الكنعانيين والأموريين والفرزيين والحويين واليبوسيين . (القضاة 3 : 5، 6) .

كما تزوج (بوعز) من (راعوث) المؤآبية ، وهي جدة (داود عليه السلام) ، مؤسس (مملكة داود) المزعومة ، بينما جاء في الخطاب التوراتـــي : " لا يدخل عموني ولا موآبي في جماعة الرب ، حتى الجيل العاشر ، لا يدخل منهم أحد في جماعات الرب إلى الأبد . " التثنية 23 : 3 .

وعودة إلى الوراء ، نجد أن داود عليه السلام عندما تولى الحكم ، أصبحـــت مملكته تحتوي على خليط من الأجناس ، فمن قواد جيشه – وكما جاء في العهد القديم – كان أوريا الحثّي ، وصالق العمّوني ، وكذلك فإن " حرسه الخاص كان يتألف من المرتزقة الغرباء حصرا . " (**زينون كوسيدوفسكي ، الواقع والأسطورة ، ص 226**) .

وداود عليه السلام نفسه ، وحسب مرويات العهد القديم لم يكن إسرءيليا خالصا إذ هو من أبناء (بوعز) من زوجته المؤآبية (راعوت) . وكذلك سليمان عليه السلام ، وأيضا حسب العهد القديم ليس إسرءيليا خالصا ، حيث أن أمه هـــي (بتشبع) الحيثية ، زوجة أوريا الحثي . وكذلك فقد جاء في المرويات التوراتية أنه عليه السلام – سليمان – قد تزوج من ابنة فرعون مصر ، فهل كان فرعون مصر من بني إسرءيل ؟ وهل أبناء سليمان عليه السلام من زوجته المصرية الفرعونية – إن وجدوا – يعتبرون مـــن بنـــي إسرءيل ؟

ويعلق موسى إبراهيم على موضوع نقاء الشعب الإسرءيلي ، بعد تأسيس مملكة السامرة في الشمال ، ومملكة يهوذا في الجنوب – كما يرى – ، فيقول :

" فمملكة السامرة التي تسميها التوراة مملكة إسرعيل ، لم يكن شعبها كله ينتسب إلى قبيلة إسرعيل ، ولكنه كان إسرعيليا بانتسابه السياسي للمملكة . ومثل هذا ينطبق على مملكة أورشليم التي تسميها التوراة مملكة يهوذا . لأن أورشليم بقيت كنعانية في زمن داود وسليمان وفي كل أزمنة المملكة اللاحقة . ولنا على ذلك شواهد من التوراة . ولكن الكنعاني في أورشليم وفي قرى ومدن المنطقة التي قامت عليها مملكة يهوذا ، صار يهوديا بالانتساب السياسي إلى هذه المملكة . " **(موسى إبراهيم ، وعد التوراة ، ص 259) .**

وقد قال علماء تاريخ الجنس البشري في جامعة كولومبيا في أمريكا :

" " إن اليهود شعب يعتنق الديانة اليهودية ، وهم خليط من جميع الأجناس ، بما فيهم الزنجي والمغولي ، أما ما يسمونه الطابع اليهودي الخاص ، فهو طابع شائع بين جميع شعوب بلدان الشرق الأوسط الممتدة على شواطئ البحر الأبيض المتوسط . "
" **(يوسف الحداد ، هل لليهود حق ، ص 110) .**

وفي مثل هذا يقول أيضا العالم الأمريكي (هاري شابيرو) في دراسة له عــن تاريخ الشعب اليهودي بأنهم :

" " ليسوا أسرة ولا قبيلة ولا أمة بالمعنى الصارم للكلمة . . . . إنه لأمر غريب أن اليهود يعتبرون غالبا – وقد بُذل جهد كبير للبرهنة على انهم – عرق متميز . . . والمقارنة البيولوجية . . . تبرهن أن المتطلبات الأساسية لأي دعوى بأن اليهود يشكلون ذاتية عرقية ، لا يمكن تلبيتها ، على الأقــل بالمقاييس التقليدية المتخذة أساسا في التصنيف العرقي . " " **(يوسف الحداد ، هل لليهود حق ، ص 110) .**

كما يقول (رينان) في كتابه (اليهودية كجنس ودين) : " " لا يجوز حتى الحديث عن هذا ، فقد تعرض اليهود للتمازج مع الشعوب الأخرى بنفس القدر الذي تعرّضت له الأجناس الأخرى . " " (**جودت السعود ، أوهام التاريخ اليهودي ، ص 260**) .

كما وينقل همو عن جورج متري قوله : " " ليس اليهود شعبا ، وليس لهم قوام متجانس ، إنهم قبائل ، ومن العسير التكلم على موطنهم الأصلي لأنهم كانوا رحّلا ، فلا وطن لهم . " " **(عبد المجيد همو ،ما بين موسى وعزرا ، ص 74)** .

كمـــا أن الحقائق الأنثروبولوجية (علم الإنسان) كما يرى (كوماس) تؤكد " أن اليهود من الوجهة العرقية مختلفو العرق ، ولا أساس للإدعاء بوجود عرق يهودي. " (**يوسف الحداد ، هل لليهود حق ، ص 111**) .

وإذا كانت مرويات العهد القديم من أجل اختلاق الأصول لبني إسرعيل ، تسرد أبناء نوح وسام حتى تصل إلى إبراهيم عليه السلام . . . الخ ، في عائلة طويلة مـــن الأصول بهدف إثبات نقاء الشعب الإسرعيلي ، فإن العائلة هذه لا تخلو من التزوير ، ولكن الغرض منها واضح كما قال (الحاخام مرجنشترن) :

" والغرض من شجرة العائلة هذه التي أوردها الإصحاح 11 من سفر التكوين وفي إصحاحات أخرى سابقة ، تعقب أصول إبراهام الأب التقليدي لإسرعيل وانحداره من آدم ، ولتبين التوراة على وجه الخصوص أن إبراهام ، وبالتالي إسرعيل أيضا ، انحدرا من الإنسان الأول وفي خط مباشر من الابن البكر ، وأن شعب إسرعيل تبعا لذلك يمثل صفوة الجنس البشري . " ويعلق على ذلك قائلا : " وقد كان ذلك ضربا من الغرور القومي الساذج في إسرعيل القديمة . " (**شفيق مقار ، قراءة سياسية للتوراة ، ص 202**) .

وبعد ذلك ، فليس غريبا أن نجد عضو الكنيست الإسرعيلي (أوري أفنيري) يقول :

" " من المعروف أن اليهود لا يشكلون أمة واحدة ولا يكونون مجموعة قومية أو عرقية ، وليس هناك خليط عرقي متجانس ، ولا وجود لجنس يهودي مميز ، وإنما هم من جميع الأجناس ، حتى الزنوج والمغوليين ، وليس لهم لغة واحدة بل يتكلمون لغات الشعوب التي يعيشون بين ظهرانيها ، وليس لليهود عادات مشتركة وتاريخ مشترك فسلوكهم يعكس تقاليد وعادات المجتمعات في أوطانهم الأصلية . " " (**نجيب زبيب ، التاريخ الحقيقــي لليهود ، ص 42) .**

كما يعترف بذلك أيضا المفكر اليهودي (يوسف حاييم برنر) الذي يقول : " " كل ما نعرفه عن حياتنا يشير إلى أن الجماهير اليهودية ليس لها السمة الاجتماعية بالمعنى السوسيولوجي ، ونحن لسنــا شعبــا مترابــط الأجــزاء . " " **(جودت السعد ، أوهام التاريخ اليهودي ، ص 261) .**

ولهذا نرى أن بدعة النقاء العرقي عند بني إسرعيل هي أسطورة دعا لها الخطاب التوراتي ، وآمن بها المؤيدون والمنحازون لهذه المرويات ، دون دليل أو برهان ، حيث من المستحيل أن ينحدر جميع بني إسرعيل من نسل إبراهيم عليه السلام ، ومن سلالته .

عزرا ونحميا ونقاء بني إسرعيل :

إذا كان الخطاب التوراتي المزعوم قد بدأ بالفصل العنصري بين بني إسرعيل وغيرهم من الشعوب ، منذ عهد إبراهيم عليه السلام ، فإن هذه الدعوة ، ولو أنها لم تطبق كاملة ،قد بقيت قائمة في العهود اللاحقة ،وقد بلغت ذروتها في

عهد عزرا ونحميا ، حيث كانا يعتقدان أن هذا الفصل العنصري ، يحفظ للشعب الإسرعيلي نقاوته ، ويمنع تدنيسه من قبل الشعوب الأخرى .

ولا شك أن المعاناة التي عاش فيها قسم كبير من بني إسرعيل بعد التهجيـــر الآشوري والبابلي ، كان لها تأثير كبير على هذا الأسلوب العدائي الذي كتب به العهد القديم وملحقاته ، مما جعلهم حاقدين على جميع شعوب الأرض ، مفضلين الإنطواء والانزواء ، بحجة الاستعلاء والادعاء بأن الله تعالى ميزهم عن غيرهم مـــن الشعوب ، وعرفانا لهذا الجميل عليهم المحافظة عليه ، بعدم مصاهرة هذه الشعوب .

وقد تزعم حملة الدعوة إلى نقاء جنس بني إسرعيل اثنان من كهنتهم كانا يقيمان في بلاط فارس ، وقد عادا مع قسم من المهجرين من بني إسرعيل إلى أورشالم ، وأخذا يعملان على تطبيق سياسة الفصل العنصري التي تهدف إلى منع اندماج بني إسرعيل مع غيرهم من الشعوب .

فنجد عزرا عند وصوله أورشالم ، ومعرفته أن بني إسرعيل قد " اتخذوا من بنات الشعوب الأخرى زوجات ، " واختلط الزرع المقدس بشعوب الأرض " قام بتمزيق ثيابه وردائه ونتف شعر رأسه وذقنه وجلس متحيرا . " (عزرا 9 : 1 – 3) ، حيث أنه يعتبر الشعوب الأخرى غير بني إسرعيل شعوبا نجسة ، وأن الأرض التي يحلون بها أيضا تصبح نجسة " إن الأرض التي تدخلون لتمتلكوها هي أرض متنجسة بنجاسة شعــوب الأرض برجاستهم التي ملأوها بها من جهة إلى جهة بنجاستهــم . " عزرا 9 : 11 . ويعتبر ذلك خيانة من جانب بني إسرعيل " إنكم خنتم واتخذتم نساء غريبة لتزيدوا على إثم إسرعيل . " عزرا 10 : 10 . ونتيجة لذلك فإن عزرا يأمر بأن " لا تعطوا بناتكم لبنيهم ولا تأخذوا بناتهم لبنيكم ولا تطلبوا سلامتهم وخيرهم إلى الأبد لكي تتشددوا وتأكلوا خير الأرض وتورثوا بنيكم إياها إلى الأبد . " عزرا 9 : 12

ولكن هذا يتناقض كلية مع أبناء بني إسرعيل الذين تزوجوا من الشعـــوب الأخرى كما مر معنا . وأيضا يتناقض مع قول موسى عليه السلام : " لا تكره أدوميا لأنه أخوك ، لا تكره مصريا لأنك كنت نزيلا في أرضه . الأولاد الذين يولدون لهم في الجيل الثالث يدخلون منهم في جماعة الرب . " التثنية 23 : 7 .

وطلب من بني إسرعيل أن يقوموا بإخراج كل نساء الشعوب الأخرى، والبنين الذين ولدوا منهن : " فلنقطع الآن عهدا مع إلهنا أن نخرج كل النساء والذين ولدوا منهن . " عزرا 10 : 4 . وقال أيضا : " فاعترفوا الآن للرب إله آبائكم واعملوا مرضاتـــه وانفصلوا عن شعوب الأرض وعن النساء الغريبة . " عزرا 10 : 11 .

ويعترف الخطاب التوراتي بهذا التصرف العنصري ويقره : " وانتهوا من كـــل الرجال الذين اتخذوا نساء غريبة في اليوم الأول من الشهر الأول . " عزرا 10 : 17 .

وإذا كان هذا تصرف عزرا الكاهن ، فإن تصرف نحميا أيضا لم يكن أقل من ذلك ، فهو يصور لنا الحالة التي كان عليها بنو إسرعيل في أورشالم ، فيقول : " في تلك الأيام أيضا رأيت اليهود الذين ساكنوا نساء أشدوديات وعمّونيات ومؤآبيات ونصف كلام بنيهم باللسان الأشدودي ولم يكونوا يحسنون التكلم باللسان اليهودي بل بلسان شعب وشعب . فخاصمتهم ولعنتهم وضربت منهم أناسا ونتفت شعورهم واستحلفتهم بالله لا تعطوا بناتكم لبنيهم ولا تأخذوا من بناتهم لبنيكم ولا لأنفسكم . " نحميا 13 : 23 –25 .

وهكذا نجد العنصرية تتجلى بأوضح معانيها في الخطاب التوراتي ، وقد توارث ذلك الأبناء عن الآباء ، ومع شديد الأسف فإننا لا نجد من يقف أمام هذا المد العنصري المتواصل خوفا وطمعا .

وإذا كان الخطاب التوراتي يرفض الاختلاط ، والزواج من الآخر ، فإن ذلك يعني رفض دينه وثقافته وأسلوب معيشته . وقد سار حاخامات بني إسرعيل على اتباع هذا الأسلوب والدعوة له . فقد قال الحاخام الأكبر سيتروك عام 1993م دون رادع أو وازع من أية جهة من الجهات : " أود ألا يتزوج الشباب اليهود أبدا إلا من شابات يهوديات . " (**روجيه جارودي ، الأساطير المؤسسة ، ص 67**) .

مما سبق نجد أنه قد اختلط بنو إسرعيل مع غيرهم بالزواج في أكثر من مكان وتاريخ على مر العصور ، ولهذا فإن مقولة نقاء الشعب الإسرعيلي ، أو الامتياز العرقي ، هي مقولة لم تثبت صحتها في يوم ما .

شعب الله المختار والإرهاب :

يعتقد بنو إسرعيل أن الإيمان والتصديق بما جاء به العهد القديم ، يجب أن يكون من أولويات المواطن الإسرعيلي ، وأن الاتباع الدقيق لهذه المرويات هو الواجب الديني الأعلى .

وإذا كانت هذه المرويات تؤمن إيمانا مطلقا بنقاء الشعب الإسرعيلي ، وأن له الحق والواجب في أن يتصرف بناء على هذه المرويات ، وبالتالي فهـو يحظى بموافقة العناية الإلهية ، لأنه مأمور ، وليس مخيرا في ذلك .

وإذا كان بنو إسرعيل يؤمنون بأهمية وأحقية نقاء الشعب الإسرعيلي ، فمــن واجبهم أن يحافظوا على هذا النقاء ، ولو أدى ذلك إلى استخدام الأساليب القمعيــة الإرهابية المنصوص عليها في كثير من أسفارهم ، كسفر يشوع والتثنية . ويصف مايكل بريور الأسفار الخمسة الأولى من التوراة ، فيقول :

" ولا بد من الاعتراف بأن معظم مادة الأسفار الخمسة – وسفر التثنية بشكل خاص ، تحتوي على عقيدة عدوانية وتعصب عرقي ، وإرهاب الأجانب ، ونزعة عسكرية خطرة ، وبدون شك فإن مضامين هذه المواقف الأخلاقية الملتبسة التي يقدمها النص كفريضة إلهية في كتاب مقدس ، تستدعي التقصي الجدي . "
(طومسون ، القدس أورشليم العصور القديمة ، ص 58) .

ومن تحريض الخطاب التوراتي على العداء والكراهية نجد فيه : " ويرد الرب عنك كل مرض وكل أدواء مصر الرديئة التي عرفتها لا يضعها عليك بل يجعلها على كل مبغضيك . وتأكل كل الشعوب الذين الرب إلهك يدفع إليك . **لا تشفق عيناك عليهم** . . . " التثنية 7: 15، 16 .

وإذا كان جميع المؤرخين والعلماء يؤكدون أن (عزرا) ومن معه من اللاويين ، وهم من جماعة يهوذا ، أنهم هم الذين قاموا بكتابة الأسفار الأربعة الأخرى ، التي أضيف إليها سفر التثنية ، وأن هذه الأسفار جميعها قد احتوت على (شريعة الكراهية والانعزالية) التي كان يتميز بها أهالي يهوذا منذ ما قبل طالوت (شاؤول) . يقول دوغلاس ريد : " وحصل اللاويون في بابل على خبرة في إخفاء اليهود لهذه الشريعة وأبعدوهم بذلك عن السكان الأصليين ، ومع الوقت ازداد نفوذ اللاويين على اليهود . . . . " **(دوغلاس ريد ، جدل حول صهيون ، ص 35)** .

وبعد كتابة هذه الأسفار في بابل ، شرع عزرا ومن يؤيده بتلقين أحكامها إلى المقيمين من بني إسرعيل هناك فقط ، ومن اتبعهم ، هذه الأحكام التي تضع الكره والحقد على من هم من غير بني إسرعيل ، هدفا أولا ودائما لها ، ويظهر ذلك واضحا من تطبيق عزرا ونحميا لتلك الأحكام بعد العودة إلى أورشالم ، ولو بالقوة .

ومن هنا نستطيع القول بأن انتشار مثل هذه القوانين العنصرية بين أبناء الشعب الإسرعيلي ، الذين باتوا لا يعترفون بقوانين وأحكام الشعوب الأخرى ، أصبحوا يرون أن فرض أية قوانين أخرى عليهم ، هي بمثابة اضطهاد لهم ، وعلى المجتمعات والحكومات الأخرى أن تقف إلى جانبهم في رفض تلك الأحكام والقوانين " لأنه بالنسبة لبني إسرعيل (القانون الوحيد لهم هو قانون يهوه) . حيث يرى الكهنة أن الحياة اليومية بكل تفاصيلها الصغيرة يجب أن تخضع لأحكام وسنن التوراة . " **(دوغلاس ريد ، جدل حول صهيون ، ص 37) .**

فقانون (يهوه) الذي يدعو إلى إبادة الشعوب ، هو القانون السائد عند بني إسرعيل قديما وحديثا . فقد جاء في كتاب العهد القديم : " فإن ملاكي يسير أمامك ويجيء بك إلى الأموريين والحثيين والفرزيين والكنعانيين والحويين واليبوسيين ، فأبيدهم . لا تسجد لآلهتهم ولا تعبدها ولا تعمل كأعمالهم ، بل تبيدهم وتكسر أصنامهـــم . " سفر الخروج 23 : 23، 24 .

وفيه أيضا : " وأما مدن هؤلاء الشعوب التي يعطيك الرب إلهك نصيبا فلا تستبق منها نسمـــة مـــا بل تحرمهـــا تحريما الحثيين والأموريين والكنعانيين والفرزيين والحويين واليبوسيين كما أمرك الرب إلهك . " سفر التثنية 20 : 16

ومثل هذه القوانين (اليَهوِيّة) كثير في العهد القديم ، وقد علّق مايكل بريور على هذه القوانين التي تولد الكراهية والحقد العمى وتدعو إلى العنصرية فقال : " إن ما يصدم في هذه المقاطع وأمثالها ، هو أن النص لا يقدم لنا مفهوم التطهير العرقي كأمر مشروع ومبرر فحسب ، وإنما كمطلب من مطالب الآلهة . " **(مايكل بريور ، القدس أورشليم العصور القديمة ، ص 57) .**

فهذه الشرعية الإلهية المزعومة التي منحتها التوراة لبني إسرعيل بنقاء جنسهم ، وبضرورة المحافظة على هذا النقاء بكل الأساليب ، غير موجودة إلا عند الشعوب البدائية الهمجية .

يقول مايكل برايور : " إن التوراة التي ينظر إليها عادة بصفتها مصدر الإلهام الأول للتحرير، قد عملت كدستور للاضطهاد في الماضي والحاضر معا ." **(مايكل برايور ، ندوة القدس 1996 ، المركز الثقافي الملكي، عمان)** .

ولمعرفة مدى العنصرية التي يميز بها اليهودي عن غيره ، فإن القانون الإسرائيلـــي " يعتبر الشخص (يهوديا) إذا كانت أمه يهودية أو جدته لأمه أو جدة أمه يهودية الديانة ، أو إذا تحول الشخص إلى اليهودية بأسلوب ترضى عنه السلطات الإسرائيلية ، وبشرط أن لا يكون هذا الشخص قد تحول عن اليهودية إلى ديانة أخرى ، لأن السلطات اليهودية لا تعود تعتبره يهوديا في هـــذه الحالـــة . " **(إسرائيل شاحاك ، التاريخ اليهودي ، ص 14)** . وقد مر معنا كيف أن كثيرا من قادة بني إسرعيل قد تزوجوا من الشعوب الأخرى ، مما يدل على أن هذا القانون الوضعي لا ينطبق على وضع بني إسرعيل عبر التاريخ القديم .

وهذا الكره للآخرين القائم على نظرية السيادة العنصرية ، والاستعباد العرقي ، والاحتلال القسري ، والتشريد الوقائي ، الذي مارسه بنو إسرعيل منذ القدم ، لإيمانهم بأنهم هم شعب الله المختار ، فإن ذلك يعتبر عندهم ضروريا للحفاظ على النقاء العرقي المزعوم ، بصرف النظر عن المعاناة والتكلفة التي تقع على عاتق الآخرين ، في سبيل تحقيق هذه الهدف .

وقد وجدت هذه التبريرات التوراتية قبولا عند بعـــض العلمـــاء ، أمثـــال (ألبرايت Albright) الذي وجد في ذلك تبريرا لإبادة شعب فلسطين القديم كما جاء في العهد القديم ، ويرى أنه قد يكون من الضروري أحيانا أن نبيد شعبا (ذا مستوى متدن) ليحل محله شعب (ذو مواصفات أعلى) ، وبالطبع فـــإن الشعب (المتدني) هو الشعب الفلسطيني ، والشعب (الأعلى) هم بنو إسرعيل في رأيه ، وذلك حســـب ادعاءات الخطاب التوراتي ، فيقول : " " يبدو أن من الضروري في أحيان كثيرة اختفاء شعب ذي مستوى متدن إلى حد بعيد ، ليحل محله شعب ذو

صفات متفوقة حيث يتحتم الوصول إلى مرحلة لا يمكن فيها للاندماج العرقي أن يستمر دون حصول كارثــة . " " **(كيث وايتلام ، اختلاق إسرعيل ، ص 145)** .

فمبدأ الإبادة البشرية عند ألبرايت وأمثاله ، مبدأ معقول ومطلوب ، وما كان له أن يقدر على التصريح بمثل هذا ، لولا أنه يعتمد على نصوص توراتية إسرعيلية ، تدعم ذلك حفاظا على ما يسمى بـــ (نقاء الشعب الإسرعيلي) .

وإذا كان هذا الشعور العنصري البغيض موجودا عند بعض العلماء والمؤرخين المنحازين ، فهو أيضا موجود وبشكل أكبر وأكثر عنصرية وحقدا عند الساسة والقادة الإسرعيليين ، وتاريخهم الماضي والحديث مليء بمثل هذا الشعور ، وبالجرائم العنصرية والمجازر العرقية ، التي يجعلون فيها ما قام به يشوع ظلما وجورا مثالا لهم ، وما جاء في مرويات العهد القديم من أحكام وشرائع تحلل استباحة قتل وتشريد وتجويع الآخر . وخير دليل على ذلك ما جاء في حديث لمناحيم بيغن – رئيس وزراء إسرعيلي سابق – الذي " " شبه الفلسطينيين بأنهم حيوانات بقائمتين . وقارن خليفته إسحق شامير الفلسطينيين بـــ (ذبابة) وبـــ (الجندب) وأعلن أنهم غزاة وغرباء متوحشون قساة موجودون في أرض إسرعيل . " " **(مايكل بريور ، الكتاب المقدس والاستعمار الاستيطاني ، ص 234)** .

الجنس السامي :

وما دمنا نتحدث عن أسطورة الشعب المختار ،أسطورة نقاء الشعب الإسرعيلي ، فإن ذلك يقودنا إلى الحديث عن ما يسمى بـــأسطورة (الشعب السامي) نظرا لعلاقتها الوثيقة بالموضوع .

فنظرا لما تدعيه (إسرائيل / اليهود) حاليا من أنهم أصل ما يسمونـــه بـــ (الجنس السامي) ، ونظرا للمدلول السياسي الذي يتميز به هذا الاسم على الخارطة السياسية العالمية ، ونظرا للحرمة الدولية التي أصبح هذا الاسم يتمتع بها على مستوى العالم ، لوجود من يدعمه ويقف إلى جانبه من القوى المسيطرة على العالم ، فإن هذا الموضوع جدير بالبحث والاهتمام .

وقد استخلصت هذه التسمية (السامية) من الجدول الخاص بأنساب نوح عليه السلام الوارد في كتب التاريخ المختلفة ، ومنها التوراة مع ما فيها من تزوير للحقائق .

وأول ما أطلقت (السامية) ، كان المقصود بها اللغات السامية ، وهي " التي كانت شائعة منذ أزمان بعيدة في بلاد آسية وأفريقية سواء منها عفت آثاره وما لا يزال باقيا إلى الآن . " (**إسرعيل ولفنسون ، تاريخ اللغات السامية ، ص 2**) .

وعلى هذا الأساس تكون عائلة اللغات السامية كبيرة العدد ، ومنها – على سبيل المثال – (العربية ، والآشورية ، والبابلية ،والكنعانية ، والفنيقية ، والحبشية، والمؤآبية ، . . . الخ) .

فالسامية إذن ليست اسم عرق ، أو جنس ، أو عنصر ، وأن هؤلاء الذين يدعون الآن بأنهم أصل الجنس السامي ، فما ذلك إلا اختلاق وتزوير للتاريخ والعلم .

فكلمة (جنس) هي مصطلح تصنيف علمي في مجال علم الحيوان،فنقول :
العائلة الحيوانية – الطبقات – الأنواع – الأجناس – السلالات .

والإنسان يعتبر (نوعا) من الأنواع الحيوانية ، وهذا النوع بدوره ينقسم إلى أجناس أولية ، وأجناس ثانوية . والأجناس الأولية في رأي العلم هي التي

وجدت في بداية الخلق ، ثم تطورت . والأجناس الثانوية هي التي نشأت من التزاوج والاختلاط بين الناس .

وعلى هذا الأساس ، فتصنيف الجنس يعتمد على بعض الصفات الخاصة عند مجموعة معينة من الناس ، أي أنهم يتصفون بخصائص متشابهة من أصل واحد ، ومن خصائص أخرى مستمدة من الوراثة والبيئة .

ولهذا فإننا نقول (الجنس العربي ، الجنس الأصفر ، الجنس الأسود ، . . .) . وعليه ، فإن كل خصائص التصنيف الجنسي ، هي خصائص جسدية طبيعية ، وليست ثقافية أو علمية ، أو فكرية ، أو لغوية ، أو دينية . وعليـــه ، إذا كان التصنيف الجنسي قائما على (لغة معينة) مثلا ، فهو ليس تصنيفا جنسيا ، بل تزوير علمي . ومن هنا يعتبر القول بأن فلان هو من (الجنس السامي) هو مقولة خاطئة .

يقول محمد مهران عن مصطلح (السامية) :

" . . . إنها لا تدل على صفات جسمانية وراثية ، بل على صفات ثقافية مكتسبة ، . . . هذا فضلا عن أن مصطلح " السامية " ليس جامعا ولا مانعا ، فضلا عن أن تسمية " السامية " هذه إنما اعتمدت إلى حد كبير على التوراة ، كما أنها لا تعتمد على أسس علمية أو عنصرية صحيحة ، بل بنيت تلك القرابة التي أوردتها التوراة ووضع ذلك التقسيم على اعتبارات سياسية وعاطفية ، وعلى الآراء التي كانت شائعة عند شعوب العالم في ذلك الزمان عن النسب والأنساب وتوزيع البشر . " **(محمد مهران ، تاريخ العرب القديم ، ص 166، 167) .**

وإذا كانت إسرعيل اليوم تدعي بأنها من (الجنس السامي) ، فإن هذه التسمية لا تخضع لأي مدلول علمي ، ناهيك عن وجود عدد كبير من الشعوب ،

لها نفس المميزات والخصائص الموجودة في بني إسرعيل ، وبالتالي فإن هذا المسمى يضم عددا كبيرا من الشعوب في مختلف أرجاء العالم ، ومنهم العرب .

ولكن لماذا كانت هذه الدعوة ؟

كان الأصل الذي ظهر من أجله هذا المسمى ، هو أصل لغوي يختص باللغات القديمة ، كما قلنا ، وذلك حوالي سنة 1781 م ، من قبل (شلوتزر) النمساوي ، وذلك من أجل " إضفاء نوع من القدسية على ما دعاه بـــ (لغة العهد القديم) مفترضا أن ثمة ما يدعى بـــ (اللغة العبرية) نزل بها كتاب التوراة . " (**أحمد داود ، العرب والساميون والعبرانيون ، ص 65**) .

وقـــد لاقت هذه التسمية في حينه نقدا كبيرا . وفيما بعد ، أخذ المؤرخـــون والعلماء هذا الاسم (السامي) وخاصة اليهود منهم ، وأطلقوه على العرب ، فأصبح العرب والساميون شيئا واحدا ، وأسموا العرب بـــ (الجنس السامي) .

وتطور الأمر بعد ذلك ، حيث نجدهم عندما يتحدثون عن الشعـــوب العربية القديمة ، يحشرون اسم العبرانيين – ويقصدون بهم اليهود – من ضمنهم .

واليوم ، وبعد التكرار المكثف في جميع وسائل الإعلام ، وممارسة الضغوط المادية والاقتصادية والسياسية الهائلة ،أصبح هذا المسمى رديفا لما يسمى بـــ (الجنس اليهودي) ومقصورا عليه وبات من ينكر هذا المصطلح الخاطـــئ (الجنس السامي) منكرا (للجنس اليهودي) ويستحق العقاب . يقول شفيق مقار :

" وليس أدل على خطورة وفعالية كل ذلك الغلط والمغالطة من أن كثيرين من الكتاب والباحثين الجادين في الغرب وغير الغرب – دع عنك الساسة وعامة الناس – باتوا يصدقون أن هناك شيئا اسمه (الجنس اليهودي) ويعتبرون من المسلمات البديهية التي لا تحتمل النقاش أن (سامية) = (يهودية) ، وأن (الجنـــس السامي) هـــو (الجنس اليهـــودي) ، ويذهبـــون مـــن ذلك إلى التسليم بأن (الصهيونيـــة) = (اليهودية) = (السامية) ، ويخلصون من ذلك الخلط كله إلى أن رفض دعاوى

الحركة السياسية التي اتخذت الصهيونية إسما لها أو الاختلاف معها أو التصدي لأطماعها = (معاداة السامية) أي (معاداة اليهود) كبشر - رغم وجود يهـود يرفضون تلك الحركة ويعادونهـا . " (**شفيق مقار ، قراءة سياسية للتوراة ، ص 18**) .

ونظرا لما حصل مع اليهود منذ آلاف السنين ، وتشردهم في جميع أنحاء العالم ، واختلاطهم بمعظم الشعوب بالتزاوج ، لهذا فإنهم لا يشكلون جنسية واحدة ذات أصل واحد كما يدعون ، يقول حسين رشوان في ذلك :

" مجرد وهم لا تسنده الأبحاث العلمية ، فنقاء العنصر أو الجنس الإسرعيلي يرفضه كل علماء الأجناس والاجتماع والتاريخ ، إذ ليس من المعقول علميا أن يظل شعب ثلاثة آلاف سنة محتفظا بدمائه دون أن تختلط بدماء غيـره مـن الشعـوب . "
(حسين رشوان ، الادعاءات الصهيونية والرد عليها ، ص 24) .

ويضيف قائلا :

" فاليهود خليط من أجناس مختلفة . ودليلنا على ذلك مستمد من علماء اليهود أنفسهم . فقد كتب جروفتش أستاذ علم الأجناس في الجامعة العبرية تقريرا أوضح فيه نتائج التجارب التي قام بها على المهاجرين اليهود الذين وفدوا إلى إسرعيل من مختلف أنحاء العالم ، وقد أوضحت التجارب أن نسبة ضئيلة جدا من يهود الأقطار العربية هم من نسل سامي الجنس ، وأن المجموعة الكبرى من يهود العالم خاصة يهود شرق أوروبا لا ينتمون مطلقا إلى الفصيلة السامية . " (**حسين رشوان ، الإدعاءات الصهيونية والرد عليها ، ص 24، 25**) .

أما يوسف الحداد فيعلق على الأجناس والأعراق ، ومصطلح السامية ، فيقول :

" وتبقى الحقيقة أن اليهود مجموعة تدين باليهودية ، وليسوا عرقا صافيا ، كما أكد ذلك يسنغ روز نوولد ، رئيس المجلس الأميركي لليهودية . كما أن الادعاء بالعنصرية العرقية السامية أو الآرية لا يستند إلى أي أساس منطقي معقول ، وهذا ما أكده المؤتمر السنوي لجمعية علماء " الجنس البشري " الأميريكي عام 1937م ، بوصفه العنصرية الآرية لا وجود لها ، وأن الآرية كالسامية " لا تعنيان إلا لفظتين دون أن يكون لهما مدلول عنصري محدد . " **(يوسف الحداد ، هل لليهود حق ، ص 109) .**

الفصل الثاني عشر

العبراني والعبرية

من أين جاء المصطلح ؟

يتم التداول بين الناس الآن عدة مصطلحات ، لها نفس المصدر ، وذات مدلول مشترك واحد ، فمصطلح (العبري ، والعبراني ، والعبرية) كلها مصطلحات مصدرها واحد ، وتدل على الشعب الإسرعيلي ، واللغة التي يتكلمون بها . ومنها ظهرت مسميات أخرى ، مثل (اللغة العبرية ، والدولة العبرية ، والشعب العبري) .

فمن أين جاءت هذه المصطلحات ؟ وهل هي حقا مصطلحات تاريخية وصحيحة ؟ ومتى ظهرت وأصبحت متداولة ؟

والجدير بالذكر أنه لا بد وأن يكون هناك أصل لكل مصطلح مهما كان . ويعتمد انتشار المصطلح على من يتداولونه ، فإذا كانت لديهم الإمكانيات المالية والسياسية والعسكرية ، فعلى الأرجح أن هذا المصطلح ، سينتشر ويعم استعماله ، ولو إلى حين .

والمشكلة في أن (المصطلح) – وقد يكون كاذبا – أنه إذا شاع وانتشر ، فقد يصبح من الصعب محوه من عقول الناس ، وعن ألسنتهم ، وقد يأخذ ذلك فترة طويلة من الزمن . لقد أصبح راسخا في عقول الناس ، وبعد فترة طويلة ، أن هذه المصطلحات تدل على جنس معين ، أي على شعب ذي إثنية محددة ، فهل هذا صحيح ؟

وعودة إلى المصطلحات التي ذكرناها سابقا ، فإن الأصل الذي جاءت منه هذه المصطلحات حسب ما يدعي من يتبنونها ويدافعون عنها ، كان العهد القديم حيث يعتبر أول من استعملها .

لقد ذكر هذا المصطلح أول ما ذكر في العهد القديم تحت اسم (العبراني)، حيث اعتبر إبراهيم عليه السلام (عبرانيا) التكوين 14 : 13 . وقيل بأن هذا المصطلح مشتق من الاسم (عابر) : " وسام أبو كل بني عابر " التكوين 10 : 21 .

وبعد ذلك ذكر هذا اللفظ (العبراني) في العهد القديم كثيرا . ففي النسخة العبرية ذكر 34 مرة ، وفي النسخة السبعونية ذكر 28 مرة ، ولا شك في أن هذا الاختلاف لا بد أن يكون له مدلوله ، والذي ينعكس سلبا على أصول المصطلح واستعمالاته .

معنى المصطلح :

ذهب فريق من العلماء والمؤرخين إلى القول بأن أصل كلمة (العبري) يعود إلى (عابر بن شالح بن أرفكشاد بن شام) والذي يعتبر جدا لإبراهيم عليه السلام .

ومنهم من ذهب إلى القول بأن سبب إطلاق هذه التسمية على بني إسرعيل وعلى إبراهيم عليه السلام ، يعود إلى أنه عبر نهر الفرات ، وهو مهاجر من العراق إلى بلاد الشام ، فسمي بـ (العبراني) ، وسمي أتباعه وعشيريته من بعده بـ (العبرانيين) .

كما حاول بعضهم أن يقرن بين الكلمة (عبري) وبين الكلمة (عبيرو) التي ظهرت في رسائل تل العمارنة ، ولكن ذلك لم يلبث أن كشف زيفه وكذبه .

وسواء كان أصل المصطلح هو الاسم (عابر) ، أو العبور والانتقال من مكان إلى آخر ، فإن هذا الاسم لا يمثل ظاهرة شعوبية أو لغوية ، تستحق أن تطلق على شعب محدد ، أو لغة معينة . كما أن هذا المصطلح لم يطلق على من سبق إبراهيم عليه السلام ، ولم يطلق على أبنائه جميعهم من بعده . كما أن العابرون للأنهر ، والمناطق كثيرون ، وقد يكون ذلك عدة مرات في اليوم الواحد ، كما أنهم جميعهم لا ينتسبون إلى شعب محدد ، ولا إلى قوم ، أو قبيلة ذات إثنية واحدة . ولذا ، فمن الخطأ أن نطلق على بني إسرعيل مصطلح (العبرانيين) تبعا لتلك الادعاءات غير الصادقة .

إبراهيم عليه السلام ومصطلح العبراني :

مر معنا أن العهد القديم أول ما أطلق مصطلح (العبراني) كان على إبراهيم عليه السلام . ومن المعروف أنه غادر (أور) في العراق قاصدا بلاد الشام ، ومنها فلسطين ، وقد عبر في طريقه نهر الفرات ، كما عبر كثيرا من الفيافي والقفار في رحلته تلك .

ولا نجد في العهد القديم أن هذا اللفظ قد أطلق على أبناء عابر قبل إبراهيم عليه السلام ، وهم فالج ، ورعو ، وسروج ، وناحور ، وتارح ، ثم إبراهيم وناحور وهاران . وكذلك على أبناء إبراهيم عليه السلام من بعدهم . بل أننا نجد أن أبناء يعقوب عليه السلام ، قد أطلق عليهم اسم (بنو إسرعيل) . ومن المؤكد أن هذا اللفظ قد مات بموت إبراهيم عليه السلام ، ولم يبق من ذلك شيء غير الظاهرة .

وهذا دليل على أن هذا اللفظ (عبراني) ليس مشتقا من الاسم (عابر) كما يدعي البعض ، لأنه لو كان كذلك ،لأطلق على كل من ولد من نسل (عابر).

وأيضا فإننا لا نجد في العهد القديم شيئا يدل على (بني عابر ، أو سلالة عابر ، أو أولاد عابر) كجماعة إثنية عرقية مميزة .

وفي التاريخ القديم ، والحديث على السواء ، عادة ما تكون النسبة إلى شخصية مرموقة ، ذات تأثير في المجتمع الذي وجدت فيه ،كأن تكون نبيا ، أو ملكا ، أو كاهنا ، أو قائدا مشهورا ، مثلا ، وبالتأكيد فإن (عابر) لم يكن واحدا من هؤلاء ، حتى ينسب خلفه إليه . ومع أن إبراهيم عليه السلام كان مشهورا أكثر منه بمرات ، لكننا لا نجد في التاريخ من يقول مثلا (الإبراهيميون) .

وإذا كان (العبرانيون) كثيرين ، فإن إبراهيم عليه السلام ، وكما جاء في العهد القديم لم يتزعم إلا (عبيده) وأهل بيته ، ولهذا لا يمكننا أن نطلق على إبراهيم وجماعته اسم (الشعب العبراني) .

العبري أو العبراني ليس من بني إسرعيل :

هذا ما تدل عليه مرويات العهد القديم الذي يقرر في أكثر من موقع أن مصطلح (العبراني) لا يعني (بني إسرعيل) ، حيث أن (العبرانيين) يوصفون بصفة (الغرباء) . جاء في العهد القديم : " إذا اشتريت عبدا عبرانيا فست سنين يخدم وفي السابعة يخرج حرا مجانا . " الخروج 21 : 2

وإذا ما عرفنا بأن العبيد يجب أن لا يكونوا من بني إسرعيل ، كما ينص على ذلك العهد القديم الذي يقول : " وإذا افتقر أخوك عندك وبيع لك فلا تستعبده استعباد عبد . كأجير كنزيل يكون عندك . " لاويين 25 : 39 ، 40 .

وأيضا : " لأن بني إسرعيل لي عبيد هم عبيدي الذين أخرجتهم من أرض مصر ، أنا الرب إلهكم . " لاويين 25 : 55 . ويقول عنهم : " لا يباعون بيع العبد . " 25 : 42 .

وأيضا : " وأما عبيدك وإماؤك الذين يكونون لك ضمن الشعوب الذين حولكم منهم تقتنون عبيدا وإماء . " لاويين 25 : 44 .

وهكذا ، فإن (العبراني) في العهد القديم قد جاء بمعنى (العبد) ، وهي صفة ينكرها على بني إسرعيل ، وبالتالي ، فهو يفرق بين (العبراني) ، وبين (بني إسرعيل) .

كما نجد أن العهد القديم أيضا قد أطلق لفظ (العبراني) على كثير من الأشخاص ، ولأغراض مختلفة . فقد كان يوسف عليه السلام كما وصفته إمرأة ملك مصر : " العبد العبراني " تكوين 39 : 17 . وما كان ذلك الوصف إلا انتقاصا لقدره ومقامه ، وحاشا لله أن يكون ذلك ، من أجل الاقتصاص منه .

وأيضا : " وكان هناك معنا غلام عبراني عبد لرئيس الشرط . " التكوين 41 : 12 . قال ذلك السجين الذي كان مرافقا ليوسف عليه السلام في السجن ، ولا شك أنه لم يكن يعرف يوسف من قبل ، وما ظنه إلا كما قال . خصوصا وأنه هو نفسه كان عبدا في قصر الملك ، فظن أن يوسف عليه السلام مثله .

وكذلك أمر (القابلتين العبرانيتين) المعروف في سفر الخروج 1 : 15 . وكما يقول العهد القديم أن الذي تكلم مع هاتين القابلتين كان (ملك مصر) نفسه ، والذي يعتبر كل الغرباء في مصر ، ومنهم بنو إسرعيل ، عبيدا عنده .

كما جاء في صموئيل الأول 13 : 3 " فسمع الفلسطينيون وضرب شاول بالبوق في جميع الأرض قائلا ليسمع العبرانيون . " وكما يظهر فإن العهد القديم قد فرّق بين بني إسرعيل من جهة ، وبين (العبريين / العبرانيين) من جهة أخرى ، حيث من المفترض أن يكون (العبريون) هم جماعة شاؤول نفسه ، وأن الكلام موجه إلى غيرهم . وللخروج من هذا المأزق هنا سواء في الترجمة العبرية أو السبعونية غير الواضحة ، فقد أدرك المختصون بالعهد القديم ذلك ، وقالوا : " بأن بني إسرعيل انقسموا حين تمرد جزء منهم على شاول . " **(زياد منى ، من**

هم العبرانيون ، المجلة الثقافية ، عدد 36 ، ص 33) . ولكن ذلـك لـن يحـل المشكلة .

وهكذا ، لو رجعنا إلى لفظ (عبراني ، عبري) في العهد القديم لرأينا أن لكل لفظ مدلوله الخاص ، ولكنه لا يعني أن المعني هو شخص من بني إسرعيل . وبالتالي ، فإن هذه التسمية كانت تشمل شعوبا وأقواما أخرى غير بني إسرعيل ، ولا ينتسبون إلى عرق واحد .

وعليه ، فإذا كان العهد القديم لا يعترف ، ولا يذكر ولو مرة واحدة ، اسم العبريين كشعب مميز ، ولا يعرف أي ملك عبري ، أو مملكة عبرية ، فـإن هـذا لأكبر دليل على أنه لا يوجد ما يسمى بـ (الشعب العبري ، أو اللغة العبريـة) ، وذلك حتى القرن الذي تم فيه الانتهاء من كتابة أكثر أسفار العهد القديم ، في القرن الثاني قبل الميلاد ، وأنه لا يمكن بأي حال من الأحوال ، أن نطلق على اللغة التي كتب بها العهد القديـم اسـم (اللغة العبرية) .

العبراني والقرآن الكريم :

إذا كان بعض الكتاب والمؤرخين يرون أن (العبراني) هو نفسـه مـن (بني إسرعيل) ، وأن هذا اللفظ قد أطلق عليهم من زمن إبراهيم عليـه السـلام ، وذلك حوالي القرن التاسع عشر قبل الميلاد ، فمن الغريـب جـدا أن لا يـذكر الله تعالى هذا المصطلح في كتابه العزيز القرآن الكريم . والذي جاء فيه أكثر من اسـم ومصطلح لبني إسرعيل .

فقد ذكر الله تعالى هؤلاء القوم باسم (بنو إسرعيل) ثم باسم (قوم موسى) ثم (الذين هادوا) وأيضا (أهل الكتاب) ، وقد تكرر ذلك عدة مرات .

وكذلك لم نسمع بأن أحدا من النساب العرب قبل محمد صـلى الله عليـه وسلم قد ذكر هؤلاء القوم بغير واحد من الأسماء السابقة . حتـى الممالـك التـي

خضع لها بنو إسرعيل كالأشوريين والبابليين والإغريق والرومان،كانوا يـسمونهم باسم (اليهود) أو (بنو إسرعيل) ، ولم يحدث مطلقا أن سماهـم أحـد باسـم (العبريين) .

وفي عهد الرسول صلى الله عليه وسلم لم يحدث أن أطلـق علـيهم اسـم (العبريين) مع أنهم كانوا مقيمين في جواره في المدينة المنورة ، وقد وقعت بينـه وبينهم كثير من المصادمات . فلو كانوا يعرفون بهذا الاسم ، لكان خاطبهم به .

وحتى بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فإن المؤرخين العـرب الـذين كتبوا عن بني إسرعيل ، لم يطلقوا عليهم هذا الاسم .

اللغة العبرية . . أين هو الأصل ؟

حتى الآن لا زال الغموض هو سيد الموقف لما يسمى بـ (اللغة العبرية) أين كانت بدايتها ؟ وعن أي اللهجات اقتبست ؟ وأيضا ما هي اللغة التي تكلم بهـا إبراهيم عليه السلام ؟ ومن بعده أبناؤه ؟ وكذلك موسى عليه الـسلام ؟ والألـواح التي أنزلت عليه بأية لغة كتبت ؟ وغير ذلك من التساؤلات .

وكما مر معنا سابقا ، فإن أسفار العهد القديم لم تذكر شيئا عن ذلـك ، فـي حين أنها أشارت صراحة إلى (لغة كنعان) .

كذلك لا توجد نصوص صريحة ، وواضحة تدل على اللغة التي كان يتكلم بها داود وسليمان عليهما السلام . ولم يذكر أحد من المؤرخيـن أن لغـة ملـوك (أورشالم والسامرة) كانت هي اللغة العبرية . بل أن بعضهم ذهب إلى القـول " " بأن الذين سباهم الملك الآشوري شلمنصر كانوا يتكلمـون اللغـة الآراميـة . " " (**جودت السعد ، أوهام التاريخ اليهودي ، ص 209**) .

وعلى الأغلب أيضا ، أن اللغة التي تكلم بها موسى عليه الـسلام ومـن خرج معه من مصر ، كانوا يتكلمون لغة أهل مصر . وكـذلك فـإن لغـة ألـواح

الشرائع الموسوية ، علـى الأرجـح كانـت نفـس اللغـة المـصرية ، وكتبـت بالهيروغليفية ، اللغة التي كان من المؤكد أن موسى عليه السلام ومن معه كانوا لا يزالون يتكلمون بها ، وهم في سنتهم الأولى للخروج على الأقل .

. ولكن هل استمر ذلك بعد التيه أم لا ؟

على الأغلب أنهم تحولوا إلى اللغة الكنعانية ، التي يطلق عليها العهد القديم اسم (شفة كنعان) أي لسان كنعان ، " وكان هؤلاء الموسويون يستعملون حروفـا فينيقية قديمة في كتاباتهم ثم أخذوا يكتبون بالخط السامري . أما لغـتهم فـصارت تسمى بالعبرية في وقت لاحق فهي إحدى اللهجات التي اقتبسوها من الأرامية وقد تكونت بعد مرور أكثر من ستمائة عام على دخولهم أرض فلـسطين . " (**أحمـد سوسة ، العرب واليهود في التاريخ ، ص 157**) .

ولا شك أنه كان للذين آمنوا بموسى ودعوته التوحيديـة شـرقي النهـر ، وكانوا يتكلمون الأرامية أثر كبير في نشر هذه اللغة بين أتباع موسى عليه السلام .

اللغة التي كتب بها العهد القديم :

إن هذا الموضوع يتناول نوعين من العهد القديم (التوراة) . التوراة التي أنزلت على موسى عليه السلام وهو في سيناء . والتوراة (العهد القديم) التي قام كهنة بني إسرعيل بكتابتها بعد ذلك بأكثر من سبعمائة سنة .

فالتوراة التي أنزلت على موسى عليه السلام ، ونظرا لعدم وجـود نـسخة أصلية منها ، فمن المستحيل الجزم باللغة التي كتبت بها ، ويبقى التخمين هو سـيد الموقف . ولا يمكننا القول أنها (اللغة العبرية) ، لأن العبرية ليـست إلا بعـض فروع اللغة الأرامية ، ولم تظهر هذه اللغة – العبرية – مكتوبة إلا بعد ذلك بعـدة قرون ، أما قبل ذلك فلا وجود لها مطلقا .

أما العهد القديم الذي بدء بكتابته أثناء التهجير البابلي – على الأغلب – حيث قام بعض كهنة اليهود وأحبارهم وعلمائهم بكتابة بعض أسفاره في بابل ، فإن هؤلاء المهجّرين كانوا يتكلمون الأرامية ، لغة منطقة الشرق الأدنى تقريبا ، فإن أول ما كتب به العهد القديم كان باللغة الأرامية التي اعتبرت (اللغة المقدسة) . ثم ترجمت هذه اللغة فيما بعد إلى اللغة اليونانية ، وعرفت باسم (الترجمة السبعونية) وذلك في القرن الثالث قبل الميلاد .

ثم ما لبث أن ترجم العهد القديم من اليونانية إلى ما يسمى بـ (اللغة العبرية) أثناء فترة حكم المكابيين أواسط القرن الثاني قبل الميلاد .

أقسام المجموعة اللغوية :

أطلق على اللغات التي تكلم بها سكان الشرق الأدنى القديم ، اسم (اللغات السامية) – ولسنا هنا بصدد مناقشة هذا المصطلح – وتضم هذه المجموعة اللغوية الأقسام التالية :

أ – القسم الشرقي : ومن لغاته : الأكّديّة أو البابلية ، والأشورية .

ب – القسم الغربي : ومن لغاته : الكنعانية ، والأرامية .

ج – القسم الجنوبي : ومن لغاته : العربية ، والحبشية .

وكل قسم يحتوي على العديد من اللغات واللهجات التي تكونت منها على مر الزمن .

أما بالنسبة للقسم الغربي ، فهو يقسم إلى فرعين :

أ – الفرع الشمالي : ويشمل بلاد الشام .

ب – الفرع الجنوبي : ويشمل شمال الجزيرة العربية وجنوبها والحبشة .

ويقسم الفرع الشمالي إلى لغتين أساسيتين هما :

1- اللغة الكنعانية .
2- اللغة الأرامية .

أما اللغات الكنعانية ، فقد انتشرت في بلاد الشام ، ومنها فلسطين ، وهي تشمل عدة لغات منها :

- الفنيقية .
- العبرية .
- المؤابية .
- الأوغاريتية .

أما اللغات الأرامية ، فهي :

- الأرامية الغربية ، ومنها : النبطية ، والسامرية ، والتدمرية .
- الأرامية الشرقية ، ومنها اللغة السريانية .

الأبجدية الكنعانية :

كانت اللغة الكنعانية هي اللغة الوحيدة السائدة في بلاد الشام ، ومنها فلسطين (اشعيا 19 : 18) . وإذا كان الفنيقيون ، وهم من الكنعانيين أول من استعمل نظاما أبجديا في الكتابة نقلوه إلى العالم ، وكانوا قد اقتبسوا بعضا من هذه الأبجدية عن الهيروغليفية المصرية . ولكن ولفنسون يرى أن الخط الكنعاني ليس إلا من صنع الكنعانيين واختراعهم .

ومهما يكن الأمر ، فإن الحروف الكنعانية ، وإن كانت ليست بصور ، فإن لمعانيها علاقة بالصور ، وهي :

أ ألف (رأس بقرة)
ب بيت (بيت)
ج جيمل (جمل)

د دالت (باب)

هـ ها (شبكة)

و واو (وتد)

ز زاين (سلاح)

ح حيت (حائط)

ط طيت (حنش)

ي يود (يد)

ك كاف (كف اليد)

ل إل (عصا لضرب البقر)

م ميم (ماء)

ن نون (حوت)

س سامخ (آلة يعتمد عليها كالعصا)

ع عين (عين)

ف فا (فم)

ص صادي (شبكة للصيد)

ق قوف (سم الخياط)

ر رُش (رأس)

ش شين (سن)

ت تاو (علامة) **(إسرعيل ولفنسون ، تاريخ اللغات السامية ، ص 99، 100) .**

فإذا ما أراد الكنعاني أن يكتب كلمة (ملك) مثلا ، فإنه يرسم :

أولا صورة ماء لتمثل صوت م

ثم صورة عصا لتمثل صوت   ل

ثم صورة كف اليد لتمثل صورة ك

ثم أدخلت على هذه اللغة فيما بعد عدة تغييرات ، لتصبح أكثـــر مناســـبة ، وتحولت من الهيروغليفي المصور ، إلى الخط الهجائي .

وقد تفرعت عن الكنعانية عدة لهجات هي (المؤابية ، والأدومية ،والفنيقية) .

الكنعانية والعبرية :

أصبحت اللغة الكنعانية الهجائية مستعملة حوالي القرن الرابع عـــشر قبـــل الميلاد . في هذا الوقت لم يكن قد ظهر إلى الوجود ما يسمى بـــ (العبـــرانيين) ، حيث أن بني إسرعيل في ذلك الوقت كانوا ما يزالون في مصر .

ولهذا فإننا نقول أن ما يسمى باللغة العبرية لم يظهـــر قبـــل خـــروج بنـــي إسرعيل من مصر ، لما يلي :

1- أن بني إسرعيل في تاريخه كانوا يقيمون في مصر ،ولم يـــذكر العهـــد القديم ، ولا السجلات التاريخية القديمة أنهم كانوا يتكلمون لهجـــة ، أو لغة غير اللغة المصرية .

2- عندما دخل بنو إسرعيل إلى مصر ، وكان عـــددهم حـــوالي (70) شخصا ، كانوا يتكلمون الكنعانية لغة آبائهم ، ولكن في مصر ، تعلموا اللغة المصرية ، وأصبحوا يتكلمون بها .

3- بعد خروجهم من مصر ، ومع أن لغتهم كانت مصرية ، إلا انهم أخذوا يتخلون عنها تدريجيا ، وبقيت هذه اللغة مستخدمة حوالي السنتين ، قبل التيه ، وبعده بقليل ، وبعد موت أغلب بني إسرعيل ، أصبح من يطلـــق

عليهم بنو إسرعيل ، هم الناجون من التيه ، ومـــن آمـــن بـــدعوتهم ، أصبحوا يتكلمون اللغة الكنعانية ، كما يقول ماكلستر R. Macalister " " إن الموسويين تكلموا لغة كنعان وخدموا آلهة كنعان . " " (**جودت السعد ، أوهام التاريخ اليهودي ، ص 229)** .

اللغة العبرية :

يجمع المؤرخون على أن ما يسمى بـــ (اللغة العبرية) لم يظهـــر إلا فـــي القرن الخامس أو الرابع قبل الميلاد . ولكنه من المؤكد أنه كانت لغة لها أحكامهـــا في القرن الثاني قبل الميلاد ، وأصبحت لغة مميزة في القرن الخامس المـــيلادي . ولا شك في أنها اعتمدت على اللغة الكنعانية ، في وضع هذه الأحكام .

ونظرا لعدم وجود لغة اسمها (العبرية) في زمن أشعيا الذي عـــاش فـــي القرن السابع قبل الميلاد ، فقد أطلق على هذه اللغة اسم (لغة كنعان) ، وهذا يـــدل على عدم وجود جماعة ذات عرق واحد في زمنه كانت تتكلم هذه اللغة ، بمعنى أن هذه اللغة كان يتكلمها أكثر من شعب في ذلك الزمن . ولم يحدثنا التاريخ عن وجود شعب معين اسمـــه (الشعب العبري) وكان يتكلم لغة اسمها (اللغة العبرية) .

وإذا كان (عزرا ونحميا) في بابل يتكلمون الأرامية ، أو إحدى لهجاتها ، فقد كتبوا بعض أسفار العهد القديم بهذه اللغة ، التي أصبحت تعرف بـــ (اللغـــة المقدسة) وفيما بعد باللغة العبرية . وبدون شك فإن ما يسمى باللغة العبرية لم تكن معروفة في زمن نحميا ، وإلا لكان أشار إليها بدلا من قوله (اللسان اليهـــودي) . نحميا 13: 24 .

وقد أصبح من المتفق عليه أن المكابيين في القرن الثاني قبل الميلاد كـــانوا يتكلمون الأرامية ويكتبون بها . وأصبح من المؤكد الآن أن سفر دانيـــال وســـفر عزرا والترجوم والتلمود الأورشالمي قد كتبت باللغة الأرامية .

أما التلمود البابلي ، فقد كتب بالأرامية الشرقية .

وإذا كان بنو إسرعيل يعتبرون (اللغة العبرية) لغتهم ، فمن المؤكـد أنـه ليس جميع بني إسرعيل كانوا يتكلمون هذه اللغة .

وقد ظهرت بعض الكتابات العبرية في القرن الثـاني قبـل المـيلاد علـى المسكوكات النقدية الإسرعيلية ، ولم يعثر ما يدل على تلك اللغة أي شيء قبل ذلـك التاريخ . كما ظهرت بعض الكتابات العبرية قبل مولد المسيح عليه السلام بقليـل ، وهي في الواقع " لا تعدو أن تكون صيغة أرامية ، فأحرفها أراميـة ومـضامينها توراتية . ولأن الأرامية أخذت بالتراجع ولوجود عدة لهجات أرامية تثبتت لهجـة منها (كلغة مقدسة) وبحكم تبلور الديانة اليهودية في فترة المكابيين ترسخت هـذه اللهجة كلغة لهذه الديانة . " **(جودت السعد ، أوهام التاريخ اليهودي ، ص 243 ، 244) .**

وقد اعترف كثير من العلماء والباحثين الإسرعيليين بأن اللغة العبرية ليست لغة عريقة قديمة كغيرها ، ومن هؤلاء الباحث الإسرعيلي (موشيه كاسوطو) الذي قال " " أن اللغة العبرية ليست سوى لهجة انفصلت عـن الجـذع الكنعـاني . " " وأضاف : " " وهذه الفرضية لا يمكن دحضها . " " **(جـودت الـسعد ، أوهـام التاريخ اليهودي ، ص 244) .**

الفصل الثالث عشر
أسطورة قلعة مساده

ويطلق عليها أيضا اسم قلعة (مسعدة) . وهي قلعة تقع على المنحـــدرات الشرقية لمرتفع صخري من صحراء أورشالم القدس ،وذلك قريبـــا مـــن الـــساحل الغربي للبحر الميت .

وكلمة (مساداة) كلمة أرامية تعني (القلعة) . ويعتقد اليهود أن هذه القلعة تمثل بقايا مدينة حصينة أقامها اليهود في أواخر العهد المكابي في القرن الأول قبـــل الميلاد . وتبلغ مساحة قمة الجبل الذي توجد عليه هذه القلعة حوالي 80 دونمـــا ، وطولها حوالي 600 م ، وعرضها يتراوح بين 130 – 240 مترا . وترتفـــع عـــن سطح البحر الميت حوالي 462 مترا ، وتفصل بين قمة هـــذه القلعـــة ومجموعـــة الجبال المحيطة بها أودية عميقة .

وتقول الرواية اليهودية أن يوناثان الحشموني (المكابي) قد بنـــى عليهـــا حصنا صغيرا سنة 42 ق. م. ولكن وبعد أن احتل هيرود أورشالم القدس ســـنة 37 ق. م. قام ببناء عدد من القلاع والحصون في مختلف أنحاء فلسطين ، ومن ضمنها كانت قلعة (مسعدة) ، فأعاد تحصينها وتقويتها وتدعيم أســـوارها ، وبنـــى فيهـــا قصرا فاخرا له وأبنية أخرى لأعوانه وجيشه ، وأدخل فيها نظامـــا متقـــدما نـــسبيا للري وتخزين الماء ، وذلك كي تكون ملجأ له من أعداء محتملـــين مـــن الـــداخل والخارج . ومنهم من يرى أن سبب ذلك يعود إلى رغبته الاحتماء بها خوفا مـــن كليوباترا ملكة مصر .

ويرجع اهتمام إسرائيل بهذه القلعة إلى اعتقادهم أنه بعد أن استولى الرومان عليها قامت مجموعة من اليهود بمهاجمة حامية القلعة الرومانية وذبحوا مـــن كـــان

فيها من الرومان واستولوا عليها ، بعد أن كانوا قد وعدوا أفراد الحامية بالأمـــان . وانتقاما لذلك قام الجيش الروماني بمحاصرة القلعة مدة ثلاث سنوات ، وعندما فقــد اليهود المحاصرون الأمل بالنجاة قرروا الانتحار الجماعي ، وكان ذلــك يــوم 15 نيسان عام 73م . وكان عددهم 960 شخصا من الرجال والنساء والأطفال ، وكانوا قد حرقوا منازلهم وأمتعتهم وما تبقى من تموينهم قبل الانتحار .

ويعتبر المصدر الوحيد لهذه الرواية هو المؤرخ اليهــودي (يوســيفوس) وهو مؤرخ قليل المصداقية ، ولا يمكن الاعتماد على روايته . وبعد ذلك أصــبحت هذه القلعة موقعا رومانيا ، ثم قلعة صليبية . ونتيجة لما حــصل وحــسب روايــة يوسيفوس أصبحت قصة القلعة والمحاصرين المنتحرين فيها مثالا للقوة العــسكرية المحاصرة عند اليهود ، بل ويتخذونها دليلا على تفرد الشعب اليهــودي بالمقاومــة والكبرياء في التاريخ .

ولكن هل الوقائع التاريخ والأثرية تثبت هذه الرواية ؟

لقد كتب عدد كبير من العلماء والمؤرخين عن هذه القلعة ، وقد أيــد عــدد منهم الرواية اليهودية ، ومنهم من اعتبرها أسطورة يهودية لــيس لهــا أي ســند تاريخي . ومن هؤلاء الباحثة اليهودية (ويسي روزمارين) " التــي أعلنــت أن نتائج دراساتها تؤكد أن قصة ماساداة خرافة وأسطورة ملفقة وأنه لا يمكن التــدليل التاريخي على سلامــة الاكتشافات الأثرية التي تستند إليها هذه القــصة . " **(عبــد الوهاب المسيري ، موسوعة المفاهيم والمصطلحات الصهيونية ، ص 351)** .

ومع هذا فإن النظام الإسرائيلي الحالي قد أحاط القلعة وقصتها المشكوك فيها بهالة من التقديس والتعظيم ، وحولها إلى قصة بطولة قومية ، مع قدر كبير من الدعاية والتهويل . وكان من أشهر المؤيدين لذلك هو الجنرال (يادين) رئيس أركان الجيش الإسرائيلي في أوائل الستينات ، والذي تحول بعد ذلك إلى دراسة والتنقيب عن الآثار ، وقد عبر عن اهتمامه بهذه القصة المزعومة بقوله :

" " كانت أهميتها العلمية كبيرة . ولكن الأهم من ذلك هو أن المساداة تمثل بالنسبة إلينا جميعا في إسرائيل وخارج إسرائيل ، سواء من علماء الآثار أو الناس العاديين رمز الشجاعة ونصبا لأبطالنا القوميين ، هؤلاء الأبطال الذين اختاروا الموت على حياة العبودية المادية والمعنوية . " " **(كيث وايتلام ، اختلاق إسرائيل ، ص 48) .**

ومن علامات الاهتمام الإسرائيلي بهذه القلعة أيضا أن أصبح الجيش الإسرائيلي يقيم فيها احتفالا سنويا لبعض قطاعاته حيث يرددون " يمين الولاء على قمة القلعة ويقسمون في نهايته بأن المساداة لن تسقط ثانية . ويتم تنظيم رحلات لأفواج من السياح اليهود وطلبة المدارس الإسرائيلية للحج إلى القلعة ، كما تحرص إسرائيل على أن تدرج زيارتها ضمن برنامج كل زعيم سياسي أجنبي يذهب إلى إسرائيل ، بل وأعادت إسرائيل عام 1969م دفن المنتحرين . " **(عبد الوهاب المسيري ، موسوعة المفاهيم والمصطلحات الصهيونية ، ص 351) .**

وبقي هذا التقليد قائما حتى تم نقله فيما بعد إلى حائط البراق في أورشالم القدس ويقينا لو أن قصة هذه القلعة كما وصفتها المراجع اليهودية كانت حقيقة ، لما تم نقل هذه الطقوس من القلعة إلى حائط البراق .

ولا شك أن الهدف الإسرائيلي من وراء ذلك هو بعث الروح القومية الصهيونية اليهودية بين أفراد الشعب الإسرائيلي وربطهم بتاريخهم القديم المزعوم، ولو كان ذلك كذبا وخداعا .

كما تهدف الدعاية الإسرائيلية من وراء ذلك إلى الإشارة إلى بعض الادعاءات كتلك التي تقول بوجود جذور يهودية للدولة الإسرائيلية الحالية في

المنطقة ، وأن اضطهاد اليهود كان موجودا على هذه الأرض منذ القدم ، وأن هـذه التضحيات قد لازمت المجتمع اليهود منذ تأسيسه .

ومن زيادة اهتمام إسرائيل بهذه القلعة أنه في عام 1954م أقامت طريقا جديدا ملتويا إلى القلعة . وفي عام 1955م قام الجيش الإسرائيلي بإعادة بناء ما تهدم من القلعة وترميمها . وفي عام 1971م تم تشغيل قطار هوائي من الجانب الشرقي للجبل .

وقد كشفت التنقيبات الآثارية التي أجريت في القلعة وما حولها ، عن مبان أنشأها هيرود تشمل قصورا وحمامات ومخازن وتحصينات وتمديدات مائية . ويدعي الإسرائيليون أنهم وجدوا في القلعة فخاريات وأدوات طعام حجرية ومعدنية ، ومنسوجات وسلاسل تعود إلى القرن الأول قبل الميلاد ، وأنها بقايا من اليهود الذين كانوا يسكنون القلعة ، ولكن لم يتم التأكد من ذلك بعد .

وعلى هذا الأساس فإن القلعة هي قلعة هيرودية ، ولا يمنع هذا من أن يكون بعض اليهود قد سكنوها هربا من بطش الرومان في أوائل القرن الأول الميلادي ، وفي تلك الفترة لم يكن اليهود على قدر من القوة والإمكانيات ما يمكنهم من بناء مثل هذه القلعة وتحصينها ، بل كانوا مجموعة صغيرة مشردة تعيش على ما تسلبه من القوافل التجارية التي كانت تمر بالقرب من القلعة .

المصادر والمراجع

1- القرآن الكريم .

2- كتاب العهد القديم .

3- إبراهيم ، موسى مطلق ، وعد التوراة ، بيروت : متريخ للطباعة والنشر ، 1994م .

4- إبراهيم ، نجيب ميخائيل ، مصـــر والشـــرق الأدنى القديم ، ج 5 ، القاهرة : دار المعار ف ، 1965م .

5- أبو طالب ، محمود ، آثار الأردن وفلسطين في العصور القديمة ، عمان : وزارة الثقافة والشباب ، 1977م .

6- آرمسترونج ، كارين ، القدس مدينة واحد عقائد ثلاث ، ترجمة : فاطمة نصر ، بدون .

7- بريور ، مايكل ، الكتاب المقدس والاستعمار الاستيطاني ، ترجمة : أحمد الجمل وشريكه ، دمشق : قدمس للنشر والتوزيع ، 2003م .

8- آغا ، ماهر أحمد ، اليهود فتنة التاريخ ، دمشق : دار الفكر ، 2003م.

9- بوكاي ، موريس ، القرآن الكريم والتوراة والإنجيل والعلم ، القاهرة : دار المعارف ، 1982م .

10- تلمي ، أفرايم ومناحم (إعداد) ، ترجمة : أحمد العجرمي ، عمان : دار الجليل للنشر والدراسات والأبحاث الفلسطينية ، 1988م .

11- التونتجي ، محمد ، اللغة العبرية وآدابها ، القاهرة : مطبعة عين شمس ، 1973م .

12- جارودي ، رجاء ، الأساطير المؤسسة للسياسة الإسرعيلية ، القاهرة : دار الغد العربي ، 1996م .

13- جارودي ، رجاء ، قضية إسرعيل ، ترجمة نزيه الشوفي ، بدون.

14- جوهر ، هاني عبد العزيز ، اليهود في فلسطين في العصرين البطلمي والسلوقي ، القاهرة : عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية ، 2005م .

15- حداد ، يوسف أيوب ، هل لليهود حق ديني أو تاريخي في فلسطين ، ج 2 ، بيروت : بيسان للنشر والتوزيع والإعلام ، بدون .

16- الخشبة ، غطاس عبد الملك ، رحلة بني إسرعيل إلى مصر الفرعونية والخروج ، القاهرة : دار الهلال ، بدون .
17- ريد ، دوغلاس ، الجدل حول صهيون ، ترجمة : أديب فارس ، دمشق : منشورات دار علاء الدين ، 2005م .
18- زبيب ، نجيب ، التاريخ الحقيقي لليهود ، بيروت : دار الهادي ، 20002م .
19- زكي ، أحمد كمال ، الأساطير ، بيروت : بدون ، 1979م .
20- ساغز ، هاري ، عظمة آشور ، ترجمة : خالد عيسى وشريكه ، دمشق : مؤسسة علاء الدين للطباعة والتوزيع ، 2003م.
21- السعد ، جودت ، أوهام التاريخ اليهودي ، عمان : الأهليـــة للنشـــر والتوزيع ، 1998م .
22- سعد ، إبراهيم ، مقدمة إلى علم دراســـة الأساطيـــر ، طنطا : دار الحضارة ، بدون .
23- السقاف ، أبكار ، إسرعيل وعقيدة الأرض الموعودة ، القاهرة : مكتبة مدبولي ، 1968م.
24- سوسة ، أحمد ، العرب واليهود في التاريخ ، ط 2 ، بدون : العربي للإعلان والنشر والطباعة ، بدون .
25- السواح ، فراس ، الأسطورة والمعنى ، دمشق : منشورات دار علاء الدين ، 1997م .
26- السواح ، فراس ، تاريخ أورشليم ، دمشق : دار علاء الدين للنشر والتوزيع والترجمة ، 2003م .
27- السّواح ، فراس ، آرام دمشق وإسرعيل ، دمشق : دار علاء الدين ، 1995.
28- سويد ، ياسين ، التاريخ العسكري لبني إسرعيل من خلال كتابهم ، بيروت : شركة المطبوعات للتوزيع والنشر ، 1998م.
29- شاحاك ، إسرائيل ، التاريخ اليهودي ، الديانة اليهودية ، ترجمة : صالح سوداح ، بيروت : بيسان للنشر والتوزيع ، 1995م .
30- الشامي ، رشاد ، اليهود واليهودية في العصور القديمة ، القاهرة : المكتب المصري لتوزيع المطبوعات ، 2001م.
31- شتاينر ، مارغريت ، القدس أورشليم العصور القديمة بين التوراة والتاريخ (ندوة) ، عمان : مركز دراسات الوحدة العربية ، 2002م .

32- شرّاب ، محمد محمد حسن ، موسوعة بيت المقدس والمسجد الأقصى ، عمان : الأهلية للنشر والتوزيع ، 2003م .

33- شعبان ، فؤاد ، من أجل صهيون ، دمشق : دار الفكر ، 2003م .

34- صبري ، سناء عبد اللطيف ، القواعد الأساسية في اللغة العبرية ، القاهرة : مكتبة مدبولي ، 2000م.

35- الصمادي، إسماعيل ، نقد النص التوراتي ، دمشق : دار علاء الدين للنشر والتوزيع والترجمة ، 2005 م .

36- الصمادي ، إسماعيل ، التأريخ التوراتي . . والتاريخ ، دمشق : دار علاء الدين للنشر والتوزيع والترجمة ، 2005م .

37- طومسون ، توماس ، التاريخ القديم للشعب الإسرعيلي ، ترجمـــة : صالح سوداح ، بيروت : بيسان للنشر والتوزيع والإعلام ، 1995م.

38- طومسون ، توماس ، الماضي الخرافي التوراة والتاريخ ، ترجمـــة : عدنان حسن ، قدمس للنشر والتوزيع ، 2001م .

39- عامر ، عبد العزيز ، بنو إسرعيل الشعب الذي كان محتارا ، القاهرة : مدبلوي الصغير ، بدون .

40- عبد الرؤوف ، عوني ، قواعد اللغة العبرية ، القاهرة : مطبعة جامعة عني شمس ، 1971م.

41- عواد ، محمود ، إقامة الهيكل المزعوم إعلان الحرب الدينية ، عمان : اللجنـــة الملكية لشؤون القدس ، 2003م .

42- غزالة ، هديب ، الدولة البابلية الحديثة ، دمشق : الأهالي للطباعة والنشر والتوزيع ، 2001م .

43- فتوحي ، لؤي ، وشريكه ، تاريخ بني إسرعيل المبكر ، عمان : روائع مجدلاوي ، 2002م .

44- فينكلشتاين ، إسرعيل ، وشريكه ، التوراة اليهودية مكشوفة على حقيقتها ، ترجمة : سعد رستم ، دمشق : الأوائل للنشر والتوزيع ، 2005م .

45- القمني ، سيد ، إسرعيل التوراة التاريخ والتضليل ، القاهرة : دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع ، 1998م .

46- كاميل ، جوزيف ، قوة الأسطورة ، ترجمة : حسن صقر وزميله ، بدون .

47- كمال ، ربحي ، دروس اللغة العبرية ، ط 6 ، دمشق : جامعة دمشق ، 2000 م

48- كنعان ، جورجي ، مملكة الصعاليك ، بيروت : دار الطليعة ، 2000م .
49- كنيون ، كاثلين ، الكتاب المقدس والمكتشفات الآثارية الحديثة ، ترجمة : شوقي غيث ، دمشق : دار الجليل ، 1990م .
50- كوسيدوفسكي ، زينون ، الواقع والأسطورة في التوراة ، ترجمة : حسان اسحق ، دمشق : دار الأبجدية ، 1990 م .

51- كوهن ، أ . التلمود ، ترجمة : سليم طنوس ، بيروت : دار الخيال ، 2005م .
52- الكيرانوي ، رحمة الله ، إظهار الحق ، الدوحة : إدارة إحياء التراث الإسلامي ، بدون .
53- مالمات ، أبراهام ، العبرانيون وبنو إسرعيل في العصور القديمـــة ، ترجمة : رشاد الشامي ، القاهرة : المكتب المصري لتوزيع المطبوعات ، 2005 م .
54- محمد ، محمد قاسم ، التناقض في تواريخ وأحداث التوراة ، بدون ، 1992م .
55- مسعود ، ميخائيل ، الأساطير والمعتقدات العربية قبل الإسلام ، بيروت : دار العلم للملايين ، 1994م .
56- المسيري ، عبد الوهاب ، موسوعة المفاهيم والمصطلحات الصهيونية ، القاهرة : مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية بالأهرام ، بدون .
57- مقار ، شفيق ، قراءة سياسية في التوراة ، لندن : رياض الريس للكتب والنشر ، 1991 م.
58- منى ،زياد ، من هم العبرانيون ؟ المجلة الثقافية ، العدد 36 ، 1995م.
59- منى ، زياد ، بنو إسرعيل جغرافية الجذور ، دمشق : الأهالي للطباعة والنشر ، 1995 م .
60- منى ، زياد ، مقدمة في تاريخ فلسطين القديم ، دمشق : بيسان للنشر والتوزيع والإعلام ، 2000 م .
61- مهران ، محمد بيومي ، بنو إسرعيل ، الجزء 1 ، 2 ، الإسكندرية : دار المعرفة الجامعية ، 1999م .
62- همو ، عبد المجيد ، الله أن يهوه ؟ أيهما إله اليهود ؟ دمشـــق : الأوائل للنشر والتوزيع ، *2003* م .

63- همو ، عبد المجيد ، ما بين موسى وعزرا كيف نشأت اليهودية ؟ دمشق : الأوائل للنشر والتوزيع ، 2003 م .

64- وايتلام ، كيث ، اختلاق إسرعيل القديمة إسكات التاريخ الفلسطيني ، ترجمة : سحر الهنيدي ، الكويت : عالم المعرفة ، 1999 م .

☜ الكتب الصادرة عن دار الجليل ☞

الرقم المتسلسل	اسم الكتاب	المؤلف	المترجم
-١	عمود النار ، الأسطورة التي قامت عليهاالسرائيل		غازي السعدي
-٢	الأستيطان ، التطبيق العملي للصهيونية طبعة جديدة (مزيدة ومنقحة)	عبد الرحمن ابو عرفة	
-٣	حرب الجليل ، الحرب الفلسطينية - الأسرائيلية ، تموز ١٩٨١	بدر عبد الحق وغازي السعدي	
-٤	الكتاب السنوي ١٩٨١ ، توثيق لأبرز المعلومات والأحداث في فلسطين المحتلة .	هيئة الرصد والتحرير غازي السعدي ، نواف الزرو ، غسان كمال	
-٥	الكتاب السنوي ١٩٨٢ ، توثيق لأبرز المعلومات والأحداث في فلسطين المحتلة	هيئة الرصد والتحرير غازي السعدي ، نواف الزرو ، غسان كمال	
-٦	الحرب الفلسطينية - الاسرائيلية في لبنان (١) شهادات ميدانية لضباط وجنود العدو	بدر عبد الحق وغازي السعدي	
-٧	الحرب الفلسطينية - الاسرائيلية في لبنان (٢)	مايكل جانسن	محمود برهوم
-٨	الحرب الفلسطينية - الاسرائيلية في لبنان (٣) وثيقة جرم وادانة	غازي السعدي	
-٩	الحرب الفلسطينية - الاسرائيلية في لبنان (٤) اهداف لم تتحقق	غازي السعدي	
-١٠	الحرب الفلسطينية - الاسرائيلية في لبنان (٥) معتقل انصار - وصراع الارادات	سليم الجنيدي	
-١١	الحرب الفلسطينية - الاسرائيلية في لبنان (٦) الحرب المضللة	زئيف شيف و ايهود يعاري	غازي السعدي
-١٢	الحرب الفلسطينية - الاسرائيلية في لبنان (٧) فظائع الحرب اللبنانية		زكي درويش
-١٣	الحرب الفلسطينية - الاسرائيلية في لبنان (٨) هزيمة المتصرين وانتصار القضية	اللجنة ضد الحرب في لبنان	
-١٤	الحرب الفلسطينية - الاسرائيلية في لبنان (٩) الأسرى اليهود وصفقات المبادلة	غازي السعدي	
-١٥	رسائل من قلب الحصار من ابو عمار الى الجميع		
-١٦	يوميات من سجون الاحتلال - زنزانة رقم (٧)	فاضل يونس	

١٧-	المثلث الايراني : العلاقات السرية الاسرائيلية ـ الأمريكية الايرانية في عهد الشاه	الصحفي شموئيل سيجف	غازي السعدي
١٨-	هل يوجد حل للقضية الفلسطينية ؟ مواقف اسرائيلية	الوف هرابين	غازي السعدي
١٩-	عملية الدبويا كما يرويها منفذوها	المحامي درويش ناصر	
٢٠-	مراكز القوى في اسرائيل ١٩٦٣- ١٩٨٣ ونموذج صنع القرار السياسي في اسرائيل	دكتور نظام بركات	
٢١-	مشاريع التسوية للقضية الفلسطينية ١٩٤٧- ١٩٨٥	منير الهور وطارق الموسى	
٢٢-	غوش ايمونيم ـ الوجه الحقيقي للصهيونية	داني روبنشتاين	غازي السعدي
٢٣-	عش العصفور ـ قصة للأطفال	منير الهور	
٢٤-	رؤى مستقبلية عربية في الثمانينات	د . احمد صدقي الدجاني	
٢٥-	أيام دامية في المسجد الأقصى المبارك	الدكتور احمد العلمي	
٢٦-	حق الشعب الفلسطيني في تقرير المصير	يوسف قراعين	
٢٧-	الأحد الأسود: تصور امريكي صهيوني للعمل الفدائي الفلسطيني	حسن اسماعيل مشعل	
٢٨-	خارطة فلسطين ـ وهي خارطة تمثل سهـول وهضاب وجبال ووديان ومدن وقرى فلسطين (ملونة)		
٢٩-	بروتوكولات حكماء صهيون ـ المجلد الاول	عجاج نويهض	
٣٠-	بروتوكولات حكماء صهيون ـ المجلد الثاني	عجاج نويهض	
٣١-	الاردن وفلسطين ـ وجهة نظر عربية	د . سعيد التل	
٣٢-	الاقتصاد الاسرائيلي بين دوافع الحرب والسلام	د . فؤاد حمدي بسيسو	
٣٣-	الاستعمار وفلسطين	رفيق شاكر النتشة	
٣٤-	الحرب من اجل السلام	عيزر وايزمن	غازي السعدي
٣٥-	الموساد . جهاز المخابرات الاسرائيلي السري	دنيس ايتبرغ ، ايلي لانداو اوري دان	
٣٦-	التوازن العسكري في الشرق الاوسط	مركز الدراسات الاستراتيجية بجامعة تل ابيب	نبيه الجزائري
٣٧-	بطاقات فنية (لوحات فنية تعبر عن الانتماء الفلسطيني)	د . كامل قعبر	
٣٨-	بطاقات فنية (مجموعة) بطاقات على شكل دفتر الشيكات	د . كامل قعبر	
٣٩-	الكتاب الأسود عن يوم الأرض ٣٠ آذار ١٩٧٦		
٤٠-	في سرية الصحراء	سميح القاسم	

٤١-	الخيار النووي الاسرائيلي	شاي فيلدمان	غازي السعدي
٤٢-	انتهاك حقوق الانسان في الأراضي المحتلة شهادات مشفوعة بالقسم		سليم ابو غوش
٤٣-	نقاط فوق الحروف مناقشة لردود الفعل تجاه مبادرتي الأمير فهد خالد الحسن وبريجنيف		
٤٤-	قراءة سياسية في مبادرة ريغان	خالد الحسن	
٤٥-	فلسطينيات	خالد الحسن	
٤٦-	الاتفاق الأردني الفلسطيني للتحرك المشترك	خالد الحسن	
٤٧-	من ملفات الارهاب الصهيوني في فلسطين (١) جرائم الأرغون وليحي ١٩٣٧- ١٩٤٨	يعقوب الياب	غازي السعدي
٤٨-	من ملفات الارهاب الصهيوني في فلسطين (٢) مجازر وممارسات ١٩٣٦- ١٩٨٣		غازي السعدي
٤٩-	من ملفات الارهاب الصهيوني في فلسطين (٣) دور الهاغاناه في انشاء اسرائيل	د . حمدان بدر	
٥٠-	ملصق يوم الأرض	سليمان منصور	
٥١-	ملصق جمل المحامل	سليمان منصور	
٥٢-	ملصق قبة الصخرة - صورة تبرز معالمنا التاريخية والدينية في القدس		
٥٣-	فلسطين تاريخا ونضالا	نجيب الأحمد	
٥٤-	فلسطينيات في سجن النساء الاسرائيلي نفي ترتسا	طيور المحامي وليد الفاهوم	
٥٥-	المؤسسة العسكرية الصهيونية في دائرة الضوء اسرائيل عسكر وسلاح (١)	بشير البرغوثي	
٥٦-	اتفاقيات السلم المصرية - الاسرائيلية في نظر القانون الدولي	محمد الرفاعي	
٥٧-	الجذور - وثيقة الأوقاف الاسلامية	فتحي فوراني	
٥٨-	فلسطين .. الأرض والوطن (١) قرية الدوايمة	موسى عبدالسلام هديب	
٥٩-	خط الدفاع في الضفة الغربية وجهة نظر إسرائيلية	أريه شليف	غازي السعدي
٦٠-	تشريقة بني مازن	د . عبداللطيف عقل	
٦١-	القمع والتنكيل في سجن الفارعة	لجنة الحقوقيين الدوليين القانون من أجل الانسان	
٦٢-	صورة العربي في الأدب اليهودي (١)	الدكتورة ريزا دومب	عاطف عطاري
٦٣-	الشخصية العربية (٢) في الأدب العبري الحديث ١٩٤٨- ١٩٨٥	غانم مزعل	

٦٤- فلسطين أرض وتاريخ د . محمد النحال

٦٥- القدس ماضيها ، حاضرها ، مستقبلها فايز فهد جابر

٦٦- القضية الفلسطينية في القانون الدولي .. والوضع الراهن د . جابر الراوي

٦٧- شوكة في عيونكم مئير كهانا غازي السعدي

٦٨- حرب الاستنزاف د . محمد حمزة

٦٩- القرار - ألفان وإثنا عشر يوما في سجون الاحتلال رشاد أحمد الصغير

٧٠- المطامع الاسرائيلية في مياه فلسطين والدول العربية المجاورة بشير شريف البرغوثي

٧١- أزمة الاستخبارات الاسرائيلية تسفي لنير قسم الدراسات

٧٢- اسرائيل عام ٢٠٠٠ (تصورات اسرائيلية)

٧٣- دعوى نزع الملكية الاستيطان اليهودي . والعرب في الفترة ١٨٧٨- ١٩٤٨ أريه . ل . افنيري بشير البرغوثي

٧٤- ندوة مشاكل التعليم الجامعي في الوطن المحتل والروح الجماعية

٧٥- سميح القاسم - قصائد - شخص غير مرغوب فيه

٧٦- القضية الفلسطينية الأكرم زعيتر

٧٧- فلسطين الأم وابنها البار - عبدالقادر الحسيني عيسى خليل محسن

٧٨- عرب التركمان - أبناء مرج ابن عامر علياء الخطيب

٧٩- المرأة الفلسطينية والاحتلال الاسرائيلي ميسون العطاونة الوحيدي

٨٠- نادية برادلي - الفدائية المغربية الشقراء غسان كمال

٨١- الاعلام الاسرائيلي غازي السعدي ومنير الهور

٨٢- تقرير الأرض المحتلة المقدم الى الدورة (١٨) للمجلس الوطني الفلسطيني قسم الدراسات والأبحاث

٨٣- الوجه الحقيقي للموساد د . وجيه الحاج سالم وانور خلف

٨٤- العمق الاستراتيجي في الحروب الحديثة بدر عقيلي

٨٥- شخصيات صهيونية (١) مذكرات الجنرال رفائيل ايتان غازي السعدي

٨٦- شخصيات صهيونية (٢) وتهجير يهود العراق شلومو هيلل غازي السعدي

٨٧- شخصيات صهيونية (٣) ثيودور هيرتسل عراب الحركة الصهيونية قسم الدراسات

٨٨- شخصيات صهيونية (٤) شـــارون بلدوزر الارهاب الصهيوني غازي السعدي

٨٩- شخصيات صهيونية (٥) آباء الحركة الصهيونية عبدالكريم النقيب

٩٠- شخصيات صهيونية (٦) موشيه ديان .. أنا وكامب ديفيد غازي السعدي

٩١-	شخصيات صهيونية (٧) بن غوريون والعرب		غازي السعدي
٩٢-	شخصيات صهيونية (٨) رسائل بن غوريون		الأميرة دينا عبدالحميد
٩٣-	شخصيات صهيونية (٩) حياتي .. غولدا مائير		دار الجليل
٩٤-	شخصيات صهيونية (١٠) حركة التصحيح الصهيونية من عهد جابوتنسكي الى عهد شامير	ليني برينر	دار الجليل
٩٥-	شخصيات صهيونية ١١/١ مذكرات اسحق رابين - القسم الأول		دار الجليل
٩٦-	شخصيات صهيونية ١١/٢ مذكرات اسحق رابين - القسم الثاني		دار الجليل
٩٧-	شخصيات صهيونية ١٢ مذكرات ناحوم غولدمان		دار الجليل
٩٨-	ششخصيات صهيونية ١٣ مذكرات اسحق شامير		دار الجليل
٩٩-	من رواد النضال الفلسطيني ١٩٢٩- ١٩٤٨ الكتاب الأول	زياد عودة	
١٠٠-	من رواد النضال الفلسطيني ١٩٢٩- ١٩٤٨ الكتاب الثاني	زياد عودة	
١٠١-	الحركة العمالية العربية في فلسطين	سليم الجنيدي	
١٠٢-	الموسوعة العسكرية الاسرائيلية (١) سلاح الجو الاسرائيلي	زئيف شيف	دار الجليل
١٠٣-	الموسوعة العسكرية الاسرائيلية (٢) سلاح الاستخبارات الاسرائيلي	عوديد غرانوت	دار الجليل
١٠٤-	الموسوعة العسكرية الاسرائيلية (٣) سلاح الهندسة	عمي شامير	دار الجليل
١٠٥-	الموسوعة العسكرية الاسرائيلية (٤) سلاح المشاة	نتان روعي	دار الجليل
١٠٦-	الموسوعة العسكرية الاسرائيلية (٥) سلاح المظليين	ايلان كفير	دار الجليل
١٠٧-	دراسات في تعليم الكبار	د . عدنان أبو عمشة	
١٠٨-	وجه قبيح في المرآة	بروفيسور ادير كوهن	غازي السعدي
١٠٩-	تاريخ ما أهمله التاريخ	عبدالهادي جرار	
١١٠-	الاعلام الفلسطيني	د . حسين أبو شنب	

١١١- النزاع العربي - الاسرائيلي بين فكي كماشة الدول العظمى	موشه زاك	دار الجليل
١١٢- تحت السياط	فاضل يونس	
١١٣- الغضب	اكرم النجار	
١١٤- جلسات في رغدان	د . يوسف هيكل	
١١٥- منجل في النجمة السداسية (التجسس السوفياتي في اسرائيل)	ايسر هرئيل	بدر عقيلي
١١٦- اشكالية الديمقراطية والبديل الاسلامي في الوطن العربي	خالد الحسن	
١١٧- تعليم الفلسطينيين ماضيا وحاضرا ومستقبلا	د . عبدالقادر يوسف	
١١٨- صرخة في وجه العالم (البوم الانتفاضة)	دار الجليل	
١١٩- الاستخبارات والأمن القومي	المقدم احتياط تسفي عوفر والرائد آفي كوبر	دار الجليل
١٢٠- الاحزاب والحكم في اسرائيل	غازي السعدي	
١٢١- ربيع الحياة	د . يوسف هيكل	
١٢٢- قبس من تراث المدينة والقرية الفلسطينية	صباح السيد عزازي	
١٢٣- اشتعالات حمدان - مجموعة قصصية	اكرم النجار	
١٢٤- الحافلة رقم ٣٠٠ و(فضيحة الشين بيت)		احمد بركات
١٢٥- آه يابلدي - رواية	اكرم النجار	
١٢٦- معجم المصطلحات الصهيونية	افرايم ومناحم تلمي	احمد بركات العجرمي
١٢٧- من القمع الى السلطة الثورية	قدري أبو بكر	
١٢٨- أيام الصبا صورة من الحياة وصفحات من التاريخ	د . يوسف هيكل	
١٢٩- معجم الأمثال الشعبية الفلسطينية	فؤاد ابراهيم عباس وعمر شاهين	
١٣٠- صناعة قرارات الأمن الوطني في اسرائيل		بدر عقيلي
١٣١- قمع شعب شهادات ميدانية مشفوعة بالقسم		بشير شريف البرغوثي
١٣٢- جليلة .. وهج في جذور الانتفاضة - رواية	اكرم النجار	
١٣٣- اسلحة وإرهاب وجهات نظر اسرائيلية في ثلاثة ابحاث		دار الجليل
١٣٤- حدود (أرض اسرائيل)	موشيه رافر	بدر عقيلي
١٣٥- هذه قضيتك ياولدي	سليم عبدالعال القزق	
١٣٦- حرب سيناء ١٩٥٦ - تصورات اسرائيلية		بدر عقيلي
١٣٧- المثلث الايراني - الكتاب الثاني - دراما العلاقات الايرانية - الاسرائيلية - الامريكية	شموئيل سيجف	دار الجليل
١٣٨- الفاشية الاسرائيلية	المحامي درويش ناصر	

١٣٩- النظرية العسكرية الاسرائيلية ـ دفاع وهجوم	اريئيل لفيتا	دار الجليل
١٤٠- الأمن القومي العربي وتظرية تطبيقه في مواجهة الامن الاسرائيلي	العميد محمد يوسف العملة	
١٤١- سياسة اسرائيل الأمنية	المحرر زئيف كلاين	بدر عقيلي
١٤٢- دقيقتان فوق تل ابيب	محمد أزوقة	
١٤٣- الهجرة اليهودية حقائق وارقام	د . عمران ابو صبيح	
١٤٤- انتفاضة	زئيف شيف وايهود يعاري	دار الجليل
١٤٥- جواسيس المخابرات الاسرائيلية تاريخ .. وجغرافيا	يوسي ميلمان ودان رافيف	دار الجليل
١٤٦- " دولة " اسرائيل ـ زائلة	يعقوب شريت	دار الجليل
١٤٧- الجماعة الأوروبية والقضية الفلسطينية	محمد خالد الأزعر	
١٤٨- بقايا من خبز وكتاب	اكرم النجار	
١٤٩- اسرائيل في حرب الخليج	غازي السعدي	
١٥٠- المثلث المحتوم الولايات المتحدة ـ اسرائيل والفلسطينيون	احمد عزالدين بركات	
١٥١- الاستيطان الاسرائيلي جغرافيا وسياسيا	بروفيسور أليشع إيفرات	دار الجليل
١٥٢- حرب السكاكين في نظر الاسرائيليين	زياد ابو صالح ورشاد المدني	
١٥٣- انتفاضة العصافير	نجوى قعوار فرح	
١٥٤- موسوعة عشائر وعائلات فلسطين (١) القدس مدنها وقراها	فائز أبو فردة	
١٥٥- انهيار نظرية الأمن الاسرائيلية	عمنوئيل فالد	احمد بركات العجرمي
١٥٦- الموسوعة العسكرية الاسرائيلية (٦) سلاح الدروع	حشافيا أربيه	دار الجليل
١٥٧- بولارد قصة جاسوس	برنارد ر . هندرسون	دار الجليل
١٥٨- أبو عجاج الهينبوسي الدكتور الثائر	عيسى خليل محسن	
١٥٩- قناع القناع	محمد نورالدين شحادة	
١٦٠- الأسلحة الكيماوية والبيولوجية ـ وتأثيراتها البيئية ـ	د . عادل احمد جرار	
١٦١- دولة مجدو	عبدالله عواد	
١٦٢- الشبح	عبدالله عواد	
١٦٣- طرد الفلسطينيين وولادة مشكلة اللاجئين ـ وثيقة اسرائيلية ـ	بني موريس	دار الجليل
١٦٤- الاستشراق وابحاث الصراع لدى اسرائيل	ابراهيم عبدالكريم	
١٦٥- دليل المستوطنات الاسرائيلية في الاراضي العربية المحتلة (١٩٦٧- ١٩٩١)	د . عمران ابو صبيح	

١٦٦- حرب في الخليج (ابعاد على اسرائيل)	تقرير طاقم مركز الأبحاث الاستراتيجية الاسرائيلي : يافه	بدر عقيلي
١٦٧- فلسطين في سيرة البطل عبدالحليم الجيلاني	د. حسن صالح عثمان	
١٦٨- ثلاثون قضية استخبارية وأمنية في اسرائيل	يوسف أرجمان	دار الجليل
١٦٩- الادب العربي في جزر البليار	د . عبدالرزاق حسين	
١٧٠- الشرق الاوسط الجديد	شمعون بيرس	دار الجليل
١٧١- الاعياد والمناسبات والطقوس لدى اليهود	غازي السعدي	
١٧٢- اسلحة الدمار الشامل	وليام بوروس وروبرت ويندرم	دار الجليل
١٧٣- المفصل في تعلم اللغة العبرية بمعلم وبدون معلم	بدر عقيلي	
١٧٤- القاموس العلمي / عبري - عربي	امين ابو عيسى	دار الجليل
١٧٥- مكان تحت الشمس	بنيامين نتنياهو	محمد عودة الدويري
١٧٦ـ احاديث في العلم والقيم	يشعياهو ليفوفيتش	سلمان الناطور
١٧٧ـ فلسطين بلا هوية	صلاح خلف	دار الجليل
١٧٨ـ الحوار الفلسطيني ـ الامريكي	د. محمد ربيع	دار الجليل
١٧٩ـ دوائر القمر	عبد الرزاق حسين	دار الجليل
١٨٠ـ قرية جمزو	يوسف النجار	دار الجليل
١٨١ـ الانقلاب السياسي في اسرائيل الاسرار والخفايا	اورلي ازولاي	بدر عقيلي
١٨٢ ـ مشكلة الاراضي في النزاع القومي بين اليهود والعرب منذ وعد بلفور	جاك كنو	محمد عودة الدويري
١٨٣ ـ الموساد في العراق انهيار الامال الاسرائيلية والكردية	شلومو نكديمون	بدر عقيلي
١٨٤ ـ دولة فلسطين الوضع القانوني	سالم أحمد قواطين	
١٨٥ ـ اسحق رابين اغتيال سياسي	د. أمنون كابليون	بدر عقيلي
١٨٦ ـ نايف حواتمة يتحدث	عماد نداف	
١٨٧ ـ سومخي قصة للشبيبة عن الحب والمغامرات	عاموس عوز	دار الجليل

١٨٨ ـ البستان	بنيامين تموز	دار الجليل
١٨٩ ـ سورية واسرائيل من الحرب الى صناعة السلام	البروفيسور موشيه ماعوز	لينا وهيب
١٩٠ ـ اتفاقيات أوسلو الاتفاقيات الاسرائيلية الفلسطينية حول الضفة الغربية وقطاع غزة		دار الجليل
١٩١ ـ الحرب الاقتصادية (١٠٠) سنة من المواجهة الاقتصادية بين اليهود والعرب	يوفال اليتسور	محمد الدويري بدر عقيلي
١٩٢ ـ انثولوجيا الوجه الآخر قصص عبرية مختارة		دار الجليل
١٩٣ ـ المسيرة ..... خفايا أوسلو.... من الألف الى الياء	أوري سبير	بدر عقيلي
١٩٤ ـ أوسلو ..... والسلام الآخر المتوازن	نايف حواتمة	
١٩٥ ـ ايهود براك... الجندي الأول رئيس الوزراء الاسرائيلي المحتمل	بن كسبيت وايلان كفير	بدر عقيلي ونور البواطلة
١٩٦ ـ هشاي مخابرات منظمة الهجناه	دار الجليل	دار الجليل
١٩٧ ـ الصهيونية ... النظرية والتطبيق	يوآل رفائيل	نور البواطلة
١٩٨ ـ الحسين والسلام العلاقات الأردنية ـ الإسرائيلية	موشيه زاك	دار الجليل
١٩٩ ـ أبعد من أوسلو فلسطين الى اين	نايف حواتمه	دار الجليل
٢٠٠ ـ جاسوس إسرائيلي في دمشق قصة إلي كوهين	يشعياهو بن فورت ـ أوري دان	دار الجليل
٢٠١ ـ مهنتي كرجل مخابرات ٢٩ عاماً من العمل في الشاباك	يعقوب بيري	دار الجليل

٢٠٢ ـ إنتفاضة الاقصى ٢٠٠٠ قصص دامية وحكايات الشهداء	دار الجليل	دار الجليل
٢٠٣ ـ أرشيـل شـارون سجل خدمـة وعمـليات إنتـقامـية	دار الجليل	دار الجليل
٢٠٤ ـ انتفاضة الاقصى ٢٠٠٠ (الكتاب الثاني) قصص دامية وحكايات الشهداء	دار الجليل	دار الجليـل
٢٠٥ـ إنتفاضة الاقصى ٢٠٠٠ (الكتاب الثالث) قصص دامية وحكايات الشهداء	دار الجليل	دار الجليل
٢٠٦ـ قاب قوسين او أدنى من السلام	المحامي : غلعاد شير	بدر عقيلي
٢٠٧ـ إسرائيل والقنبلة النووية دراسة موثقة	أفنر كوهين	بدر عقيلي
٢٠٨ ـ فلسطين تحـطـم الجدار	دار الجليل	ابتسام قعقور
٢٠٩ ـ الجواسيس عشرون قضية تجسس على إسرائيل	يوسي ميلمان و إيتان هبر	خالد ابو ستة العياصرة
٢١٠ ـ قضية شراء الاراضي والإستيطان الصهيوني في الأردن وحوران والجولان	دار الجليل	دار الجليل
٢١١ـ انتفاضة الاقصى ٢٠٠٠ (الكتاب الرابع) قصص دامية وحكايات الشهداء	دار الجليل	دار الجليل
٢١٢ـ انتفاضة الاقصى ٢٠٠٠ (الكتاب الخامس) قصص دامية وحكايات الشهداء	دار الجليل	دار الجليل
٢١٣ـ إنتفاضة الأقصى ٢٠٠٠ (الكتاب السادس) قصص دامية وحكايات الشهداء	دار الجليل	دار الجليل
٢١٤ـ الرواية الجديدة عن حرب أكتوبر	خالد عياصرة	دار الجليل
٢١٥ـ إنتفاضة الأقصى ٢٠٠٠ (الكتاب السابع) قصص دامية وحكايات الشهداء	دار الجليل	دار الجليل
٢١٦ـ إنتفاضة الأقصى ٢٠٠٠ (الكتاب الثامن) قصص دامية وحكايات الشهداء	دار الجليل	دار الجليل
٢١٧ـ إنتفاضة الأقصى ٢٠٠٠ (الكتاب التاسع) قصص دامية وحكايات الشهداء	دار الجليل	دار الجليل
٢١٨ـ الانتفاضة "الاستعصاء"	نايف حواتمه	دار الجليل
٢١٩ـ إنتفاضة الأقصى ٢٠٠٠ (الكتاب العاشر) قصص دامية وحكايات الشهداء	دار الجليل	دار الجليل
٢٢٠ـ اليهودية ديانة توحيدية أم شعب مختار	عمر مصالحه	دار الجليل

٢٢١- تاريخ فلسطين قبل الميلاد	هشام محمد ابو حاكمة	دار الجليل
٢٢٢- انقلاب عسكري في اسرائيل الاحتمالات والواقع	بدر عقيلي	دار الجليل
٢٢٣- كفاح شعب فلسطين ومسيرة حركته الوطنية	دار الجليل	دار الجليل
٢٢٤- التلمود	عمر امين مصالحة	دار الجليل
٢٢٥- الأساطير المؤسسة للتاريخ الاسرائيلي القديم	هشام محمد ابو حاكمة	دار الجليل



هـــذا الكتــــاب

يفند ادعاءات كهنة بني اسرائيل وأساطيرهم المزعومة عن تاريخهم ، والتي أثبتت المصادر أنها مختلفة ومتناقضة ، فرواياتهم سوقت على أنها مصادر تاريخهم القديم ، وأن الرب وعدهم بأن الأرض المقدسة هي ميراث لبني اسرائيل ، وقد وردت هذه المزاعم التي صدقوها ، وسعوا لاقناع العالم بها في العديد من المواقع في كتاب العهد القديم المحرف ، الذي يعتبر من أهم الأساطير التي يتمسك بها اليهود على مر العصور ، لكن الكثيرين من العلماء والمؤرخين والكتاب فندوا هذه المزاعم بصورة قاطعه .

إن الذين قاموا بكتابة العهد القديم في بابل ، اعتمدوا في كتابته على سرقة الكثير من أساطير الشعوب القديمة ، واعتبروها تاريخاً لهم ، لكن اليهود تمسكوا بمزاعمهم ، في ردود فعلهم الغاضبة في مواجهة العلماء والمؤرخين ، وتمسكوا في روايتهم ، وقد باتوا يخشون بحوث العلماء وبالتالي كشف الحقائق ، الأمر الذي قد يؤدي الى انهيار الأسس التي يبنون عليها تاريخهم القديم ، الذي تعتمد عليه إسرائيل في بسط احتلالها للأراضي الفلسطينية .

مؤلف الكتاب ، الأستاذ هشام أبو حاكمة ، الذي رهن حياته في البحث عن الحقيقة ، من مواليد العباسية في فلسطين عام ١٩٤٧ ، تلقى تعليمه الابتدائي والثانوي في رام الله ، حصل على شهادته الجامعية في ادارة الاعمال من جامعة بيروت العربية عام ١٩٧٣ باحث متخصص في تاريخ فلسطين القديم ، له عدة مؤلفات منها : أوهام اليهود في الوطن الموعود ، مملكة اسرائيل اسم موضوع وتاريخ مصنوع ، المسيح الدجال ، معركة هارمجدون "مجدو" ، تاريخ فلسطين قبل الميلاد ، وكتاب تاريخ القدس القديم ، إضافة إلى مؤلفه الجديد الأساطير المؤسسة للتاريخ الإسرءيلي القديم ، كما نشر العديد من المقالات والأبحاث في العديد من الصحف والمجلات والدوريات العربية .

Hisham Abu Hakmeh





إصدار
دار الجليل للنشر

عمان - ص . ب ٨٩٧٢ تلفون ٥١٥٧٦٢٧ - فاكسميلي : ٥١٥٣٦٦٨

Email: darjalil@nets.com.jo